

الشرح التحليلي للكتاب النفير

من صحيح الإمام الحافظ

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

رحمه الله تعالى ورفع درجته وأجل مشوبته

شرح ونقل وترتيب مع بيان منهج الإمام أبي العباس القرطبي روح
الله تعالى روحه بروائح الفردوس الأعلى، وأجل عليه سوابغ هباته
في تلخيص كتاب مسلم وشرحه

الجزء الثاني

الذكر

عبد الفادر محمد بن محمد بن عثمان

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

الجزء الثاني

من

الشرح والتحليل للكتاب التفسير

من صحيح الإمام الحافظ

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

رحمه الله تعالى ورفع درجته وأجرله مشوبته

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٧ هـ، ٢٠٢٥ م

رقم الإيداع: (٢٠٢٥/١٩٩٣٠ م)

الرقم الدولي: 0-073-303-633-978

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول علي إذن خطي من المؤلف والناشر

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع



@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

الشرح التحليلي للنَّاسِبِ النِّفْسِي

مِنْ صَحِيحِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ

مُسْلِمِ بْنِ الْحَاجِّ بْنِ مُسْلِمٍ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ وَأَجَزَلَ مَثُوبَتَهُ

شرح ونقل وترتيب مع بيان منهج الإمام الفقيه المحدث
أبي العباس القرطبي في تلخيص كتاب مسلم وشرحه

الجزء الثاني

الدكتور

عبدفاد محمد المعنصر وهمان

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
المنجورة - مصر



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ أَبُو بَرٍّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن ض

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا تحت العرش، فَتَخِرُّ ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]» (١).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠، ٢٥١) [١٥٩].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (الإيمان)، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. باعتبار تبويب الشراح اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث في كتاب: (التفسير)، والمناسبة فيه ظاهرة. وأخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (بدء الخلق)، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، بلفظ: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»^(١). وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]^(٢).

وفي كتاب: (التوحيد)، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]^(٣).

(١) صحيح البخاري [٣١٩٩].

(٢) صحيح البخاري [٤٨٠٢].

(٣) صحيح البخاري [٧٤٢٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي سأل بوري

* تحرير المراد من سجود الشمس:

إن الشمس آية من آيات الله عَزَّجَلَّ الكونية التي تدل عظمة الخالق جَلَّوَعَلَا، وقد ورد في الكتاب والسنة النص على سجود الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد لله عَزَّجَلَّ، ومن ذلك: سجود الشمس، فما معنى هذا السجود بالنسبة للجمادات وغيرها من المخلوقات؟ وما معنى سجود الشمس تحت العرش؟

وقد تقدم بيان معنى السجود في اللغة والاصطلاح: فمعنى: (سَجَدَ): خَضَعَ، ومنه: سُجُودُ الصَّلَاةِ، وهو: وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، والاسم: (السَّجْدَةُ) - بكسر السين -. والسجود: الخضوع والتذلل والانقياد، وهذا المعنى موجود في كل الحيوانات والنباتات، والجمادات. قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] - كما تقدم -.

وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض، ولا يلزم أن يكون على قصد العبادة. قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: "السجود أصله: التطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله عَزَّجَلَّ وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ۝ ٦٢﴾ [النجم: ٦٢]. وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الآية [الرعد: ١٥]. فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩] ينطوي على النوعين من السجود، التسخير والاختيار.... " (١).

إن الشمس ساجدة لله عَزَّوَجَلَّ في كل وقت وحركة، وسجودها باعتبار دلالة الحال من خضوعها لإرادة الله جَلَّوَعَلَا وأمره، وظهور أثر الصنعة فيها، وفي سائر آيات الله عَزَّوَجَلَّ الكونية.

وهي بالنظر إلى المخاطبين تظهر وغيب باعتبار الرؤية الحسية بالعين، وأفولها في مكان يقابله ظهورها لآخرين في مكان آخر.

وهي ليست بمنقطعة عن السجود، فهي ساجدة في كل حال، فهي في حال ظهورها آية ظاهرة للمخاطبين من حيث أثرها وكونها مدركة بالحواس، حيث ينظرون إلى هذه الآية الكونية العظيمة نظر تأمل؛ ليعلموا خضوع هذه الآية الكبرى لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يملك أحد أن يغير شيئاً في هذا النظام الكوني الذي أبدعه الخالق جَلَّوَعَلَا، فهو مستمر على النحو الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى الأمد الذي أراده.

قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبراً عن الذي حاجَّ إبراهيم عليه السلام في ربه جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة: (سجد) (ص: ٣٩٦-٣٩٧)، وانظر: روح المعاني (٩/ ١٢٥)، تفسير

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ الآية [الحج: ١٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾، فالشمس تعمل في هذا الكون بانتظام إلى الأجل الذي أراده الله عَزَّجَلَّ عند نهاية العالم، وقيام الساعة.

فهي في تأمل المخاطبين من حيث النظر إلى هذه الآية الكونية العظيمة، وإدراك أثرها ساجدة لله عَزَّجَلَّ، خاضعة لأمره، وتتوارى عن الأنظار عند أفولها في مكان؛ لتشرق في مكان آخر عند أقوام آخرين، فتكون آية كونية عظيمة ماثلة أمام أنظارهم، ساجدة لله عَزَّجَلَّ، خاضعة لأمره في كل وقت، وليس هذا مختصاً بالشمس، فقد أخبر الله عَزَّجَلَّ عن سجود جميع المخلوقات له فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، فدعا الله عَزَّجَلَّ إلى النظر إلى آياته الكونية الكبرى نظر تأمل واعتبار؛ ليعلموا مدى ضعفهم وافتقارهم إلى الخالق جَلَّوَعَلَا.

وقد علم أن العرش هو أعظم المخلوقات، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقد قال الله عَزَّجَلَّ عن الكرسي الذي هو دون العرش على الراجح من القول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقيل: الكرسي هو العرش ذاته. فالشمس في جميع أحوالها ساجدة، وهي في جميع أحوالها تحت العرش.

وهذا المعنى هو الذي أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيصاله إلى أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأبي ذر عندما غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّيبِيَّيْنِ بُورِي

ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وفي (صحيح مسلم رحمه الله): «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]». والمخاطبون في ذلك الوقت هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم في بيئة صحراوية وأمية، ولا تعي مداركهم أكثر من هذا.

ومنهم: أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي روى هذا الحديث، ومع ذلك يقال: إن هذا الحديث آحاد، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرون في كثير من الأحيان الأحاديث بالمعنى الذي يفهمونه؛ لعلمهم بما يحيل المعنى لغة، إلا أن هذه الحقائق الغيبية لا يعلم أحد عن تصورهما شيئاً سوى ما جاء من الأحاديث التي سمعوها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا قصارى جهدهم في النقل، وذاك المعنى الذي قُرِّرَ هو الذي أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيصاله إلى أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي يتفق مع نص القرآن الكريم، ولا معدل عنه إلى تأويلات فيها ما فيها من التعسف والتكلف.

أما قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦] فمعناه: أي: فيما يبدو له، وهو ظاهر من الآية نفسها، بدليل قوله: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦]، أي: في المكان الذي بدا له ذلك مدرّكاً في منتهى نظره، لا في الموضع الذي تغرب فيه حقيقة؛ إذ ليس للشمس مغرب حقيقي أصلاً.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وقال جَلَوَعَلَا: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠]، ولم يقل: مشرق الشمس، مع أنه قال في الآية التي قبلها: ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، فكان المتوقع أن يقول في الآية الثانية: مشرق الشمس؛ حتى يكون المشرق في مقابل المغرب، ولكنه قال: ﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾؛ لأن المشهد مختلف، فالشمس في القطب مستمرة لا تغرب، فيخيل للناظر أن هذا مطلعها؛ وأن ذا القرنين كان أمام الشمس القطبية التي شمس منتصف الليل، والتي ليس بينها وبين الناس ستر، وهذا ما حدده الجغرافيون العرب من موطن يأجوج ومأجوج في المنطقة القطبية فيما يظهر.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "والمراد بـ: ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]: مكان مغرب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمور من طريق غزوته أو مملكته. وذلك حيث يلوح أنه لا أرض وراءه بحيث يبدو الأفق من جهة مستبحرة؛ إذ ليس للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل" (١). وذكر الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ تحت عنوان شبهة: (غلطة فلكية!): كَذَّبَ الكاتب قوله جَلَوَعَلَا: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]، وزعم أن ذلك يخالف العلم.. أي علم؟!

.. إن جريان الشمس من أسرتها المعروفة في فضاء الله عَزَّجَلَّ الواسع مقرر فلكيًّا، لم ينكره أحد قط، ولكن (عبقري أسيوط) يريد تكذيب القرآن، فحكى دورة الأرض

(١) التحرير والتنوير (٢٥/١٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

حول محورها، ودورها حول أمها الشمس، ثم قال: من هذا يتضح أن الشمس لا تجري ولا تذهب لتسجد تحت العرش، وأنها لا تغرب في عين حمئة اهـ.

والاستنتاج مضحك فقد فهم العبقرى أن دوران الأرض حول الشمس يعني: أن الشمس ثابتة، وفهم من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] أن الشمس تغطس في الماء يوميًا ثم تخرج!

ولم يدرك ما يعرفه الأطفال عندنا أن اختفاء قرص الشمس في الماء إنما هو في عين الرائي لا في حقيقة الأمر!

أما أن الشمس تسجد لربها جَلَّ وَعَلَا، فإن الجماد، والنبات، والحيوان، والكائنات جمعاء خاضعة لله عَزَّوَجَلَّ، تسبح بحمده، وتحتف بمجده، وتبلي أمره، وهي طوع مشيئته.

ويوم لا يأذن للشمس في الشروق، وينهي أمر الدنيا، ويفتح يوم الحساب، فمن الذي يعصيه؟ ويظهر أن المسكين فهم من سجود الشمس أنها تصلي ركعتين كسائر البشر! (١).

(١) قذائف الحق، لمحمد الغزالي (ص: ٣٥-٣٦)، طبعة دار نهضة مصر، و(ص: ١٣٣-١٣٤)، طبعة دار القلم [١٤١١هـ]، وانظر: كتاب: (لا ريب فيه، نقض أوهام حول القرآن)، لأستاذنا الدكتور محمد سالم أبو عاصي (ص: ٢١٦-٢١٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن ض

[٣] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مِنِّي شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، ومن تقرب مِنِّي ذراعًا تقربتُ منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة»، قال إبراهيم: حدثنا الحسن بن بشر، حدثنا وكيع، بهذا الحديث، حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، بهذا الإسناد نحوه، غير أنه قال: «فله عشر أمثالها أو أزيد»^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (العلم)، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.
وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير).

(١) أخرجه مسلم (٢٢) [٢٦٨٧].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وفي (الصحيحين) من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وإن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (١).

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مناسبة ذكر الحديث في كتاب التفسير:

ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتاب: (التفسير)، وقد جاء هذا الحديث مطابقاً لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الأخرى، وهي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ وَخَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩].

المسألة الثانية: بيان المراد من الآية والحديث:

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿عَشْرٌ﴾ منون، ﴿أَمْثَالُهَا﴾ بالرفع.

(١) صحيح البخاري [٧٤٠٥]، مسلم [٢٦٧٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدّي النفع، كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنة الحسنة، وشرف العمل، ونحو ذلك

وإذا فعل السيئة الواحدة - ولم تكفر - «فجزاؤه سيئة مثلها» أي: عدلاً، هذا إذا حاسبه الله عز وجل عليها، وعاقبه، وإن شاء الله عز وجل غفرها له فضلاً.

وقوله: «وَأَزِيدُ» مفتوح الهمزة، مكسور الزاي، مضموم الدال، على أنه فعل مضارع، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "وكذا رويته، وقد روي هذا الحرف بالواو الجامعة وب: «أو» التي معناها أحد الشيئين، وهو إشارة إلى معنى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] والحسنة تعم الحسنات كلها، فأى حسنة عملها المسلم ضوعف ثوابها كذلك، ولا معنى لقول من قصرها على بعض الحسنات دون بعض؛ فإنه تحكم مخالف للفظ العام، والكرم التام.. " (١).

وقال السندي رحمه الله: "قوله: «وَأَزِيدُ» على صيغة المتكلم، أو على صيغة اسم التفضيل، والثاني غير مناسب لقوله في مقابله: «أو أَغْفِرُ» " (٢).

وقوله جَلَّ وَعَلَا: «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة» هو بضم القاف على المشهور وهو ما يقارب مَلَأَهَا. وقراب مصدر قارب يقارب. وحكي كسر القاف نقله القاضي عياض رحمه الله وغيره - والله أعلم - (٣).

(١) المفهم (٣٤٥/٧).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٤٢٦/٢).

(٣) انظر: إكمال المعلم (١٨٥/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

لقيه الله عزَّجَل بقرابها مغفرة. قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: "لكن هذا مع مشيئة الله عزَّجَل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلَّد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة. قال بعضهم: المُوَحِّد لا يُلقَى في النار كما يُلقَى الكُفَّار، ولا يُلقَى فيها ما يُلقَى الكُفَّار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار، فإن كُملَ توحيد العبد وإخلاصه لله عزَّجَل فيه، وقام بشروطه كُلِّها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كُلِّها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تَحَقَّق بكلمة التوحيد قلبه، أَخْرَجَتْ منه كُلَّ ما سوى الله عزَّجَل محبةً وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة، وخشية، ورجاء وتَوَكُّلاً، وحينئذ تُحَرِّقُ ذنوبه وخطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وُضِعَ منه ذَرَّةٌ على جبالِ الذُّنُوبِ والخطايا، لقلبها حسناتٍ" (١).

أما تارك السيئة الذي لا يعملها فقد قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "هو على ثلاثة أقسام: ١ - تارة يتركها لله عزَّجَل، فهذا تكتب له حسنة على كَفِّه عنها لله جَلَّ وَعَلَا، وهذا عمل ونية، ولهذا جاء: «أنه يكتب له حسنة» كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح، فـ: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَوَّاي» (٢)، أي: من أجلي.

٢ - وتارة يتركها نسياناً وذهولاً عنها، فهذا لا له ولا عليه؛ لأنه لم ينو خيراً، ولا فعل شراً.

(١) جامع العلوم والحكم (٤١٧/٢).

(٢) تقدم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

٣ - وتارة يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها، والتلبس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها، كما جاء في الحديث: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(١).

قوله جَلَّ وَعَلَا: «ومن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، ومن أتاني يمشيأتيته هرولة»:

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد: من أتاني مسرعاً بالطاعة، أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكفى عن ذلك بالمشي وبالهرولة.

كما يقال: فلان موضع في الضلال. والإيضاع: سير سريع^(٢)، لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يراد أنه يسرع إلى الضلال، فكفى بالوضع عن الإسراع.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧٨-٣٧٩)، وقد تقدم في بيان مراتب القصد.

(٢) الإيضاع: سرعة السير. انظر: الاستذكار، لابن عبد البر (٤/٢٧٦)، معالم السنن (٤/١١٨). قال أبو عبيد: "الإيضاع: سير مثل: الخب، وهو من سير الإبل، يقال له: الإيضاع: غريب الحديث، لأبي عبيد (٣/١٧٨). وقال الزمخشري: "الإيضاع: حمل البعير على الوضع، وهو سير سهل حثيث دون الدفع" الفائق في غريب الحديث والأثر (٣/١٥١). والخب: ضرب من العدو. تقول: خب الفرس يخب بالضم خباً وخبياً وخبياً: إذا راوح بين يديه ورجليه" الصحاح، للجوهري، مادة: (خب) (١/١١٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وكذلك قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِيْ ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١]، والسعي: الإسراع في المشي، وليس يراد أنهم مشوا دائماً، وإنما يراد: أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم - والله أعلم - " (١).

والمعنى: أن الله عَزَّجَلَّ أسرع إلى عبده من عبده إليه، وفي الحديث دلالة على ذلك؛ فإنَّ من العبادات التي تقرب إلى الله عَزَّجَلَّ ما لا يكون فيها مشي ظاهر، كالصلاة، والعبد أقرب ما يكون من ربه جَلَّوَعَلَا وهو ساجد، وهو مقبل على الله عَزَّجَلَّ بكلية في حال سجوده.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: "ومن فهم من شيء من هذه النصوص تشبيهاً أو حلولاً أو اتحاداً، فإنما أُتِيَ من جهله، وسوء فهمه عن الله عَزَّجَلَّ، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير" (٢).

وقال ابن بطل رَحِمَهُ اللهُ: "وأما وصفه جَلَّوَعَلَا بأنه يتقرب إلى عبده، ووصف العبد بالتقرب إليه، ووصفه بإتيانه هرولة، فإن التقرب والإتيان والمشي والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز، فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات، وتداني الأجسام، وذلك في حقه جَلَّوَعَلَا محال، فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز؛ لشهرته في كلام العرب، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً، وذراعاً، وإتيانه، ومشيه معناه: التقرب إليه

(١) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (ص: ٣٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٣١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

بطاعته، وأداء مفترضاته، ونوافله، ويكون تقربه جَلَّعًا من عبده، وإتيانه المشي عبارة عن إثابته على طاعته، وتقربه من رحمته، ويكون قوله: أتيت هرولة؛ أي: أتاه ثوابي مسرعًا" (١).

والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه.
والذراع: قدر طول الذراع إلى رؤوس الأصابع. والباع: قدر امتداد اليدين.

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤٢٩/١٠-٤٣٠)، فتح الباري، لابن حجر (٥١٣/١٣)،
الإتحافات السننية، للمناوي (ص: ١٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

[ومن سورة الأعراف]

ن

روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كانت المرأة تطوف بالبيت وهي غُرْيَانَةٌ، فتقول: من يُعِيرُنِي تَطَوُّافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وتقول: الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]»^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (التفسير)، باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

وجاء في المطبوع من (صحيح مسلم)، والمخطوطات والشروح التي جاءت على وفق ترتيب وترقيم: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: "باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا:

(١) صحيح مسلم (٢٥) [٣٠٢٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. والذي يظهر أن هذا التبويب هو من فعل الشراح، ولم يأت في المطبوع منه متكاملًا ولا مرتبًا. كما أن الأحاديث في كتاب: (التفسير) بالاعتبار السابق لم تأت موافقة لترتيب السور في المصحف - كما تقدم-. وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير) من سورة الأعراف (١).

بيان المراد من الآية والحديث:

* قوله: باب في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]: وفي الحديث بيان سبب نزول قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "نزلت بسبب طواف المشركين بالبيت عراة، وقد صحَّ هذا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأجمع عليه المفسرون من السلف بعده" (٢).

وقال ابن بطال رحمه الله: "الواجب من اللباس في الصلاة ما يستر به العورة، وأما غير ذلك من الثياب فالتجمل بها في الصلاة حسن، والله عزَّ وجلَّ أحق من تجمل له، وأجمع أهل التأويل على أن قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]،

(١) انظر: تلخيص كتاب مسلم (ص: ١١٨٦-١١٨٧)، طبعة دار ابن كثير.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٢/٣٣٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي تيسر لأبي مسند الإمام أبي حنيفة

نزلت من أجل الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة؛ ولذلك أمر الرسول ﷺ ألا يطوف بالبيت عريان" (١).

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن حمله على الندب قال: المراد بذلك الزينة الظاهرة من الرداء، وغير ذلك من الملابس التي هي زينة، واحتج لذلك بما جاء في الحديث من أنه «كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عَاقِدِي أَزْرِهِمْ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ كَهَيْئَةِ الصَّبِيَّانِ..»" (٢).

ومن يحمله على الوجوب استدل بحديث: مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (٣).
وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أجمع المفسرين على أن المراد بالزينة هاهنا: لبس الثوب الذي يستر العورة" (٤).

والظاهر حمل الآية على العموم، فتشمل: ستر العورة الواجب، وما يتزين به مما يندب من التجميل عند الصلاة، ولا سيما الجمعة، ويوم العيد، والطيب؛ لأنه من الزينة، والسواك؛ لأنه من تمام ذلك. وقيل: الزينة المشط. والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة.

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٥/٢). وحديث: «أمر النبي ﷺ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا» أخرجه البخاري [٣٦٩، ١٦٢٢، ٣١٧٧، ٤٣٦٣، ٤٦٥٥، ٤٦٥٦، ٤٦٥٧]، ومسلم [١٣٤٧].

(٢) بداية المجتهد، لأبي الوليد بن رشد (١٢٢/١). والحديث أخرجه البخاري [٣٦٢]، ومسلم [٤٤١].

(٣) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢٧٢/٥).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٢٩/١٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

وفي (الصحيحين): عن هشام، عن أبيه، قال: «كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الخمس، والخمس: قريش وما ولدت، كانوا يطوفون عراة، إلا أن تعطيهم الخمس ثياباً، فيعطي الرجال الرجال، والنساء النساء، وكانت الخمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يبلغون عرفات»، قال هشام: فحدثني أبي، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «الخمسة هم الذين أنزل الله عزَّجَلَّ فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]»، قالت: «كان الناس يفيضون من عرفات، وكان الخمس يفيضون من المزدلفة، يقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت: ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] رجعوا إلى عرفات» (١).

وقال ابن قتيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة بالنهار، والنساء منهم بالليل، إلا الخمس - وهم قريش ومن دان بدينهم - ولا يأكلون من الطعام إلا اليسير؛ إعظاماً لحجهم. فأنزل الله عزَّجَلَّ هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الآية [الأعراف: ٣١]" (٢).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال: «كان رجال يطوفون بالبيت عراة

(١) أخرجه البخاري [١٦٦٥]، ومسلم [١٢١٩]، واللفظ له.

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ١٦٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

فأمرهم الله عَزَّجَلَّ بالزينة، والزينة: اللباس، وهو ما يوارى السوء وما سوى ذلك من جيد البز^(١) والمتاع^(٢).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم رَحِمَهُمَا اللهُ: عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال: «ما وارى العورة ولو عباءة»^(٣).
وأخرج ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ قال: «كانوا يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا»، فتضع المرأة على قُبْلِهَا النِّسْعَةَ أو الشيء، فتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ»^(٤).

(١) البزُّ: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ. والبَزَازَةُ: حُرْفَةُ الْبَزَّازِ. والبَزُّ أَيْضًا: ضَرْبٌ مِنَ الْمَتَاعِ كَذَا فِي (العين)، مادة: (بز)
(٣٥٣/٧). وفي (الصحاح) (٨٦٥/٣): "البَزُّ مِنَ الثِّيَابِ: أَمْتَعَةُ الْبَزَّازِ. وَ(البَزَّةُ) - بِالْكَسْرِ - الْهَيْئَةُ".
فالبز: نوع من الثياب، أو أمتعة البيت خاصة، أو أمتعة التاجر من الثياب. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٧٧)، المصباح المنير (٤٧/١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٩١/١٢) [١٤٥٠٨]، وابن أبي حاتم (١٤٦٤/٥) [٨٣٧٧]، قال السيوطي: "أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه" الدر المنثور (٤٣٩/٣).

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٩٢/١٢) [١٤٥١٤، ١٤٥١٥]، وابن أبي حاتم (١٤٦٥/٥) [٨٣٧٨]، قال السيوطي: "أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ" الدر المنثور (٤٣٩/٣).

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٧٧/١٢) [١٤٤٦٢]. و«النسعة»: قطعة من الجلد تجعل زمامًا للبعير وغيره.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نسيب أبا بوري

والبيت نسبه الفراء رَحِمَهُ اللهُ إلى العامرية ^(١)، وهي ضباعة بنت عامر.
قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللهُ: "وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن
قرط" ^(٢).

وقد وهم أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في (التفسير) ^(٣) فنسبه للقاضي عياض
رَحِمَهُ اللهُ، والصواب ما أثبتناه. ولعل ذلك الوهم قد سرى بسبب ما أورده صاحب (المفهم)
الإمام أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ من نسبته إلى القاضي مبهمًا ^(٤).
وقال البدر العيني رَحِمَهُ اللهُ: "كانت هذه المرأة ضباعة بنت عامر، وكانت تحت عبد
الله بن جدعان، وطافت بالبيت عريانة، وهي واضعة يديها على فخذيها، وقريش
أحدثت بها وهي تقول هذه الأبيات، وطافت بالبيت الحرام أسبوعًا.
وفي (تاريخ ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ): وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئًا
كثيرًا، وكانت تغطي جسدها بشعرها" ^(٥).

وقوله: «فتقول: من يُعيرني تطوفاً؟» "هو بكسر التاء المثناة فوق، وهو ثوب
تلبسه المرأة تطوف به، وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة، ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاة
على الأرض، ولا يأخذونها أبدًا، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ويسمى: اللقاء،

(١) معاني القرآن، للفراء (٣٧٧/١).

(٢) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي (٣٠٥/٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٨٩/٧).

(٤) قال في (المفهم) (٣٤٦/٧): "قال القاضي: وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن قرط".

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٦٦/٩)، تاريخ دمشق، لابن عساكر (٢٤٤/٢-٢٤٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن أبي أسباط مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن أبي أسباط

حتى جاء الإسلام فأمر الله عز وجل بستر العورة فقال جل وعلا: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يطوف بالبيت عريان». وروي: «تطواف» بفتح التاء، وفسروه بأنه (ذا تطواف)، على حذف المضاف " (١).

والحديث يفيد وجوب ستر العورة - كما تقدم - قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: "ستر العورة من فرائض الصلاة، واستدل بالإجماع على أنه لا يجوز لأحد أن يصلي عرياناً، قد ترك ثوبه وهو قادر على الاستتار به، وأنه من فعل ذلك فلا صلاة له، وعليه إعادة ما صلى على تلك الحال.

وهذا سنة وإجماع لا خلاف فيه، وأن الآية في أخذ الزينة نزلت فيمن كان يطوف بالبيت عرياناً، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديه فنادى ألا يحج هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وقال آخرون: ستر العورة فرض عن أعين المخلوقين لا من أجل الصلاة، وستر العورة سنة مؤكدة من سنن الصلاة، ومن ترك الاستتار وهو قادر على ذلك، وصلى عرياناً فسدت صلاته، وكما تفسد صلاة من ترك الجلسة الوسطى عامداً، وإن كانت

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٢/١٨ - ١٦٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

مسنونة. ولكلا الفريقين اعتلال يطول ذكره، والقول الأول أصح في النظر، وأصح أيضا من جهة الأثر، وعليه الجمهور" (١).

(١) الاستذكار، لابن عبد البر (١٩٦/٢-١٩٧)، بتصرف، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٧٨/٦-٣٨٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

[ومن سورة الأنفال]

ن ض

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله: عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رضي الله عنه، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فدب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا فريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان، وأصحابه، فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمّية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم، أنا أحرركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه، فقال ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمّية بن خلف، في الناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده، لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا مصرع فلان»، قال: ويضع



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

يَدُهُ عَلَى الْأَرْضِ، «هَاهُنَا، هَاهُنَا»، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (كتاب الجهاد والسير)، باب: غزوة بدر. ويلاحظ أن القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ قد جمع بين سورتي: الأنفال وبراءة. ويلاحظ أن القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكره في كتاب: (التفسير)، وإنما أشار إلى تقدمه في كتاب: (الجهاد)، باعتبار تبويبه في (تلخيص كتاب مسلم). كما يلاحظ أنه لم ينقل قصّة الثلاثة الذين خَلَفُوا في (سورة التوبة) إلى كتاب: (التفسير)، وإنما أشار إلى تقدمها في كتاب: (التوبة). وكذلك قصة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، وإنما أشار إلى تقدمها في كتاب: (الجنائز) باعتبار تبويبه في (تلخيص كتاب مسلم). ويلاحظ أنه لم يرتب هنا ما أشار إلى تقدمه على وفق الترتيب المصحفي، كما أنه أَخَرَّ هذا الحديث المتصل بسورة الأنفال عن أحاديث من سورة التوبة؛ لأنه جمع بين السورتين بالإشارة إلى تقدم هذه الأحاديث ولم يرتبها في كتاب التفسير، وأحال إلى شرحها في الكتب المتقدمة.

(١) صحيح مسلم (٨٣) [١٧٧٩].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

المسألة الأولى: تسمية سورة الأنفال بسورة بدر:

وقد ذكرت في مطلع سورة التوبة سبب تسمية سورة الأنفال بسورة بدر، في شرح حديث: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وإنما أخر لمجيء تسمية سورة التوبة بالفاضحة في مطلعها.

المسألة الثانية: بيان المناسبة:

ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث في كتاب: (التفسير)، ولم يشرحه فيه، وإنما أحال إلى تقدمه في بابه؛ لأنه أقرب إلى أن يكون في بابه. وإنما ذكره في تفسير سورتي: (الأنفال وبراءة) إشارة منه إلى أن له صلة بما جاء في (سورة الأنفال) من ذكر غزوة بدر، بدءاً من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ ٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٥-٨].

وإنما ذكرته هنا استكمالاً لجوانب البحث، من حيث ذكرت ما جاء في صحيح مسلم من الأحاديث المتفرقة المتصلة بتفسير الآيات، ولا سيما ما قد اعتمده منها القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (تلخيص مسلم)، وغيرها من الأحاديث ذات الصلة على ما تقرر في منهج البحث.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي يابوري

ففيه المشاورة ومعرفة الرأي من أهله قبل الفعل - كما ذكر القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ -،
فالقصد اختبار الأنصار، وقد أجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة
وغيرها.. (١).

وعند ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: أن هذا الكلام قاله المقداد رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ لما وصل النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصفراء، وبلغه أن قريشاً قصدت بدرًا، وأن أبا سفيان نجا بمن معه،
فاستشار الناس، فقام أبو بكر رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ فقال فأحسن، ثم عمر رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ كذلك، ثم المقداد
رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ فذكر نحو ما في حديث الباب، فقال: «يا رسول الله امض لما أمرت به فنحن
معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ
فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ
حَتَّى تَبْلُغَهُ»، قال: فقال: «أشيروا عليّ»، قال: فعرفوا أنه يريد: الأنصار، وكان
يتخوف أن لا يوافقوه؛ لأنهم لم يبايعوه إِلَّا على نصرته ممن يقصده، لا أن يسير بهم إلى
العدو، فقال له سعد بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»،
قال: «قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على
ذلك عهدونا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، لا يتخلف منا
رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، إِنَّا لَصَبِرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ،

(١) انظر: إكمال المعلم (١٣٦/٦)، المفهم (٦٢٥/٣-٦٢٦)، شرح النووي (١٢٤/١٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي يسنن أبو ي

ولعل الله يُريك مِنَّا ما تَقْرُؤُ به عَيْنُكَ»، فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسطه قول سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»^(١).

وعن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال المقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ: يا رسول الله، إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كما قالت بنو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وَلَكِنْ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ، «فَكَانَهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: استشار النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مخرجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم استشار عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا معشر الأنصار، فقال قائل الأنصار: تستشيرنا يا نبي الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إِسْرَائِيلَ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق، لو ضربت أكبادها إلى برك، -قال ابن أبي عدي: إلى برك الغماد- لاتبعناك^(٣).

(١) قال الزيلعي: "هذا كله في (سيرة ابن هشام) في غزوة بدر الكبرى من قول ابن إسحاق" انظر: تخریج أحاديث الكشف (١٢/٢)، السيرة النبوية، لابن هشام (٦١٥/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٤/٣)، عيون الأثر، لابن سيد الناس (٢٨٨/١)، فتح الباري، لابن حجر (٢٨٧/٧)، إرشاد الساري (٢٤٦/٦).

(٢) صحيح البخاري [٤٦٠٩]، انظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري، لابن حجر (٢٠٣/٤-٢٠٤).

(٣) أخرجه أحمد [١٢٩٥٤] بإسناد صحيح.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

ومشاورة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في غزوة بدر حصلت مرتين:

الأولى: كانت في المدينة عندما بلغه خبر عير أبي سفيان.

والثانية: كانت بعد أن خرجوا إلى موضع الصفراء، وهي المرادة من الحديث هنا.

وقول سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسول الله لو أمرتنا أن نخيضها البحرَ

لأخضناها..»، كناية عن الخيل والإبل بقرينة الحال.

و(الخوض): الشروع في الماء، تقول: خضت الماء أخوضه خوضاً وخياضاً.

والموضع: مخاضة، وهو ما جاز الناس فيها مشاةً وركباً، وجمعها: مخاض ومخاوض،

وأحاض القوم، أي: خاضت خيلهم الماء، وخاض العَمَرَات: اقتحمها، وخاض القومُ

في الحديث وتجاوزوا، أي: تفاوضوا فيه ^(١).

وقوله: «ولو أمرتنا أن نصرب أكبادها»: (الأكباد) جمع: كبِد، وهي اللحمية

السوداء في البطن. والكبد، يذكر ويؤنث ^(٢)، و(ضرب الأكباد) عبارة عن تكليف

الدابة للسير بأبلغ ما يمكن. وفي (المفاتيح): "ضرب الأكباد": عبارة عن تكليف الخيل

والإبل السير الكثير، بحيث يصرن ظمأى من شدة مسيرها" ^(٣).

وقوله: «إلى برك الغماد لقلنا»: يضرب مثلاً؛ للدلالة على الوصول إلى أقصى

درجات البعد مع الصعوبة والشدة.

(١) الصحاح، للجوهري، مادة: (خوض) (١٠٧٥/٣).

(٢) انظر: العين، مادة: (كبد) (٣٣٢/٥).

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح (٢٠٧/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أما «بَرْكٌ» فهو بفتح الباء وإسكان الراء هو المشهور في كتب الحديث وروايات المحدثين. وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض أهل اللغة: صوابه كسر الباء، وكذا قيد شيوخ حديث: أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري، واتفقوا على أن الراء ساكنة إلا ما حكاه القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الْأَصِيلِيِّ بِإِسْكَانِهَا وفتحها، يعني: راء «بَرْكٌ»، وهذا غريب ضعيف، و«الْغَمَادُ» بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان. وحكى ابن دريد: الكسر، والضم في غين «الْغَمَادُ».

وقال التُّورِبِشْتِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "«بَرْكُ الْغَمَادِ»: بكسر الباء وفتحها، وبضم الغين وبكسرهما، إلا أن أصح الروايتين في «بَرْكٍ» كسر الباء.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: هو موضع بأقصى هَجَرَ، وقال الواقدي: هو موضع من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن، وقيل: بلد من اليمن.

وقيل: «بَرْكُ الْغَمَادِ» و«سَعَفَاتُ هَجَرَ» كنايةٌ يقال فيما تَبَاعَدَ^(١).

وقوله: «وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ» الرُّوَايَا: الإبل التي يُسْتَقَى عليها، وأحدتها: رَاوِيَةٌ، وأصلها: المَزَادَةُ، فقيل للْبَعِيرِ: رَاوِيَةٌ؛ لِحَمْلِهِ المَزَادَةَ. قاله الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٤/١٢-١٢٥)، مشارق الأنوار، للقاضي عياض (١١٥/١)، إكمال المعلم (١٣٧/٦)، مرقاة المفاتيح (٣٧٨٠/٩)، الميسر في شرح مصابيح السنة (١٢٧٩/٤)، المفاتيح في شرح المصابيح (٢٠٧/٦)، المغازي، للواقدي (٤٨/١)، جمهرة اللغة، لابن دريد (٦٧٠/٢).

(٢) معالم السنن (٢٨٦/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

"وقيل: الرأوية، الجمل يستقي الماء، أو يحمل عليه، وسميت المزايدة رأويةً بحاملها" (١).

وقوله: «فإذا قال هذا أيضاً ضربوه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف»، أي: سلم من صلاته. قال الإمام النووي رحمه الله: "ففيه استحباب تخفيفها إذا عرض أمر في أثنائها" (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»:

فيه "إخبار عن غيب، فهو من أعلام نبوته، وكذلك قوله: هذا مصرع فلان" قال: ويضع يده على الأرض، «هاهنا، هاهنا»؛ إذ قد وقع ذلك، ووجد كما أخبر عنه". قاله القاضي عياض رحمه الله. وقال: "وفي ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غلام قريش ليسألوه، جواز تهديد المتهم وتخويفه؛ ليصدق، وجواز ضرب الأسير من العدو؛ لمعنى يوجب ذلك، ويستخير ما عنده من سر العدو. ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين؛ ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم هماتهم. قال: وإعلام النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأنهم يضربونه إذا صدق، ويتركونه إذا كذب، من آيات نبوته عليه الصلاة والسلام، وذلك أن أصحابه كانوا يكذبونه فيما يقول من أمر قريش؛ إذ لم يكن عندهم إلا خبر

(١) المجموع المغيث، لأبي موسى الأصبهاني (٨٢٢/١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٦/١٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

الغير، ولا طلبوا سواها. وكذلك إخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصارع قريش، وإشارته لها وتعيينها.. " (١).

وقوله: «فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعٍ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أي: ما بُعد مصرع من عينه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كفار قريش عن موضع يده في بدر. و«ماط» أي: بُعد وذهب، كما في (الصحيح) (٢). يقال: «ماط ميطاً - من باب: باع -، أي: تباعد، ويتعدى بالهمزة والحرف، فيقال: أماطه غيره إماطاً، ومنه: إماطة الأذى عن الطريق، وهي التَّنْحِيَةُ؛ لأنها إبعاد» (٣).

المسألة الرابعة: إجمال ما يستفاد من الحديث:

١ - بيان أهمية الشورى وفوائدها وآثارها في القضايا الخاصة والعامة: وقد اشتملت السنة على صور رائعة لمشاورة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منبهاً أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأتمته إلى أهمية هذا المبدأ العظيم. وإن المتأمل لسيرته وحياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجده كثير التشاور مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن ثم كان أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبادرونه بالرأي والمشورة في الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي، أما ما ورد فيه نص، فليس أمام المسلم سوى القبول والتسليم، وإن خالف عقله

(١) إكمال المعلم (١٣٧/٦).

(٢) انظر: الصحيح، للجوهري، مادة: (ميط) (١١٦٢/٣).

(٣) المصباح المنير، مادة: (ميط) (٥٨٧/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري النيسابوري

وهواه، ومشاهد الشورى في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته المطهرة كثيرة. فمن ذلك: مشاورة الرسول لأصحابه في غزوة (بدر الكبرى) - كما جاء في الحديث هنا-، ومشاورته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في أسرى بدر، ومشاورته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الخروج لغزوة أحد، ومشاورته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في غزوة الخندق.. إلى غير ذلك.

"ولا شكَّ أنَّ مشاورة العقلاء من أسباب سداد الرأي؛ لأنَّ المستشار قد ينبهك إلى أمرٍ قد غفلت عنه" (١).

قال بعض الحكماء: "من حقِّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء؛ فالرأي الفذُّ ربما زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ" (٢).

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: "كان يقال: اجتماع آراء الجماعة وعُقُولُهَا مَبْرَمَةٌ الأمور" (٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٤).

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأي ولا يفقد معهما حزم» (٥).

(١) درر السلوك في سياسة الملوك (ص: ٧٤).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: ٣٠٠).

(٣) العقل وفضله، لابن أبي الدنيا (ص: ٤٦).

(٤) قال الذهبي: "إسناده صحيح" سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٤).

(٥) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: ٣٠٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "إن كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي له أن يشاورة، ولا يستقل بالجواب، ذهاباً بنفسه وارتفاعاً بها أن يستعين على الفتاوى بغيره من أهل العلم، وهذا من الجهل" (١). فعندما يستشير الإنسان غيره فهو يمحّص رأيه، وقد يبصر خطأ نفسه، ويهتدي للصواب؛ ولذلك قيل: ما خاب من استشار. وفي الحديث: «المستشار مؤتمن» (٢).

ولكن ينبغي أن يكون المستشار تقياً، عاقلاً، ناصحاً، ودوداً، صاحب تجربة، وأن يكون حال طلب الاستشارة سليم الفكر من آفة جسدية أو نفسية. فالشورى من أعظم الأبواب في تحصيل الخير، وفي دفع الشر، وهي مراتب: أعظمها التي تكون أهميتها في القضايا التي تتعلق بالشؤون العامة.

قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمراً ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح؛ فإن الله عزَّ وجلَّ أمر بالمشورة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] " (٣).

(١) إعلام الموقعين (٤/١٩٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه [٣٧٤٥]، وأبو داود [٥١٢٨]، والترمذي [٢٨٢٢]، وقال: "حسن". كما أخرجه: البزار [٨٦٥٤]، والبيهقي في (السنن الكبرى) [٢٠٣٢٢] عن أبي هريرة. وللحديث أطراف أخرى كثيرة.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: ٣٠٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

ويقال: تعوذ من سكرات الاستبداد بصحوات الاستشارة، ومن عثرات البغي باستقالة الاستخارة^(١).

وقد كنت قد فصلت القول في ذلك في كتاب: (عقبات في طريق الهداية).

٢ - تكلف المشقة في سبيل تحصيل الخير.

٣ - سرعة الاستجابة لأمر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الصدق والإخلاص وسلوك طريق النجاة.

٤ - بيان مكانة الأنصار، ومحبتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصرتهم له، واستعدادهم للتضحية في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ:

وإنَّ أهل السنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشنون عليهم، ويترضون عنهم، كما أثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وترضى عنهم، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقد صرَّح الحقُّ جَلَّوَعَلَا في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، والوعد بالخلود في الجنات، والفوز العظيم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فإيا ويل من أبغضهم، أو سبهم، أو

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري من (٦٤/٦) إلى (٧٦/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي تيسر لأبي مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري

أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخيرهم وأفضلهم، أعني: الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١). وقد وردت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل على مكانة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضلهم، وقد ذكرت جملة منها في كتاب: (المحبة صورها وأحكامها). أما محبة الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على وجه الخصوص فقد ورد في الحث عليها نصوص كثيرة، فمن ذلك: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آية الإيمان: حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»^(٢). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٣). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحب الأنصار أحبه الله يوم يلقاه، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله يوم يلقاه»^(٤). قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكذلك حب المهاجرين -الذين هم أفضل من الأنصار- من الإيمان"^(٥).

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٣/٤).

(٢) صحيح البخاري [١٧، ٣٧٨٤]، مسلم [٧٤].

(٣) صحيح البخاري [٣٧٨٣]، مسلم [٧٥].

(٤) أخرجه ابن حبان بإسناده صحيح [٧٢٧٣].

(٥) فتح الباري، لابن رجب (٦٥/١). فضَّلَ اللهُ عَزَّجَلَّ المهاجرين على الأنصار، فقد بدأ بهم في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقوله عَزَّجَلَّ: ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

أما محبة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهي كذلك مطلوبة؛ لأنهم خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥ - استحباب تخفيف الصلاة إذا عرض أمر في أثنائها.

٦ - جواز ضرب الأسير من العدو في بعض الأحوال التي يقدرها الحاكم؛ لمعنى يوجب ذلك.

٧ - في الحديث - كما تقدم - معجزتان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إحدهما: وإعلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بأنهم يضربونه إذا صدق، ويتركونه إذا كذب، وقد كان الأمر كذلك.

والثانية: إخباره النبي بمصارع قريش، وإشارته، وتعيينه لمكان مصرع كل واحد ممن ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مع عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهَلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَاهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ، أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أُنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

=قَبْلَهُمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩]، وقد ذكر الله عَزَّجَلَّ المهاجرين قبل الأنصار؛ لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم وبيوتهم، وخرجوا طاعة لله عَزَّجَلَّ، أما الأنصار فهم في بلدهم، في بيوتهم، وفي أموالهم رضي الله عنهم جميعاً.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

كان يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قال: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَحْطَطُوا الْخُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فَجُعِلُوا فِي بَرٍّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فقال: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا»، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قال: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا»^(١).

(١) صحيح مسلم (٧٦) [٢٨٧٣].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يسنن أبو ي

ن ض

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]» (١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية [الأنفال: ٣٣]، باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ. وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير) (٢).

(١) صحيح مسلم (٣٧) [٢٧٩٦].

(٢) انظر: تلخيص كتاب مسلم (ص: ١١٨٧)، طبعة دار ابن كثير.



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

وأخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في (صحيحه)، في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله
جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ
أَتِّنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وباب: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] ^(١).
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: القائل لذلك القول:

قيل: القائل لهذا النضر بن الحارث.
وقيل: إنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا، كما هو قول أنس بن مالك
رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مخرج في (الصحيحين) - كما تقدم -.
وقيل: إنها نزلت في قريش.
قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أكثر المفسرين على أن القائل لهذا النضر بن الحارث،
غير أن هذه الطريق إلى أنس رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ أثبت" ^(٢).

(١) صحيح البخاري [٤٦٤٨، ٤٦٤٩].

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٦٥/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسعود القشيري الذي نسب إلى أبي

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "قوله: قال أبو جهل: «اللهم إن كان هذا.. الخ» ظاهر في أنه القائل ذلك وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقيون فنسب إليهم" (١).

المسألة الثانية: المشار إليه بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنفال: ٣٢]:
وفيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه القرآن.

والثاني: كل ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
والثالث: إكرام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة (٢).

المسألة الثالثة: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]:
أخرج ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: عن أبي مالك في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ يعني: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣)، يعني: من بها من المسلمين، ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]، يعني: مكة، وفيهم الكفار (٤).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣٠٩/٨).

(٢) كشف المشكل (٢٦٥/٣).

(٣) تفسير الطبري [١٥٩٩١] (٥١٠/١٣).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسعود القشيري الذي تيسر لبوري

وَأَنْتَ فِيهِمْ، ثم لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقيت طائفة من المسلمين بمكة يستغفرون الله عَزَّوَجَلَّ ويعبدونه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣)، فلما خرجت بقية المسلمين من مكة أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]، أي: أي شيء ثبت لهم يدفع عنهم عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون من بين أظهرهم؟! كذا في (دفع إبهام الاضطراب)، وهو الموضح للمراد.

وفي معنى: ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] قولان:

أحدهما: وأنت مقيم بين أظهرهم.

والثاني: وأنت حي.

أي: فما كان الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ إكرامًا لك، واحترامًا لوجودك بينهم؛ فإنك رحمة عامة للعالمين، ونعمة خاصة للمؤمنين، فلما نقله الله عَزَّوَجَلَّ عنهم أوقع عذابه بهم.

وقد أخرج ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمْ يُعَذِّبْ قَرْيَةً حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ مِنْهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَيَلْحَقَهُ بِحِثِّ أَمْرِ» (١).
وفي لفظ: «لَمْ تُعَذِّبْ قَرْيَةً...» (٢).

(١) تفسير الطبري [١٥٩٩٨] [٥١١/١٣].

(٢) انظر: التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي (١٢٣/١٠)، كشف المشكل (٢٦٥/٣)، زاد المسير (٢٠٦/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وفي رواية: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، يقول: «ما كان الله عزَّ وجلَّ يعذب قوماً وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم»^(١).
وقد دلت الآية على الاستغفار سبباً لدفع العذاب، أي: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المستضعفين.
قال أهل المعاني: دلت هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب.
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان فيهم أمانان: نبي الله، والاستغفار، أما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد مضى، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة^(٢).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري [١٦٠١٢] [٥١٦/١٣]، وابن أبي حاتم [٩٠٢٠] [١٦٩٢/٥]، والنحاس في (ناسخه) (ص: ٤٦٤)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (٧٦/٣)، قال السيوطي: "أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في (ناسخه)، والبيهقي في (الدلائل): عن ابن عباس" الدر المنثور (٥٩/٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٤٨٠/١٥)، تفسير الطبري (٥١١/١٣-٥١٢)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٦٩١/٥)، السنن الكبرى، للبيهقي [٩٠٣٧]. قال السيوطي: "حديث: ابن عباس أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في (سننه)" الدر المنثور (٥٥/٤). قال الحافظ العراقي (ص: ١٣٨٥): "أخرجه أحمد، من قول أبي موسى الأشعري، ورفعته الترمذي من حديثه: «أنزل الله على أمانين ... الحديث» وضعفه، وابن مردويه في (تفسيره) من قول ابن عباس".



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

المسألة الرابعة: في اللغة والإعراب:

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: "القراءة على نصب ﴿الْحَقُّ﴾ على خبر ﴿كَانَ﴾ ودخلت ﴿هُوَ﴾ للفصل.

قال: واعلم أن ﴿هُوَ﴾ لا موضع لها في قولنا، وأنها بمنزلة: (ما) المؤكدة. ودخلت؛ ليعلم أن الحق ليس بصفة لهذا، وأنه خبر. قال: ويجوز: هو الحق، رفعاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها، ولكن القراءة سنة، لا يقرأ فيها إلا بقراءة مروية^(١).

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال: ٣٢]، قال في (العين): "الْمَطَرُ: الاسم، وهو الماء الْمُنْسَكِبُ من السَّحَابِ، وَالْمَطَرُ: فِعْلُهُ. وَالْمَطَرَةُ: الواحدة. ويوم مَطِيرٌ: ماطرٌ. ووادٍ مَطِيرٌ: ممطور. وَمَطَرْنَا السَّمَاءَ وَأَمْطَرْنَا. وَأَمْطَرَهُمُ اللَّهُ مَطَرًا أَوْ عَذَابًا.."^(٢). وقال أبو عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما كان من العذاب يقال فيه: أَمَطَر، ومن الرحمة: مطر"^(٣).

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، اللام في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ تسمى: لام الجحود، وهي المسبوقه بكونٍ منفي، وتفيد التوكيد بعد النفي،

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤١١/٢). أي: قراءة صحيحة معتمدة، وقد قرئ بها شذوذاً.

(٢) انظر: العين، مادة: (مطر) (٤٢٥/٧)، المحيط في اللغة (١٧١/٩)، تهذيب اللغة (٢٣١/١٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٤٥/١)، التفسير البسيط (١٠١/٢١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

فإذا قلت: (ما كنت أضربك) بغير لام، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه، فإذا قلت: (ما كنت لأضربك) فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلاً.

قال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ: "واللام هي التي تسمى: لام الجحود ولام النفي؛ لاختصاصها بمنفي (كان) الماضية لفظاً أو معنى، وهي اما زائدة أو غير زائدة والخبر محذوف، أي: ما كان الله مريداً لتعذيبهم، وأياً ما كان فالمراد: تأكيد النفي، أما على زيادتها فظاهر، وأما على عدم زيادتها وجعل الخبر ما علمت فلأن نفي إرادة الفعل أبلغ من نفيه" (١).

ويعذبهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الواو للحال، والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر حالية. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهم يستغفرون في موضع الحال.

المسألة الخامسة: حكاية مكر الذين كفروا:

يدل سياق الآيات على مكر الذين كفروا، وأنهم في مكرهم هذا لم يسلكوا إلا سبيل التشغيب الذي لا يقوم برهان، فلم يأتوا بحجة على دفع ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم تقع من أحد منهم أي معارضة أو إنكار لبلاغة القرآن، وإنما قصر نظرهم على حكاية القصص دون نظر إلى الألفاظ والمعاني والمقاصد.

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٤/٢٧٠)، وانظر: روح المعاني (٥/١٨٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

"وإنما صار القرآن معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد الله عَزَّجَلَّ وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة. ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله عَزَّجَلَّ بمن عصى وعاند منهم، منبهاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الماضية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه. ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، ومناقضته في شكله. ثم صار المعاندون له ممن كفر به وأنكره يقولون مرة: إنه شعر لما رأوه منظوماً، ومرة: إنه سحر لما رأوه معجوزاً عنه، غير مقدور عليه. وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلب، وقرعاً في النفس يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف؛ ولذلك قالوا: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وكانوا مرة لجهلهم وحيرتهم يقولون: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] مع علمهم أن صاحبهم أمي، وليس بحضرة من يملئ أو يكتب شيئاً، ونحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقد حكى الله عز وجل عن بعض مردتهم - وهو الوليد بن المغيرة المخزومي - أنه لما طال فكره في القرآن، وكثر ضجره منه، وضرب له الأخماس من رأيه في الأسداس فلم يقدر على أكثر من قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الدثر: ٢٥] عنادًا وجهلاً به، وذهابًا عن الحجة وانقطاعًا دونها^(١).

ولما حكى الله عز وجل مكر الذين كفروا في ذات محمد صلى الله عليه وسلم، حكى مكرهم في دين محمد عليه الصلاة والسلام، روي أن النضر بن الحرث خرج إلى الحيرة تاجرًا، واشترى أحاديث قليلة ودمنة، وقصة ورستم وأسفنديار، وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم، فيقرأ عليهم أساطير الأولين، وكان يزعم أنها مثل ما يذكره محمد صلى الله عليه وسلم من قصص الأولين، فهذا هو المراد من قوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

فإن قيل: الاعتماد على كون القرآن معجزًا هو أن الله عز وجل قد تحدى العرب بمعارضته فلم يأتوا بها، وهذا الآية تدل على أنه أتى بالمعارضة؟

والجواب: أن كلمة: (لو) تفيد انتفاء الشيء؛ لانتفاء غيره. فقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١] يدل على أنه ما شاء ذلك القول، وما قالوا. فثبت أن النضر بن الحرث أقر أنه أتى بالمعارضة، وإنما أخبر أنه لو شاء أتى بها، وهذا ضعيف؛ لأن

(١) البرهان في علوم القرآن (١٠٢/٢)، ثلاث رسائل في الإعجاز، رسالة الإمام الخطابي (ص: ٢٨)، وانظر: الإتيان (٣٢٠/٢)، إعجاز القرآن، للباقلاني (ص: ١٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد بن الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

المقصود إنما يحصل لو أتى بالمعارضة، أما مجرد هذا القول فلا فائدة فيه، كذا أفاد الفخر الرازي رحمه الله في (التفسير) (١).

وقال الزمخشري رحمه الله: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ الآية [الأنفال: ٣١] انتقل إلى ذكر بهتان آخر من حجاج هؤلاء المشركين، لم تزل آيات هذه السورة يتخللها أخبار كفرهم.

قال: وهذا القول مقالة المتصدين للطعن على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاجته، والتشغيب عليه: منهم النضر بن الحارث، وطعمية بن عدي، وعقبة بن أبي معيط. ومعنى: ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الأنفال: ٣١]: قد فهمنا ما تحتوي عليه، لو نشاء لقلنا مثلها وإنما اهتموا بالقصص، ولم يتبينوا مغزاها، ولا ما في القرآن من الآداب والحقائق، فلذلك قال الله عز وجل عنهم: ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] أي: لا يفقهون ما سمعوا.

ومن عجيب بهتانهم: أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحداهم بمعارضة سورة من القرآن، فعجزوا عن ذلك وأفحموا، ثم اعتذروا بأن ما في القرآن أساطير الأولين، وأنهم قادرون على الإتيان بمثل ذلك.

(١) انظر تمام ما ذكره الفخر الرازي في (مفاتيح الغيب) (١٥/٤٧٨-٤٨٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

وقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١] نفاجة منهم، و صلف تحت الراعدة ^(١)؛ فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحدّاهم وقرعهم بالعجز، حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه ^(٢)، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة، وأن يماثنتهم واحد، فيتعللوا بامتناع المشيئة ^(٣)، ومع ما علم وظهر ظهور الشمس، من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتهالكهم على أن يغمروه ^(٤). وقيل: قائله النضر بن الحرث المقتول صبراً ^(٥)، حين سمع اقتصاص الله عزَّ وجلَّ أحاديث القرون: لو شئت لقلت

(١) قوله: نفاجة، قال في (العين): "رجل نفاج: ذو نفج، يقول ما لا يفعل، ويفتخر بما ليس له ولا فيه" العين، مادة: (نفج) (١٤٥/٦). وفي (الصحيح) (٣٤٥/١): "رجلٌ نَفَّاجٌ: إذا كان صاحب فخر وكبر". و(الصلف): مجاوزة الحد كبيراً. و(الراعدة): السحابة. وهذا مثل يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به. وفي (الصحيح)، مادة: (رعد): (٤٧٤/٢): "يقال: (صَلَفٌ تحت الراعدة)، للرجل يُكثِر الكلام، لا خير عنده". "وفي المثل: (رُبَّ صَلَفٍ تحت الراعدة) يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به" الصحيح، مادة: (صلف): (١٣٨٧/٤).

(٢) القدح المُعَلَّى: أحد سهام الميسر، وهو أوفر السهام نصيباً، يخرج للغالب. يقال: (له القدح المُعَلَّى) أي: الحظ الأوفر.

(٣) قوله: (وإلا فما منعهم): أي: وإن لم يكن نفاجة فما منعهم عن أن يشاؤوا غلبة من تحداهم حتى يفوزوا بالقدح المعلى دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

(٤) قوله: (على أن يغمروه)، قال الجوهري: "العَمْرُ: الماء الكثير. وقد عَمَرَهُ الماء يَعْمُرُهُ، أي: علاه. ومنه قيل للرجل: عَمَرَهُ القَوْمُ، إذا علوه شرفاً" الصحيح، مادة: (غمر) (٧٧٢/٢).

(٥) قوله: (المقتول صبراً)، أي: حبساً. قال الجوهري: "يقال: قُتِلَ فلان صَبْرًا وَخَلَفَ صَبْرًا: إذا حُسِّنَ على القتل حتى يُقْتَلَ أو على اليمن حتى يحلف" الصحيح، مادة: (صبر) (٧٠٦/٢). ومن ذلك حديث =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

مثل هذا. وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث: رُسْتُمْ وَأَسْفَنْدِيَارَ، فزعم أن هذا مثل ذاك، وأنه من جملة تلك الأساطير، وهو القائل: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ [الأفقال: ٣٢]، وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر. ومراده: نفى كونه حقًا، وإذا انتفى كونه حقًا لم يستوجب منكره عذابًا، فكان تعليق العذاب بكونه حقًا مع اعتقاد أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقًا، فأمطر علينا حجارة. وقوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق.

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له^(١). أي: الذي هو الأصلح لهم، ولكن لشدة جهلهم وعتوهم وعنادهم

=أنس: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ تُصَبَّرَ الْبَهَائِمُ» صحيح البخاري [٥٥١٣]، مسلم [١٩٥٦]، أي: أن تحبس وهي حية؛ لتقتل بالرمي ونحوه. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حلف على يمين صَبْرٍ، يقطع بها مال امرئ مسلم، وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان» صحيح البخاري [٢٣٥٦]، ٤٥٤٩، ٦٦٥٩، ٦٦٧٦، مسلم [١٣٨]. و«يَمِينُ الصَّبْرِ» هي التي يصبر فيها نفسه على الجرم باليمين. و (الصبر): الحبس، فكأنه يحبس نفسه على هذا الأمر العظيم، وهي اليمين الكاذبة. ويقال لمثل هذه اليمين: (الغموس) أيضًا.

(١) الكشف (٢/ ٢١٦-٢١٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا تقديم العقوبة، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

وقد حرّرت القول في ذكر أوجه إعجاز القرآن، وبيان ما يتحقّق به في الجزء الثاني من كتاب: (تذكرة وبيان من علوم القرآن).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّيبِيَّيْنِ بُورِي

[ومن سورة التوبة]

ن

[١] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ بِسَنَدِهِ: عن عبد الله بن مطيع، حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: «آلتوبة؟» قال: «بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد، إلا ذكر فيها»، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: «تلك سورة بدر»، قال: قلت: فالحشر، قال: «نزلت في بني النضير»^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (التفسير)، باب في سورة براءة، والأنفال، والحشر. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللهُ.

(١) صحيح مسلم (٣١) [٣٠٣١].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وقوله: باب في سورة براءة، والأنفال، والحشر: فيه خلل بين في الترتيب والتبويب. والذي يظهر - كما قدمنا - أن هذا التبويب هو من فعل الشراح؛ ولم يأت في المطبوع منه متكاملًا ولا مرتبًا - كما تقدم -.

وقد أحررنا (سورة الحشر)؛ بناء على ما التزمنا به من الترتيب بما يتوافق مع ترتيب الآيات والصور في المصحف.

والحديث أخرجه أيضًا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿الْجَلَاءُ﴾ [الحشر: ٣]: الإخراج من أرض إلى أرض^(١).

والحديث فيه مسائل:

المسألة الأولى: تسمية سورة التوبة:

يدل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على تسمية سورة التوبة بالفاضحة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كانت هذه السورة تسمى: الفاضحة، فاضحة المنافقين»^(٢)؛ لأنها تفضح المنافقين حيث تظهر

(١) صحيح البخاري [٤٨٨٢، ٤٨٨٣].

(٢) أخرج ابن جرير [١٦٩٠٩] (٣٣٢/١٤)، وابن أبي حاتم [١٠٠٤٥] (١٨٢٩/٦). قال السيوطي: "أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ: عن قتادة قال: «كانت هذه السورة تسمى الفاضحة فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة أنبأت بمثالبهم وعوراتهم» الدر المنثور (٢٢٩/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

معانيهم. قال ابن بطل رحمه الله: "سميت الفاضحة؛ لأن الله عز وجل قد حكى فيها أقوال المنافقين، وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولمزاهم في الصدقات وغيرها" (١).

وتسمى: (سورة العذاب)، كما جاء في الحديث: عن حذيفة رضي الله عنه قال: «التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب» (٢).

وسورة التوبة مدنية باتفاق الجميع. قال مقاتل: إلا الآيتين الأخيرتين منها، فمكيتان (٣).

قيل: أهل المدينة يسمونها: التوبة، وأهل مكة: الفاضحة (٤).
وتسمى أيضاً: (سورة براءة)؛ تسمية لها بأول كلمة منها؛ ولما لها من دلالة ظاهرة على قوة المسلمين التي كانت في ختام الرسالة، والتي يتبعها تشريعات متصلة بهذا المعنى، وسريان هذا المعنى في عموم السورة، فمرجع أكثر ما ذكر فيها إليها.

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٢٦٢/٩).

(٢) أخرجه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص: ٢٤١)، وابن أبي شيبة [٣٠٢٦٩]، والطبراني في (الأوسط) [١٣٣٠]، والحاكم [٣٢٧٤]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. قال الهيثمي (٢٨/٧): "رواه الطبراني في (الأوسط)، ورجاله ثقات"، وأخرجه أيضاً: أبو عمرو الداني في (البيان في عد آي القرآن) (ص: ١٦٠). قال السيوطي: "أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني في (الأوسط)، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه: عن حذيفة رضي الله عنه" الدر المنثور (١٢٠/٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٣/٢)، تفسير عبد الرزاق (١٣١/٢)، تفسير الطبري (٣٠٣/١١)، الوسيط (٤٧٥/٢)، تفسير السمعاني (٢٨٤/٢)، معالم التنزيل (٧/٤)، الكشف (٢٤١/٢)، تفسير القرطبي (٦١/٨)، الدر المنثور (١١٩/٤)، البرهان في علوم القرآن (٢٠٢/١).

(٤) انظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ص: ١٦٠)، مصاعد النظر، للبقاعي (١٥٦/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ومما يدل على تسميتها ببراءة: ما جاء في (الصحيح): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة حج أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالناس، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَذَنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مَنَى بَرَاءَةً»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دعي له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أَعَدَّدُ عليه قوله، فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «أَخْرُ عَنِي يَا عُمَرُ» فلما أكَثَرْتُ عليه، قال: «إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يَغْفِرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قال: فصلى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، قال: فعجبت بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ، والله ورسوله أعلم^(٢).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «آخر سورة نزلت كاملة: براءة..»^(٣).

وعن ابن السباق، أن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثه قال: «أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ

(١) صحيح البخاري [٤٦٥٥].

(٢) صحيح البخاري [١٣٦٦، ٤٦٧١].

(٣) صحيح البخاري [٤٣٦٤، ٤٦٥٤، ٤٦٥٥]، مسلم [١٦١٨].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

أجدها مع أحد غيره»، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة (١). وفيه: تسميتها أيضاً بالتوبة، وهما الاسمان الموجودان في المصاحف. وبذلك ترجمها الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التفسير من (صحيحه) (٢)، وكذلك الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ في (صحيحه) - كما تقدم -.

ولها عدة أسماء - كما قال جار الله الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره - : "براءة، التوبة، المقشقة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدممة" (٣)، سورة العذاب؛ لأنَّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقر من النفاق، أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين، [أي: تبحت عنها، وتثيرها وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم] (٤)، أي: تهلكهم.

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما تسميتها بالتوبة فلقلوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ الآية [التوبة: ١١٨]، فعُلبت على العذاب، فسميت بالتوبة" (٥). ويقال: قد تكرر ذكر التوبة فيها في غير موضع من السورة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ تَابْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٣]، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

(١) صحيح البخاري [٧٤٢٥].

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦٣/٦).

(٣) أي: المهلكة لهم.

(٤) الكشف (٢٤١/٢)، مفاتيح الغيب (٥٢١/١٥)، وانظر الروايات في (الدر المنثور) (١١٩/٤-١٢٢).

(٥) حاشية الطيبي على الكشف (١٦١/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [التوبة: ٥]، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَاوَنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، ﴿وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وفيها دلالة أن الإنسان مهما بلغ به الحال من العصيان والمكر والإيذاء والإجرام، فإن باب التوبة مفتوح، فغلب ذكر التوبة على العذاب؛ لسعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وقبوله التوبة عن عباده بشروطها مهما كان حال العبد.

المسألة الثانية: قوله: «ما زالت تنزل ومنهم ومنهم»:

مرتين، ومراده: ما جاء في السورة من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمي بوري

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧٥)
فَلَمَّا آتَوْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَحَلُّوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ
يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

المسألة الثالثة: قوله: «حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد، إلا ذكر فيها»:

رواية البخاري رحمه الله: «حتى ظنوا أنها لن تبقى»، وفي رواية: «حتى ظنوا أنها لم
تبق»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "في رواية الكشميهني رحمه الله: «لن تبقى» وهي
أوجه؛ لأن رواية: «لم تبقى» تقتضي استيعابهم بما ذكر من الآيات، بخلاف «لن تبقى»
فهي أبلغ. وفي رواية الإسماعيلي رحمه الله: «أنه لا يبقى»^(١).

المسألة الرابعة: قوله: قال: «تلك سورة بدر»:

يدل حديث: ابن عباس رضي الله عنهما في (صحيح مسلم) على تسمية سورة الأنفال
بسورة بدر.

وسبب التسمية أنها نزلت في شأن غزوة بدر، وما حدث فيها وما حدث قبلها
وبعدها.

(١) فتح الباري (٨/٦٢٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

والتسمية بسورة بدر أعم من حيث المعنى من التسمية بسورة الأنفال، ولكن مسألة الأنفال هي الموضوع الأبرز في الغزوة والسورة - كما سيأتيك في سر التسمية - وقد جاء في الحديث: عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سورة الأنفال، قال: «نزلت في بدر»^(١).

وأخرج أبو داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في (سننه): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا، فله من النفل كذا وكذا»، قال: فتقدم الفتیان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عَزَّجَلَّ عليهم قال المشيخة: كنا ردءاً لكم لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتیان وقالوا: جعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا، فأنزل الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥]، يقول: «فكان ذلك خيراً لهم، فكَذلك أيضاً فأطيعوني؛ فإني أعلم بعاقبة هذا منكم»^(٢).

(١) صحيح البخاري [٤٦٤٥، ٤٨٨٢]. قال السيوطي: "أخرج سعيد بن منصور، والبخاري، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه: عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال قال: «نزلت في بدر»، وفي لفظ: «تلك سورة بدر» الدر المنثور (٣/٤). وانظر: معالم التنزيل (٧/٤)، فضائل القرآن، لأبي العباس المستغفري (٥٥٤/٢)، الإتيان (١٩٢/١)، روح المعاني (١٤٧/٥).

(٢) أخرجه أبو داود [٢٧٣٧]، والحاكم [٢٥٩٤]، وصححه، قال الذهبي: "الحديث على شرط البخاري"، كما أخرجه البيهقي في (الكبرى) [١٢٧١٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "النفل: ما زاد من العطاء على القدر المستحق منه بالقسمة، ومنه: النافلة، وهي الزيادة من الطاعة بعد الفرض، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينفل الجيوش والسرايا؛ تحريضاً على القتال، وتعويضاً لهم عما يصيبهم من المشقة والكآبة، ويجعلهم أسوة الجماعة في سهمان (١) الغنيمة" (٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيه: إثبات النفل، وهو مجمع عليه، واختلفوا في محل النفل، هل هو من أصل الغنيمة، أو من أربعة أخماسها، أو من خمس الخمس؟" (٣).
وقد نزلت (سورة الأنفال) في شأن غزوة بدر الكبرى، التي حدثت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها" (٤).

(١) "السَّهْم: الحظُّ، والجمع: سُهْمَانٌ وسُهُمَةٌ" المحكم، مادة: (سهم) (٢٢٥/٤).

(٢) انظر: معالم السنن، للخطابي (٣٠٩/٢)، كشف المشكل، لابن الجوزي (٥٠٢/٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٥٤/١٢)، وانظر: طرح التثريب (٢٥٦/٧)، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملتن (٣٢٦/١٠). وقيل: المراد بها: خصوص ما شذ عن الكافرين إلى المؤمنين، وأخذ بغير حرب، كالفرس، والبعير يذهب من الكافرين إلى المسلمين، وعلى هذا التفسير فالمراد بالأنفال هو المسمى عند الفقهاء فيئاً، وقيل: المراد بها أنفال السرايا خاصة.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (١٦٦/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "نزلت في قصة بدر بلا خلاف، بل جميع سورة الأنفال أو معظمها نزلت في قصة بدر" (١).

وقال جماعة من المفسرين: نزل قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ [الأنفال: ٦٤-٦٥] بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (٢).

وبناء على ما تقدم فإن سورة الأنفال مدنية بالاتفاق.

قيل: إلا سبع آيات، فإنها نزلت بمكة، وهي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] إلى آخر الآيات السبع (٣).

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: "والأصح: أنها نزلت بالمدينة وإن كانت الواقعة بمكة" (٤).

(١) فتح الباري (٢٨٦/٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٤/٢)، الكشاف (٢٣٤/٢)، مفاتيح الغيب (٥٠٣/١٥)، النكت والعيون (٣٣١/٢)، البحر المحيط في التفسير (٣٤٨/٥)، التفسير البسيط (٢٣٢/١٠)، مصاعد النظر (١٤٥/٢).

(٣) انظر: أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي (٣٨٧/٢)، تفسير السمعاني (٢٤٦/٢)، تفسير القرطبي (٣٦٠/٧).

(٤) تفسير البغوي (معالم التنزيل) (٣٢٣/٣)، مصاعد النظر (١٤٥/٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

المسألة الخامسة: بيان سر التسمية:

تقدم أن البحث عن سر التسمية يجب أن ينحصر في دائرتين اثنتين لا ثالث لهما: أولهما: أن يكون سر التسمية هو بيان موقع السورة من القرآن الكريم وذلك منحصر في سورة واحدة هي: الفاتحة. وأما الدائرة الثانية فهي أن يكون سر التسمية هو بيان أبرز الموضوعات، أو قل: الموضوع الأبرز في السورة، وبحيث يعد هذا الموضوع بمثابة نقطة الارتكاز التي تدور من حولها حلقة موضوعات السورة بأسرها. وسبب التسمية بسورة بدر أنها القضية الأبرز التي تناولت السورة موضوعاتها، فقد نزلت في شأن غزوة بدر، وما حدث فيها وما حدث قبلها وبعدها. والتسمية بسورة بدر أعم من حيث المعنى من التسمية بسورة الأنفال، ولكن مسألة الأنفال هي الموضوع الأبرز في الغزوة والسورة، وهي المسألة الأكثر أهمية من بين موضوعاتها الأخرى، وهي تبرز الغاية من كل عمل، أن يكون خالصاً لله عَزَّوَجَلَّ، وتقطع الخلاف والنزاع على حطام الدنيا، وتدعو إلى الاعتصام والتآلف، وإصلاح ذات البين، وهو أحوج ما يكونون إلى ذلك مع بداية الفتح؛ فإن أعظم أسباب القوة إصلاح ذات البين التي تحقق الألفة والاتفاق، ويحصل بها المواساة والمساعدة في الغنائم وغيرها.



الشرح التحليلي للكتاب النضير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي سبأوري

المسألة السادسة: سورة الحشر:

وتسمى: سورة النضير؛ لأنها نزلت فيهم، قيل: كأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كره تسميتها سورة الحشر؛ لئلا يظن أن المراد بالحشر: حشر يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير. قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير مرجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحد^(١).

وهي مدنية بالاتفاق.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تسمية سورة الحشر: سورة النضير؛ لأنها نزلت فيهم. قال الداودي رَحِمَهُ اللَّهُ: كأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كره تسميتها سورة الحشر؛ لئلا يظن أن المراد بالحشر: يوم القيامة، أو لكونه مجملًا فكره النسبة إلى غير معلوم، كذا قال. وعند ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نزلت سورة الحشر في بني النضير، وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فيها الذي أصابهم من النعمة»^(٢).

روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «من شك أن الحشر بالشام فليقرأ آية:

﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]^(٣)، فكان أول حشر إلى الشام.

(١) انظر: إرشاد الساري (٣٧٤/٧)، سبل الهدى والرشاد (١٨١/٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣٣٢-٣٣٣/٧)، (٦٢٩/٨)، وانظر: التوضيح (١٢٢/٢١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في (التفسير) [١٨٨٥٢] (٣٣٤٦/١٠)، والبخاري (كشف الأستار) [٣٤٢٦]، وانظر: إرشاد الساري (٣٧٤/٧)، معالم التنزيل (٦٩/٨)، الكشف والبيان (٢٦٨/٩)، تفسير ابن كثير (٥٩/٨)، قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٣٨٠/١١): "وفي (تفسير ابن عيينة): "عن ابن عباس: =



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

والحشر في الآخرة يكون بعد النفخ، ويكون على أرض أخرى غير هذه الأرض، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الحشر: الجمع، وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا أحدهما: المذكور في سورة الحشر. والثاني: الحشر المذكور في أشراف الساعة الذي أخرجه مسلم من حديث: حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي حديث: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد وأبي يعلى رَحِمَهُمَا اللَّهُ مرفوعاً: «تخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس» الحديث. وفيه فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام»... الخ^(١). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»: إرادة تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق. ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، كما هو مقرر في كتاب الفتن.

(١) أخرجه ابن أبي شيبه [٣٧٣٢٠]، وأحمد [٤٥٣٦]، والترمذي [٢٢١٧]، وقال: "وفي الباب: عن حذيفة بن أسيد، وأنس، وأبي هريرة، وأبي ذر، وهذا حديث حسن صحيح غريب من حديث: ابن عمر". كما أخرجه البزار [٦٠٤٤]، وأبو يعلى [٥٥٥١]، وابن حبان [٧٣٠٥]، قال الهيثمي (٦١/١٠): "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح".



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّمَشْقِيِّ

وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فالأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، وقيل غير ذلك.

والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف.
والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار انتهى ملخصا. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ:
الأول ليس حشرًا مستقلاً؛ فإن المراد: حشر كل موجود يومئذ. والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة، وقد وقع نظيره مراراً، تخرج طائفة من بلدها بغير اختيارها إلى جهة الشام، كما وقع لبني أمية أول ما تولى ابن الزبير الخلافة، فأخرجهم من المدينة إلى جهة الشام، ولم يعد ذلك أحد حشرًا.. " (١).

وبنو النضير هم رهط من اليهود من ذرية هارون عَلَيْهِ السَّلَام، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل؛ انتظاراً لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من أمرهم ما نص الله عليه (٢).
واتفق المفسرون على أن بني النضير كانوا قد صالحوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبي الذي نعتته في التوراة، لا ترد له راية، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فكان من أمرهم ما كان.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/٣-١٨)، فتح الباري، لابن حجر (٣٧٨/١١-٣٧٩)،

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٢٠٦/٤)، تفسير القرطبي (٢/١٨).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن ض

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يذهبُ الليل والنهار حتى تُعبدَ اللات والعزى»، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظنُّ حين أنزل الله عزَّجَل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًّا قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعثُ الله رِيحًا طَيِّبَةً، فتوفِّي كُلٌّ من في قلبه مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ من إيمانٍ، فيَبْقَى من لا خَيْرَ فيه، فيَرْجِعُونَ إلى دين آبائهم»^(١).

(١) صحيح مسلم (٥٢) [٢٩٠٧].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

وقيل: هي صنم لغطفان، وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وهو قول الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقيل: إن العُزَّى هي شجرة لغطفان يعبدونها، وهو قول مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)، وهي التي بعث إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ فقطعها، وجعل خالد رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ يضربها بالفأس ويقول:

يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(٢)

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العزى وكان بيتاً عظيماً لقريش، وكنانة، ومضر تبجله فهدمها، وجعل يقول:

يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ"^(٣)

وقال مقاتل: "وأما اللات فلتثيف، وأما العزى فلسليم، وغطفان، وغشم، ونصر بن معاوية، وسعد بن بكر"^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٢٤/٢٢)، الكشف والبيان (١٤٥/٩).

(٢) انظر: المغازي، للواقدي (٨٧٣/٣-٨٧٤)، معاني القرآن، للفراء (٩٨/٣)، الكشف والبيان (١٤٥/٩)، تاريخ دمشق (٢٣٢/١٦)، سير أعلام النبلاء (٣٦٩/١)، الوسيط (١٩٩/٤)، البسيط (٤٢/٢١)، تفسير ابن كثير (٤٥٦/٧). وفي (الانتصاف) (٤٢٢/٤): "عز: مرخم: عزى. وترخيمه شاذ؛ لأنه ليس رباعياً ولا مؤنثاً بالهاء، وهي شجرة كانت نعبدوها الجاهلية. وكفرانك: نصب بمحذوف وجوباً، كسبحان، أي: أكفر كفراناً بك، لا أنزه تنزيهاً لك، فهما مصدران مغنيان عن اللفظ بفعليهما. والإهانة: الإذلال".

(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر (٤٢٨/٢).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٤٥٣/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: "وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزى ومناة الثالثة: أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها" (١).

قال الشيخ شهاب الدين رَحِمَهُ اللهُ: "وهل هي والعزى علّمان بالوضع، أو صفتان غالبتان؟ خلافٌ ويترتبُ على ذلك جوازُ حذفِ أل وعدمه. فإن قلنا: إنهما ليسا وصفين في الأصل فلا تُحذفُ منهما أل. وإن قلنا: إنهما صفتان، وإنَّ ألَّ لِلْمَحِ الصفةِ جاز، وبالتقديرين فال زائدةٌ.

وقال أبو البقاء رَحِمَهُ اللهُ: وقيل: هما صفتان غالبتان مثل: الحارث والعباس فلا تكون أل زائدة - انتهى - (٢).

وقد اختلف القراء في الوقف على تأنها، فوقف الكسائي رَحِمَهُ اللهُ عليها بالهاء؛ والباقون بالتاء. وهو مبني على القولين المتقدمين. فمن جعلها تاء أصلية أقرها في الوقف كتاء بيت. ومن جعلها زائدة وقف عليها هاء. والعامّة على تخفيف تأنها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، ومنصور بن المعتمر، وأبو الجوزاء، وأبو صالح؛ وابن كثير في رواية بتشديد التاء. فقيل: هو رجل كان يُلْتُ السَّوْبِقُ وَيُطْعِمُ الْحَاجَّ. فهي اسم فاعل في الأصل، غلب على هذا الرجل، وكان يجلس عند حجر، فلما مات سَمِّيَ الحجرُ باسمه،

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٢٥/٢٢)، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦٢٥/٤).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (١١٨٧/٢-١١٨٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

وعكفوا على قبره يعبدونه؛ ثم صنعوا له صورة، وعبدوها. والعزى: فعلى من العز. وهي تأنيث الأعز، كالفُضلى والأفضل. وهي اسم صنم أو شجرة كانت تعبد^(١).

المسألة الثانية: قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنْ كُنْتُ لِأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ الآية [التوبة: ٣٣]:

«إِنْ» هي المخففة من المثقلة، واللام هي الفارقة. قال المظهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وشرط (إِنْ) المكسورة إذا خففت أَنْ تدخل على الأفعال الداخلة على المبتدأ أو الخبر، وهي كان وأخواتها، وأفعال القلوب، ويلزمها اللام الفارقة في خبرها؛ لتفرق بينها وبين (إِنْ) الشرطية والنافية، تقديره: إنه كنت لأظن؛ يعني: أن الشأن والحديث كنت لأظن"^(٢). قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كَأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهَمَّتْ مِنْ هَذَا أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَعْبُدُ أَبَدًا، وَأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ لَا يَزَالُ ظَاهِرًا غَالِبًا عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَابَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي أَغْلَبِ الْبُلْدَانِ وَفِي أَكْثَرِ الْأَزْمَانِ، لَا أَنَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ تَنْقُطُ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ تَذْهَبُ بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَقُلْ: يَمْحُو بِهِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وَقَدْ أَظْهَرَهُ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ، وَأَبْقَاهُ مَعَ تَجَدُّدِ الْأَزْمَانِ، كَيْفَ لَا، وَقَدْ ائْتَدَ الْإِسْلَامُ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ، مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى أَقْصَى مَغْرِبِهَا

(١) الدر المصون (١٠/٩١-٩٢).

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٥/٤٦٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحافظ بن مسعود القشيري الذي ينسب إلى

حتى غلب أهل الأكاصرة، والقياصرة، والهاقلة، والتابعة، والبلاد اليمنية، وكثيراً من البلاد الهندية؟ فغلبوا على متعباتهم، ومواضع قرباتهم وصلواتهم، فلقد صدق الله عز وجل وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده" (١).

وقولها: «حين أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ الآية [التوبة: ٣٣]» أي: بالتوحيد ودين الحق أي: وبالشرعة الثابتة، ولما كان مؤداهما واحداً أفرد الضمير في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: ليعليه ويغلبه على الدين كله، أي: على الأديان جميعها، باطلها بردها، وحققها بنسخها.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢) أي: ما عليه الموحدون المخلصون.
«أن ذلك»: بفتح الهمزة مفعول لأظن، و«حين أنزل الله عز وجل»: ظرف له، أي: كنت أظن حين إنزال تلك الآية أن ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون «تاماً» أي: كاملاً شاملاً للأزمة كلها.
و«تام» يروى بالرفع، أي: كنت أظن أن عبادة الأصنام قد تمت وانقضت، ولا يكون بعده أبداً، وبالنصب إما على الحالية، وخبر «ذلك» محذوف، أو خبر منصوب بالكون المُقَدَّر (٢).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٤٨/٧-٣٤٩).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٣٥٠/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

المسألة الثالثة: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله..»

الحديث:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه» أي: الشأن، «سيكون من ذلك» أي: بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر. «ما شاء الله» أي: مدة مشيئته. و«كان» تامة و«ما شاء الله» فاعله، أي: مقدار شاءه الله عَزَّوَجَلَّ، أو ظرف فاعله. «ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى»: بصيغة المجهول أي: فقبض «كل من كان في قلبه».

وفي نسخة بصيغة الفاعل على أنه حذف منه إحدى التاءين أي: تتوفى على إسناد التوفي إلى الريح مجازاً، فيكون «كل» منصوباً على المفعولية، والمعنى: تمت كل من كان في قلبه «مَثْقَالَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»، أي: كان في قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبي، واليقين بالأموال الإجمالية. «فيبقى من لا خير فيه» أي: لا إسلام ولا إيمان. «فيرجعون إلى دين آبائهم» أي: الأولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين.

وبدل كذلك على ظهور هذا الدين على سائر الأديان إلى الأجل الذي أَرَادَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

(١) صحيح البخاري [١٠٠]، مسلم [٢٦٧٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» ^(١) - كما سيأتي -.

المسألة الرابعة: خصوص معنى الحديث، وبيان المراد من ظهور دين الله عز وجل: قال ابن بطل رحمه الله: "هذه الأحاديث وما جانسها معناها الخصوص، وليس المراد بها أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه قد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إلا أنه يضعف ويعود غريباً كما بدأ. وروى حماد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» ^(٢)، وكان مطرف يقول: هم أهل الشام، فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الخبر خصوصه سائر الأخبار التي خرجت مخرج العموم، وصفة الطائفة التي على الحق مقيمة إلى قيام الساعة أنها بيت المقدس دون سائر البقاع، فبهذا تأتلف الأخبار ولا تتعارض، وقد تقدم في كتاب: (العلم) في باب: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ^(٣).

(١) صحيح مسلم [٢٩٤٩].

(٢) أخرجه أحمد [١٩٩٢٠]، وأبو داود [٢٤٨٤]، والطبراني في (الكبير) [٢٢٨]، والحاكم [٢٣٩٢]، وقال:

"صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٦٠/١٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وتعقبه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فقال: "ليس فيما احتج به تصريح إلى بقاء أولئك إلى قيام الساعة، وإنما فيه حتى يأتي أمر الله عَزَّجَلَّ، فيحتمل أن يكون المراد بأمر الله عَزَّجَلَّ: ما ذكر من قبض من بقي من المؤمنين، وظواهر الأخبار تقتضي أن الموصوفين بكونهم ببیت المقدس أن آخرهم من كان مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ثم إذا بعث الله عَزَّجَلَّ الريح الطيبة فقبضت روح كل مؤمن لم يبق إلا شرار الناس.

وقد أخرج مسلم من حديث: ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفعه: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»^(١)، وذلك إنما يقع بعد طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وسائر الآيات العظام، وقد ثبت أن الآيات العظام مثل: السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة... الخ»^(٢).

وقد وعد الله عَزَّجَلَّ بأنه سيظهر دينه على سائر الأديان، ووفى بما وعد. وقد أظهره على كل الأديان، وأبقاه مع تجدد الأزمان، فامتد الإسلام في معمور الأرض، من مشرقها إلى أقصى مغربها حتى غلب أهلها الأكاسرة، والقيصرة، والهرائلة، والتابعة، والبلاد اليمينية، وكثيراً من البلاد الهندية؟ فغلبوا على متعبداتهم، ومواضع قرباتهم وصلواتهم، فلقد صدق الله عَزَّجَلَّ وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده.

(١) صحيح مسلم [٢٩٤٩].

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٧٧/١٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ويعلم ذلك الظهور من أثر الدين في النفس من حيث الاعتقاد والسلوك، وذلك بأن يصبح هيئة راسخة في النفس، فتأمل في حال المسلمين بالمقارنة مع حال غيرهم، فمن الذي يحملهم على تحمل مشاق التكليف من الصلاة، والصوم، والحج، وسائر العبادات الأخرى؟ وما الذي يلزمهم بالمعاملات الإسلامية؟ وهل حال المساجد كحال الكنائس -مثلاً- من حيث الصلاة فيها والتردد إليها؟ وهل واقع الحال في البلاد الإسلامية كواقع الحال في البلاد الغربية من حيث التمسك بالدين؟ إنك إذا ذهبت إلى أي من البلاد الغربية فلن تحسب أهله من أهل الكتاب، ولن تجد لكتابهم من أثر ظاهر في نفوسهم، وإنما الواقع أن الغالب منهم لا يؤمنون بدين مطلقاً، وإنما تجدهم أصحاب المذهب الوضعي، والفلسفة المادية، لا يؤمنون بأي دين ولا بأي كتاب.

ولكن التأخر عن المجتمعات الأخرى إنما سببه ما أحاط بالمسلمين من الظروف والأحوال، وتسلب الآخرين عليهم، والاستبداد والظلم، فانشغل الناس بطلب المعاش عن طلب العلم، وما يحقق لهم الأمن والسلامة، فيد الظالم فيها من حديد، والناس له عبيد، وأي عبيد.

وقد كان العمل من الآخرين على طمس معالم الحق، وعلى التبعية للآخرين في ثقافتهم وانحلالهم.

والناس تشوفوا إلى ما عند الآخرين مما يحقق الأمن والحرية والكرامة.. وكل ذلك مفقود في أوطانهم..



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

فكان الغزو الفكري والتبشير والتغريب الذي يحط من الثقافة والحضارة الإسلامية، ويدعو إلى تقليد الغرب من حيث النظر إلى ما آل إليه واقع الشعوب. فكان المقلدون منافذ لتطرق الأعداء إلى هذه الأمة، وطلّاع لجيوش الغالبيين، وأرباب الغزوات، يمهّدون لهم السبل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم. ولم يتغير الحال؛ وإنما زاد التخلف والانحدار..

إننا معشر المسلمين إذا لم يؤسس نهوضنا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

ن ض

[٣] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللهُ: عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سُلُوفَ جاء ابنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكْفِنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله أَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَقَدْ هَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيْرِي اللهُ فقال: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَسَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ»، قال: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلْ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

* حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بهذا الإسناد نحوه، وزاد قال: «فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ»^(١).

(١) صحيح مسلم (٢٥) [٢٤٠٠]، (٣) [٢٧٧٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (الفضائل)، باب: من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وفي كتاب: (صفات المنافقين وأحكامهم) باعتبار ما اشتهر من المطبوع
والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.
وقد أشار القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تقدمه في كتاب: (الجنائز)، باعتبار تبويه في
(تلخيص كتاب مسلم).

وكذلك قصة بدر، أشار إلى تقدمها في كتاب: (الجهاد) باعتبار تبويه.
وكذلك حديث: توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب:
(الرقاق والتوبة)، باب: يهجر من ظهرت معصيته حتى تتحقق توبته وقبول الله عز وجل
للتوبة الصادقة، وكيف تكون أحوال التائب، لم يذكره في كتاب: (التفسير)، وإنما أشار
إلى تقدمه

ويلاحظ أنه لم يرتب هنا ما أشار إلى تقدمه على وفق الترتيب المصحفي.
والحديث أخرجه البخاري في كتاب: (الجنائز)، باب: الكفن في القميص الذي
يكف أو لا يكف، ومن كفن بغير قميص^(١).
وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ
تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]^(٢).

(١) صحيح البخاري [١٢٦٩].

(٢) صحيح البخاري [٤٦٧٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وباب قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

وفي كتاب: (اللباس)، باب: لبس القميص (٢).

وفي رواية عند البخاري: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ابْنُ سُلُوفٍ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أَبِي وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أَعَدَّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «أَخْرَجَنِي يَا عُمَرُ»، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٍ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (٣).

(١) صحيح البخاري [٤٦٧٢].

(٢) صحيح البخاري [٥٧٩٦].

(٣) صحيح البخاري [١٣٦٦، ٤٦٧١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يسنن أبو ي

بيان الراد من الحديث:

الحديث يتناول قصة وفاة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وقد طلب ابنه عبد الله من النبي ﷺ قميصه؛ ليكفن فيه أباه فأعطاه، ثم طلب ثم سأل أن يُصلي عليه فصلى عليه رسول الله ﷺ فأُنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري، من بني عوف ابن الخزرج. و(سلول) أم أبي، وكان اسمه: الحُبَابُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ، فَغَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَهُ فَسَمَّاهُ: عَبْدَ اللَّهِ، وكان أبوه عبد الله بن أبي بن سلول يكنى: أبا الحباب، بابنه الحباب، وكان رأس المنافقين، وممن تولى كبر الإفك في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابنه عبد الله هذا من فضلاء الصحابة وخيارهم، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وكان أبوه عبد الله بن أبي من أشرف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه، ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي ﷺ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام حسد النبي ﷺ وأخذته العزة، فأضمر النفاق، وهو الذي قال في غزوة تبوك: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وسيأتي بيان ذلك في موضعه. فقال ابنه لرسول الله ﷺ: هو الذليل يا رسول الله، وأنت العزيز، وقال لرسول الله ﷺ: إن أذنت لي في قتله قتلته، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُهُ».



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يُقْتَلُ أَصْحَابُهُ»^(١)، ولكن برّ أباك، وأحسن صحبته. فلما مات سألته ابنه الصلاة عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰلسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، وسأله أن يكسوه قميصه يكفن فيه، لعله يخفف عنه، ففعل.

قال ابن عبد البر رحمه الله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على عبد الله ابن عبد الله بن أبي هذا، واستشهد عبد الله بن أبي يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما سنة اثنتي عشرة. وروت عنه عائشة رضي الله عنها^(٢).

ثم فقام عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مذكراً للنبي صلى الله عليه وسلم بمواقف عبد الله بن أبي بن سلول ونفاقه، وقال: يا رسول الله، تُصَلِّي عليه وقد نكأك رثك أن تُصَلِّي عليه؟! فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»، أي: خَيْرَنِي بَيْنَ الاستغفار وعدمه فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، «وسأزيده على السبعين»؛ رغبة في أن يكون له عند الموت توبة، وتطيباً لقلب ابنه،

(١) صحيح البخاري (١٨٣/٤) [٤٩٠٥، ٤٩٠٧]، مسلم [٢٥٨٤].

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٤٠/٣-٩٤٢)، وانظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٠٨/٣)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٨٦٩/٢)، أسد الغابة (٢٩٧/٣)، سير أعلام النبلاء (٣٢١/١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٦/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

فقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ مُنَافِقٌ!»، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

ويروى أيضاً أنه حين نزلت هذه الآية، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا زَيْدَنَ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ عَلَى سَبْعِينَ مَرَّةً؛ رَجَاءً مِنْهُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]»^(١).

ولما تُؤَيِّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَأْسٍ الْمُنَافِقِينَ، جَاءَهُ ابْنُهُ، وَكَانَ مُؤَمِّنًا فَرَاغَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تَطْيِيبًا لَخَاطَرِهِ، وَلِحَسَنِ صَحْبَتِهِ وَبِلَاءِهِ، إِكْرَامًا لِلْوَلَدِ، وَمُكَافَأَةً لِأَبِيهِ عَلَى مَا أَعْطَى يَوْمَ بَدْرٍ قَمِيصَهُ لِلْعَبَّاسِ حَيْثُ جَاءَ الْعَبَّاسُ أُسِيرًا فِي أَسْرَى بَدْرٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلْمُنَافِقِينَ مَنَّةٌ عَلَيْهِمْ.

وفي (الصحيحين): عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَعْدَ مَا دُفِنَ، فَأَخْرَجَهُ، فَتَفَتَّ فِيهِ مِنْ رِبْقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ»^(٢). قَالَ سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَيُرَوْنَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْبَسَ عَبْدَ اللَّهِ قَمِيصَهُ؛ مُكَافَأَةً لِمَا صَنَعَ»^(٣).

وهو منافق ظاهر النفاق، وأنزل في كفره ونفاقه آيات من القرآن تتلى، فاحتمل أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك قبل نزول قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٩٥/١٤)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤٦٣/٢).

(٢) صحيح البخاري [١٢٧٠، ١٣٥٠، ٥٧٩٥]، واللفظ له، ومسلم [٢٧٧٣].

(٣) صحيح البخاري [١٣٥٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿[التوبة: ٨٤]﴾، وأن يكون تأليفاً لابنه، وإكراماً له، وكان مسلماً بريئاً من النفاق، وأن يكون مجازاة؛ لأنه كان قد كسا العباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قميصاً، وأراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكافئه على ذلك؛ لئلا يكون لمنافق عنده يد لم يجازه عليها. وفي الحديث دليل علي جواز التكفين بالقميص، وإخراج الميت من القبر بعد الدفن لعدة أو سبب، قاله الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١).

وفي الحديث: أنه تحرم الصلاة على الكافر، ذمي وغيره، نعم، يجب دفن الذمي وتكفينه، وفاء بدمته، كما يجب إطعامه وكسوته حياً. وفي معناه: المعاهد والمؤمن بخلاف الحربي، والمرتد، والزنديق. فلا يجب تكفينهم ولا دفنهم؛ إذ لا حرمة لهم. وقد ثبت أمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بإلقاء قتلى بدر في القليب بهيئتهم، ولا يجب غسل الكافر؛ لأنه ليس من أهل التطهير، ولكنه يجوز، وقريبه الكافر أحق به، كذا في (إرشاد الساري) ^(٢). وقال ابن التين رَحِمَهُ اللَّهُ: من مات له والد كافر لا يغسله ولده المسلم ولا يدخله قبره إلا أن يخاف أن يضيع فيؤاثره، نص عليه الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في (المدونة) ^(٣).

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٣٩٠/٤).

(٢) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٩٢/٢)، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٨٢/٢).

(٣) انظر: عمدة القاري (٥٥/٨)، المدونة، للإمام مالك بن أنس (٢٦١/١)، شرح التلقين، لأبي عبد الله المازري (١١٣٢/١)، الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر (٣٤١/٥)، مختصر اختلاف العلماء، لأبي جعفر الطحاوي (١٨٤/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين؛ لا اعتقادهم وإن كانوا يظهرون الإسلام؛ اعتصامًا به، وحقنًا لدمائهم، فأما القيام على قبورهم فغير محرم على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل جائز لوليه القيام عليه؛ لإصلاحه ودفنه، وبذلك صح الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمل به أهل العلم بعده، فدل ذلك أن القيام على قبره كان مخصوصًا بتحريمه رسول الله صلى الله عليه وسلم. والدليل على صحة ذلك: ما حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن علي رضي الله عنه قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: إن عمك الضال قد هلك، قال: اذهب فواره، ولا تحدثن شيئًا، فأتيتها، فأمرني أن اغتسل، ودعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم^(١).

...إلى غير ذلك. قال ابن بطال رحمه الله: وفي إقدام عمر رضي الله عنه على مراجعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه من الفقه: أن الوزير الفاضل الناصح لا حرج عليه أن يخبر سلطانه بما عنده من الرأي، وإن كان مخالفاً لرأيه، وكان عليه فيه بعض الجفاء إذا علم فضل الوزير وثقته وحسن مذهبه، فإنه لا يلزمه اللوم على ما يؤديه اجتهاده إليه، ولا يتوجه إليه سوء الظن، وأن صبر السلطان على ذلك من تمام الفضل، ألا ترى

(١) أخرجه سعيد بن منصور في (التفسير) (٢٨٢/٥) وابن أبي شيبة في (مصنفه) [١١٨٤٠]، والطبراني في (الأوسط) [٥٤٩٠]، والبيهقي في (الكبرى) [١٤٥٢]. واللفظ عند سعيد بن منصور: لما مات أبو طالب، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن عمك الضال قد مات، فقال لي: «اذهب فادفنه ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني»، قال: فانطلقت فواريته، وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلي أثر التراب، فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها ما على وجه الأرض من شيء.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

سكوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتركه الإنكار عليه، وفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبر الأسوة" (١).

ومن العلماء من رأى أن الحديث فيه حجة للحكم بدليل الخطاب ومفهومه، كالخطابي وابن بطل رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وذلك أنه جعل السبعين بمنزلة الشرط، فإذا جاوز هذا العدد كان الحكم بخلافه (٢).

وفي المسألة بحث ينظر في مظانه، وقد ضَعَّفَ الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (المستصفى) القول بأن ما عدا السبعين حكم بخلافه من أوجه:

منها: أن هذا خبر واحد لا تقوم به الحجة في إثبات اللغة، والأظهر أنه غير صحيح؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعرف الخلق بمعاني الكلام، وذكر السبعين جرى مبالغة في اليأس، وقطع الطمع عن الغفران كقول القائل: اشفع أو لا تشفع، وإن شفعت لهم سبعين مرة لم أقبل منك شفاعتك.

والثاني: أنه قال: «لأزیدن على السبعين»، ولم يقل: ليغفر لهم، فما كان ذلك لانتظار الغفران، بل لعله لاستمالة قلوب الأحياء منهم؛ لما رأى من المصلحة فيهم، ولترغيبهم في الدين، لا لانتظار غفران الله عَزَّجَلَّ مع المبالغة في اليأس، وقطع الطمع.

الجواب الثالث: أن تخصيص نفي المغفرة بالسبعين أدل على جواز المغفرة بعد السبعين أو على وقوعه، فإن قلتم على وقوعه فهو خلاف الإجماع، وإن قلتم على

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٣/٣٥٢-٣٥٣).

(٢) انظر: أعلام الحديث، للخطابي (٣/١٨٤٨).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

جوازه فقد كان الجواز ثابتاً بالعقل قبل الآية فانتفى الجواز المقدر بالسبعين، والزيادة ثبت جوازها بدليل العقل لا بالمفهوم" (١).

والسبعين هنا جار مجرى المثل في كلامهم؛ للتكثير، كما ذكر الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ وغيره، أي: فذكرها للمبالغة؛ وذلك جرياً على أساليب العرب في ذكرها للمبالغة، لا للتحديد، بأن يكون ما زاد عليها بخلافها، فقد شاع عندهم أنهم يذكرون السبعين في مطلق التكثير.

قال ابنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: "وأما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الأعداد؛ فلأنه عدد كثيراً ما يجيء غايةً ومقنناً في الكثرة. ألا ترى إلى القوم الذين اختارهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلى أصحاب العقبة؟" (٢).

أما الاستغفار للمشركين فهو محرم؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْهٍ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

ومهما استغفر للمشرك فلن يغفر الله عَزَّجَلَّ له مع شركه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٠].

(١) انظر: المستصفي، لأبي حامد الغزالي (٢٦٦/١ - ٢٦٧).

(٢) الكشف (٢٩٥/٢)، المحرر الوجيز (٦٤/٣)، البحر المحيط في التفسير (٤٧٢/٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحافظ بن مسعود القشيري الذي سبأوري

فإن قيل: كيف خفي على إبراهيم عليه السلام أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده؟ فالجواب: أنه يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له، فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن، وأنه يموت كافراً وانقطع رجاءه عنه، قطع استغفاره، فهو كقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. قاله في (الكشاف) (١).

قال الفخر الرازي رحمه الله: "والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، فبين أن المنع من الاستغفار إنما يحصل بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم.

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. فدللت الآية على أنه وعده بالاستغفار لو آمن، فلما لم يؤمن لم يستغفر له بل تبرأ منه.. (٢).

وقال: "اعلم أنه جَلَّ وَعَلَا لما بين من أول هذه السورة إلى هذا الموضع: وجوب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه، بين في هذه الآية: أنه تجب البراءة عن أمواتهم، وإن كانوا في غاية القرب من الإنسان كالأب والأم، كما أوجبت البراءة

(١) الكشاف (٣١٥/٢).

(٢) مفاتيح الغيب (١٥٧/١٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

عن أحيائهم، والمقصود منه: بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات، والمنع من مواصلتهم^(١).

وقد صرح الحنفية بإجازة الاستغفار للكافر الحي؛ رجاء أن يؤمن فيغفر له.
وقال القرطبي رحمه الله: "قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي خَيْرْتُ» مشكل مع قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وقد تقدّم أنّ هذه الآية نزلت بعد موت أبي طالب حين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]^(٢)، وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافراً، وهو متقدم على الآية التي فهم منها التخيير. والجواب عن الإشكال: أن المنهي عنه في هذه الآية: استغفار مرجو الإجابة حتى يكون مقصوده تحصيل المغفرة لهم كما فعل بأبي طالب؛ فإنه إنما استغفر له كما استغفر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه على جهة أن يجيبهما الله عَزَّجَلَّ، فيغفر للمدعوّ لهما، وفي هذا الاستغفار استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه جَلَّ وَعَلَا في أن يأذن له فيه لأُمِّهِ فلم يُؤْذَن له فيه، وهذا النوع هو الذي تناوله منع الله عَزَّجَلَّ ونهيهِ، وأما الاستغفار لأولئك المنافقين الذي خيّر فيه فهو استغفار لسانيّ علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه

(١) المصدر السابق (٥٤٧/٢١).

(٢) صحيح البخاري [١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢]، مسلم [٢٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

لا يقع ولا ينفع، وغايته لو وقع تطيب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر لهم،
فانفصل المنهي عنه من المخير فيه، وارتفع الإشكال" (١).

ويستفاد من الحديث: أن الداعي إلى الله عز وجل، والمعلم والمرشد ينبغي أن يحرص
على هداية الناس، فمن شأن المصلح البحث عن أدنى وسيلة لإدخال الناس في دين
الله عز وجل، وأنه لا يفقد الأمل في إيمانهم ما دام ذلك مرجوًا ومؤملًا، على أن يتحمل في
سبيل ذلك شدة وإيذاء، إلى أن يقضي الله عز وجل أمرًا لا سبيل للعبد في دفعه.
ويدل الحديث: على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعامل الناس بظاهرهم، وأنه كان
يرجو الخير للناس حتى للمنافقين؛ رجاء أن تلين قلوبهم وتخضع لذكر الله عز وجل وما نزل
من الحق.

ويظهر في الحديث: حلم النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه وصفحه، ورغبته في تأليف
القلوب، ودرء الفتن، وحرصه على المصلحة العامة.

وفي (الصحيح): قال عبد الله رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يحكي
نبيًا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون» (٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين
بالجرأة، قال: فازدحموا عليه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ

(١) المفهم (٦٤١/٢-٦٤٢).

(٢) صحيح البخاري [٣٤٧٧، ٦٩٢٩]، مسلم [١٧٩٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

الله بعثه الله عز وجل إلى قومه، فكذبوه وشجوه، فجعل يمسح الدم عن جبينه، ويقول: رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»، قال: قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فكأنني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح جبهته، يحكي الرجل ^(١).

وفي (الصحيح): عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حدثته أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبي إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتي، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً» ^(٢).

(١) أخرجه أحمد [٤٠٥٧]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٧٥٧]، كما أخرجه البخاري في (صحيحه)

[٣٤٧٧] مختصرًا، وكذلك مسلم [١٧٩٢]. وأخرجه أيضًا: وأبو يعلى [٥٠٧٢].

(٢) صحيح البخاري [٣٢٣١]، مسلم [١٧٩٥]. و«الأخشبين» هما جبلا مكة أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول المحبة، أحب للناس الهداية، ودعاهم إلى ما يسعدهم، وتحمل في سبيل ذلك الإيذاء والتضييق عليه.

والمسلم يرغب في هداية جميع الناس، ويحب ذلك لهم؛ لأنها تستنقذهم من النار، وتخرجهم من الظلمات إلى النور، فهذا أمر محمود ومطلوب. قال الجاحظ: "ينبغي لمحِبِّ الكمال أن يعوِّد نفسه محبة الناس، والتَّوَدُّدُ إليهم، والتَّحَنُّنُ عليهم، والرَّأْفَةُ والرَّحْمَةُ لهم؛ فَإِنَّ النَّاسَ قَبِيلٌ واحدٌ متناسبون، تجمعهم الإنسانية، وحلية القوَّة الإلهية هي في جميعهم، وفي كلِّ واحد منهم، وهي قوَّة العقل، وبهذه النَّفْس صار الإنسان إنساناً" (١).

(١) تهذيب الأخلاق، للجاحظ (ص: ٥٥-٥٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي سبأوري

[قصة الثلاثة الذين خُلّفوا]

ملاحظة:

- نظرًا لطول حديث: الثلاثة الذين خُلّفوا المتصل بآيات من
سورة التوبة فإني أقتصر فيه على ما يلي:
- ١ - شرح ألفاظ الحديث في الحاشية.
 - ٢ - إجمال ما يستفاد من الحديث بعد سرد الحديث].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

ن ض

[٤] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح مولى بني أمية، أخبرني ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى عِيرٍ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ^(١)، وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا^(٢)،

(١) أي: تبايعنا عليه وتعاهدنا. وليلة العقبة هي الليلة التي بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار فيها على الإسلام، وأن يودوه وينصروه، وهي العقبة التي في طرف مئى التي يضاف إليها جمة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين في سنتين في السنة الأولى كانوا اثني عشر، وفي الثانية سبعين كلهم من الأنصار رَحِمَهُمُ اللَّهُ
شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٨٨).
(٢) أي: أكثر شهرة وذكرًا بين الناس.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وكان من خبري، حين تخلّفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(١)، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم^(٢)؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم^(٣)، فأخبرهم بوجههم الذي يريد^(٤)، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك: الديوان -^(٥) قال كعب: فقلّ

(١) المفازة هي البرية القفر، فكل قفر مفازة، قيل: سميت بذلك؛ تفاؤلاً بالفوز والنجاة. وقيل: هي من قولهم: فوز: إذا مات، أي: صار في مفازة بين الدنيا والآخرة؛ لأنه يخاف في المفازة الموت؛ لبعدها، وصعوبة سلوكها. ويقال أيضاً: فوز الرجل: إذا ركب المفازة. قال الجوهري: "المفازة أيضاً واحدة: المفاز، قال ابن الأعرابي: سُميت بذلك؛ لأنها مهلكة من فوز تقويزاً، أي: هلك. وقال الأصمعي: سُميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز. ويقال: فوز الرجل ببله: إذا ركب بها المفازة" الصحاح، للجوهري، مادة: (فوز) (٨٩٠/٣-٨٩١)، وانظر: العين (٣٨٩/٧)، تفسير غريب ما في الصحيحين (ص: ١٠٩).

(٢) أي: كشفه وبينه وأوضحه.

(٣) الأهبة - بضم الهمزة وإسكان الهاء -: الغدة. وجمعها: أهب. وتأهب: استعد، وتأهبوا للمسير: أخذوا أهبتهم، كذا في (العين)، مادة: (أهب) (٩٩/٤). أراد: الاستعداد للسفر بما يحتاجون إليه.

(٤) أي: بمقصدهم.

(٥) الديوان - بكسر الدال - على المشهور، وحكى فتحها، وأنكرها الأصمعي والأكثرون، وهو فارسي معرب، كذا قال الأزهرى، وحكى أبو جعفر النحاس خلافاً بين العلماء في أنه عربي أم معرب. قال الجوهري: أصله: دوان، فعوض من إحدى الواوين؛ لأنه يجمع على دواوين، ولو كانت الياء أصلية لقالوا: دياوين. ويقال: دونت الديوان، وأول من وضع الديوان في الإسلام: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي (ص: ١٢٠)، الصحاح، للجوهري، مادة: (دون) (٢١١٥/٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْعَيْبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَحْفَى لَهُ ^(١)، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلْ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْعَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعُرُ ^(٢)، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفَقْتُ أُغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ^(٣)، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا،

(١) قوله: «يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَحْفَى لَهُ» قال القاضي عياض: "كذا في جميع نسخ مسلم، وصوابه: «إِلَّا يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَحْفَى لَهُ»، وكذا في البخاري "إكمال المعلم (٢٨٤/٨). صحيح البخاري [٤٤١٨]، وفي نسخة: «إلا ظن»، وهو كذلك عند الطيالسي في (مسنده) [١٠٣٤]، وأحمد [١٥٧٨٩]، والنسائي (السنن الكبرى)، [١٧٨٧١]. وعند عبد الرزاق في (مصنفه) [٩٧٤٤]: «إلا رأى أن ذلك سيحفي له»، وهو كذلك عند الطبراني في (الكبير) [٩٠]، وعند ابن حبان [٣٣٧٠]: «إلا أرى ذلك سيحفي له». وقال القرطبي: "وسقط من الكلام «إلا» قبل «يظن»، وبه يستقيم الكلام. وهي إيجاب بعدما تضمنه «قَالَ» من معنى النفي؛ لأن معنى قوله: «قل رجل»، بمعنى: ما رجل، فكأنه قال: ما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيحفي له" المفهم (٩٥/٧).

(٢) أي: أميل.

(٣) قال في (العين): "جَهَّزْتُ الْقَوْمَ تَجْهِيْزًا: إِذَا تَكَلَّفْتَ لَهُمْ جِهَازَهُمْ لِلسَّفَرِ، وَكَذَلِكَ جِهَازُ الْعُرُسِ وَالْمَيْتِ، وَهُوَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَجْهِهِ. وَتَجَهَّزُوا جِهَازًا. وَسَمِعْتُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ يُخَطِّتُونَ مَنْ يَقُولُ الْجِهَازُ بِالْكَسْرِ". وقال القاضي عياض: "جهزت القوم: إذا تكلفت لهم جهاز السفر، وهو ما يحتاج إليه فيه، والجهاز بالفتح، قال الله عَزَّجَلْ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ [يوسف: ٧٠]. وقاله بعضهم بالكسر، وخطأه بعضهم" مشارق الأنوار، مادة: (جهز) (١٦١/١-١٦٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

فلم يَزَلْ ذلك يَتَمَادَى بي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ ^(١)، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجُلَ فَأَذْرِكُهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِفْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ^(٢)، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَبُوكُ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ ^(٣)، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِئْسَ مَا قُلْتَ ^(٤)، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) أي: فات وتقدم وتباعد، والفَرَطُ: ما سبق من عمل وأجر.

(٢) أي: مطعوناً بالنفاق ومتهما به. قال في (العين): "يقال للرجل إذا كان مطعوناً عليه في دينه: إنه لمُعْمُوصٌ عليه، أي: مطعونٌ في دينه. وَعَمَصْتُ عليه قَوْلُهُ: عُبْتُه "العين، مادة: (غمص) (٤/٣٧٥).

(٣) قوله: «حَبَسَهُ بُرْدَاهُ» تشبيه: برد. وقوله: «وَالنَّظَرُ»، أي: وحبسه النظر «في عِطْفِيهِ» بكسر العين المهملة، أي: جانيبه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه، وعِطْفَا الإنسان: ناحيتا عُنُقِهِ. تهذيب اللغة

(١٠٦/٢). وقال المبرد: "العِطْفُ: ما انثنى من العنق قال جَلَدَنَّا: ﴿ثَانِي عِطْفِيهِ﴾ [الحج: ٩]" الكامل في

اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد (٢٢٥/٢). وقال غيره: العرب تضع الرداء موضع التهجئة والحسن والبهاء، وتسمي الرداء: عِطْفًا؛ لوقوعه على عِطْفِي الرجل "المعلم (٣/٣٣٨). قال الثوري: "وسمي الرداء عِطْفًا؛ لوقوعه على العِطْفَيْن، وهما: الجانبان" الميسر في شرح مصابيح السنة (١/٣٥٨).

(٤) قال الإمام النووي: "هذا دليل لرد غيبة المسلم الذي ليس بِمُتَهَتِّكٍ في الباطل وهو من مُهِمَّاتِ الآداب وحقوق الإسلام" شرح النووي على صحيح مسلم (٨٩/١٧). وقوله: (ليس بِمُتَهَتِّكٍ) "يقال: رجل مُتَهَتِّكٌ، ومُتَهَتِّكٌ، ومُسْتَهْتِكٌ، أي: لا يُبَالِي أَنْ يُهْتِكَ سِتْرُهُ عَنْ عَوْرَتِهِ" المحكم، مادة: (هتك) (١٣٤/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيَّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ^(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» ^(٢)، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُتَنَفِقُونَ ^(٣)، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الْمُبَيَّضُ: بكسر الباء اسم فاعل، أي: لابس البَيَاضَ. ويقال: هم الْمُبَيَّضَةُ وَالْمُسَوَّدَةُ بالكسر فيهما، أي: لابسوا البياض والسوداد، وقوله: «وَيَزُولُ بِهِ السَّرَابُ»، أي: يتحرك وينهض، وكل متحرك زائل، و«السَّرَابُ» هو ما يَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ فِي الْهَوَاجِرِ فِي الْقَفَارِ كَأَنَّهُ مَاءٌ.

(٢) لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ الدَّعَاءُ، كَمَا يَقَالُ أَسْلَمَ: أَي: سَلِمَكَ اللَّهُ، قَالَهُ السَّهْلِيُّ فِي (الَرُوضِ الْأَنْفِ) (٣٩٣/٧)، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي (الْمَفْهَمِ) (٩٦/٧). وَقَالَ ثَعْلَبُ الْعَرَبُ تَقُولُ: كُنْ زَيْدًا، أَي: أَنْتَ زَيْدٌ. وَقِيلَ مَعْنَاهَا: لَتَوْجَدَ أَبَا خَيْثَمَةَ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: "وَالْأَشْبَهُ عِنْدِي أَنَّ «كُنْ» هُنَا لِلتَّحْقِيقِ وَالْوُجُودِ، أَي: لَتَوْجَدَ تَحْقِيقًا أَبَا خَيْثَمَةَ" إِكْمَالُ الْمَعْلَمِ (٢٧٨/٨). قَالَ النَّوَوِيُّ: "وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْقَاضِي هُوَ الصَّوَابُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ صَاحِبِ التَّحْرِيرِ تَقْدِيرُهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَبَا خَيْثَمَةَ. وَأَبُو خَيْثَمَةَ هَذَا اسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَيْثَمَةَ. وَقِيلَ: مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ بَعْضُ الْحَفَاطِ: وَلَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يَكْنَى أَبَا خَيْثَمَةَ إِلَّا اثْنَانِ أَحَدُهُمَا: هَذَا، وَالثَّانِي: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ الْجَعْفِيُّ" شَرْحُ النَّوَوِيِّ (٩٠/١٧).

(٣) أَي: عَابُوهُ وَاسْتَفْزَوْهُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: اللَّمَزُ: الْعَيْبُ، وَأَصْلُهُ الْإِشَارَةُ بِالْعَيْنِ وَنَحْوِهَا. وَقَدْ لَمَزَهُ يَلْمُزُهُ وَيَلْمِزُهُ لَمَزًا. وَقَرَأَ بِمَا قَوْلُهُ جَلَّوَعًا: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ» [التوبة: ٥٨]. وَرَجُلٌ لَمَّازٌ وَلَمَزَةٌ، أَي: عَيَّابٌ. وَيُقَالُ أَيْضًا: لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ لَمَزًا: إِذَا ضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ" الصَّحَاحُ، مَادَّةُ: (لَمَزَ) (٨٩٥/٣). وَفِي (الْعَيْنِ): "اللَّمَزُ، كَالْعَمَزِ فِي الْوَجْهِ، تَلْمِزُهُ بِفَيْكٍ بِكَلَامٍ خَفِيٍّ، وَقَوْلُهُ جَلَّوَعًا: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ»، أَي: يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِالطَّلَبِ. وَرَجُلٌ لَمَزَةٌ: يَعِيبُكَ فِي وَجْهِكَ لَا مِنْ خَلْفِكَ، وَهُوَ مِنَ اللَّمَزِ. وَرَجُلٌ هُمَزَةٌ: يَعِيبُكَ مِنْ خَلْفِكَ" الْعَيْنُ (٣٧٢/٧). قَالَ فِي النِّهَايَةِ (٢٦٩/٤): اللَّمَزُ: الْعَيْبُ وَالْوُقُوعُ فِي النَّاسِ. وَقِيلَ: هُوَ الْعَيْبُ فِي الْوَجْهِ، وَالْهَمَزُ: الْعَيْبُ بِالْغَيْبِ". وَقِيلَ: "(يَهْمَزُ) وَ(يَلْمِزُ)، وَ(يَعِيبُ) وَاحِدٌ. قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: (الْهَمَازُ): الَّذِي يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ، وَيُقَالُ: هُمُ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالْبَاغُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَيْبِ.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قد تَوَجَّهَ قَافِلًا ^(١) مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَنِي ^(٢)، فَطَفِقْتُ ^(٣) أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: يَمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ عَدَا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاغَ عَنِّي الْبَاطِلُ ^(٤)، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَتَجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ^(٥)، وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُحَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيُخْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ

(١) أي: راجعًا من سفره. يقال: قَفَلَ الرجل قُفُولًا: رجع. قال في (المعلم) (٣/٣٣٩): "والقافلة التي هي راجعة من سفرها وما دامت ذاهبة في السفر فلا تسمى قافلة حتى ترجع اه". قال أبو بكر بن الأنباري: "القافلة عند العرب: الرفقة الراجعة من السفر. يقال: قفل الجند يقفلون: إذا رجعوا. والعامة تخطئ في القافلة، فتظن أن القافلة: الرفقة في السفر، ذاهبة كانت أو راجعة. وليس الأمر في ذلك عند العرب على ما يظنون" الزاهر (٢/٧٠). وفي (مجمع البحرين): "ومن قال: القافلة الراجعة من السفر فقط فقد غلط، بل يقال للمبتدئة بالسفر أيضًا؛ تفاؤلاً لها بالرجوع" المصباح المنير، مادة: (قفل) (٢/٥١١).
(٢) أصل البَثُّ: أَشَدُّ الْحُزْنِ. قال ابن دريد: "البث: ما يجده الرجل في نفسه من كرب أو غم. ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

(٣) طَفِقَ - بكسر الفاء -، وَطَفِقَ لغة رديئة، أي: جعل يفعل، وهو مثل: ظل، وبات. يقولون: طَفِقَ يفعل كذا، كما يقال: ظَلَّ يَفْعَلُ. قال الأخفش: وبعضهم يقول: طَفِقَ بالفتح يطفق طفوقًا. انظر: العين، مادة: (طفق) (٥/١٠٦)، الصحاح (٤/١٥١٧)، مقاييس اللغة (٣/٤١٣)، معاني القرآن، للأخفش (١/٣٢٣).

(٤) قوله: «أَظَلَّ» بالطاء المعجمة، أي: أَقْبَلَ وَدَنَا قُدُومُهُ كَأَنَّهُ أُلْقِيَ عَلَيَّ ظِلَّهُ، و«زَاغَ» أي: زال.
(٥) أي: عَزَمْتُ عليه، يقال: أَجْمَعَ أَمْرُهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى. يقال: أَجْمَعَ على كذا، أي: جَمَعَ أَمْرُهُ جَمِيعًا بعد أن كان مُفَرَّقًا.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمُ الْمُغْضَبِ ^(١)، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَاحِرُجٌ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ^(٢)، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ بَجَدُّ عَلَيَّ فِيهِ ^(٣)، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ ^(٤)، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»، فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالُ مَنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ، اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَيِّنُونِي ^(٥) حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيْ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ

(١) بفتح الضاد، أي: الغضبان.

(٢) أي: فصاحةً وحجةً ومدافعةً، وقُوَّةً في الكلام وبراعةً بحيث أُخْرِجَ عَنْ عَهْدَةٍ مَا يُنْسَبُ إِلَيَّ إِذَا أَرَدْتُ،

(٣) أي: تغضب عليَّ لأجله.

(٤) أي: أن يُعْقِبَنِي خَيْرًا وَأَنْ يُبَيِّنَنِي عَلَيْهِ. كذا في (شرح الإمام النووي).

(٥) أي: يلومونني أشدَّ اللوم. قال في (العين): "التَّائِبُ: التَّوْبِيخُ وَاللُّومُ" العين، مادة: (أنب) (٣٨٤/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة

لهما مثل ما قيل لك، قال: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قالوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ^(١)، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ^(٢)، قال: فَذَكِّرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قال: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرْتُهُمَا لِي، قال: وَنَحَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ^(٣)، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قال: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وقال: تَعَيَّرُوا

(١) هو هكذا في جميع نسخ مسلم: «الْعَامِرِيُّ»، والصواب: «الْعَمْرِيُّ» بفتح العين وإسكان الميم، وكذا ذكره البخاري، وابن إسحاق، وابن عبد البر، وهو منسوب لعمر بن عوف. انظر: المعلم (٣/٣٣٩)، إكمال المعلم (٨/٢٧٧)، المفهم (٧/٩٧)، فتح الباري، لابن حجر (٨/١١٩). قال النووي: "وأما قوله: «مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ» فكذا وقع في نسخ مسلم، وكذا نقله القاضي عن نسخ مسلم، ووقع في البخاري: «ابن الربيع» قال ابن عبد البر: يقال بالوجهين، ومرارة بضم الميم، وتخفيف الراء المكورة" شرح النووي (١٧/٩٢).

(٢) "هو بقاف ثم فاء منسوب إلى (واقف)، بطن من الأنصار، وهو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلى بن عامر بن كعب بن واقف. واسم واقف: مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري" شرح النووي (١٧/٩٢).

(٣) الثلاثة مرفوع على الصفة لـ: (أي)، ويجوز نصبه على الاختصاص. المفهم (٧/٩٨). قال القاضي عياض: هو بالرفع، وموضعه نصب على الاختصاص. قال سيويه عن العرب: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، وهذا مثله. إكمال المعلم (٨/٢٧٩)، أي: نحن نفعل متخصصين من بين الأقوام، واغفر لنا مخصوصين من بين العصابات. وفي (إرشاد الساري) (٦/٤٥٥): "قال أبو سعيد السيرافي: إنه مفعول فعل محذوف، أي: أريد الثلاثة، أي: أخص الثلاثة، وخالفه الجمهور، وقالوا: (أي) منادى و(الثلاثة) صفة له. وإنما أوجبوا ذلك؛ لأنه في الأصل كان كذلك، فنقل إلى الاختصاص وكل ما نقل من باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب" إرشاد الساري (٦/٤٥٥)، وانظر: الكتاب، لسيويه (٢/٢٣٢)، وانظر: مغني اللبيب، لابن هشام (ص: ٨٩١). قال القرطبي: "هو دليل على وجوب هجران من ظهرت معصيته، فلا يسلم عليه إلا أن يقلع وتظهر توبت" المفهم (٧/٩٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

لَنَا حَتَّى تَنْكَرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ ^(١)، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا ^(٢) وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ^(٣)، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ^(٤)، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ^(٥)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ

(١) أي: تغير عليّ كل شيء حتى الأرض؛ فإنها توحشت عليّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها.
(٢) أي: خَضَعَا. يُقَالُ: سَكَنَ، وَأَسْكَنَ، وَأَسْتَكَنَ وَتَمَسَّكَ، وَأَسْتَكَنَ، أَي: خَضَعَ وَذَلَّ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ: قَوْلُهُمْ: قَدْ اسْتَكَانَ الرَّجُلُ مَعْنَاهُ: قَدْ خَضَعَ وَذَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا اسْتَكَاؤُا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. انظر: اشتقاق اللفظ في (الزاهر) (٢/٢٩٧).

(٣) أي: أصغرهم سنًا، وأقواهم بنية.
(٤) معنى: «تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ»، أي: عَلَوْتُ سورَه، وَهُوَ أَعْلَاهُ. قَالَ النُّووي: "وفيه دليل لجواز دخول الإنسان بستان صديقه وقريبه الذي يدل عليه ويعرف أنه لا يكره له ذلك بغير إذنه بشرط أن يعلم أنه ليس له هناك زوجة مكشوفة، ونحو ذلك" شرح النووي (١٧/٩٣).
(٥) قال الخطابي: "فيه من العلم أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عتب وموجدة، أو لتقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها، دون ما كان من ذلك في حق الدين؛ فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه في غزوة==



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

أَنْشُدَكَ بِاللَّهِ (١) هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (٢)، فَقَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ (٣)، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَطَفِقَ

=تبوك، فأمر بهجراتهم، وأمرهم بالعودة في بيوتهم نحو خمسين يومًا على ما جاء في الحديث إلى أن أنزل الله عَزَّوَجَلَّ توبته وتوبة أصحابه، فعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ براءتهم من النفاق. وفيه دلالة على أنه لا يخرج المرء بترك رد سلام أهل الأهواء والبدع. وفيه دليل على أن من حلف أن لا يكلم رجلاً فسلم عليه أو رد عليه السلام كان حائثًا معالم السنن (٢٩٦/٤).

(١) أنشدك بمعنى: أسألك. وأصله من رفع الصوت بذلك. ونشدتك الله وبالله أنشدك: ذكرتك به واستعطفتك أو سألتك به مقسمًا عليك. المصباح المنير، مادة: (نشد) (٦٠٥/٢).

(٢) قال القاضي عياض: "وقول أبي قتادة: «والله ورسوله أعلم» لعله لم يقصد بذلك سماعه فيكون مكلّمًا له، وإنما قال ذلك لنفسه لما ناشده الله، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك بما أمر. قال ذلك أبو قتادة مظهرًا لما اعتقد لا لسمعه. ولو أن رجلاً حلف لا يكلم رجلاً فسأله عن شيء فقال له: (الله أعلم) ولم يرد جوابه ولا إسماعه لم يحنث بذلك" انظر: إكمال المعلم (٢٧٩/٨).

(٣) يقال: النَّبْطُ وَالْأَنْبَاطُ وَالنَّبِيطُ، وهم فَلَاخُو الْعَجَم. قال الجوهرى: "والنَّبْطُ وَالنَّبِيطُ: قومٌ يَنْزِلُونَ بِالْبَطَاحِ بين العراقين، والجمع: أَنْبَاطٌ" الصحاح، مادة: (نبط) (١١٦٢/٣)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٩/٥). وفي (العين) (٤٣٩/٧): "سموا به، لأنهم أول من استنبط الأرض، والنسبة إليهم: نبطي، وهم قوم ينزلون سواد العراق، والجميع: الأنباط". قال الحافظ ابن حجر: "النبط والنبيط والأنباط هم نصارى الشام الذين عمروها، وأهل سواد العراق، سمو بذلك؛ لاستنباطهم الماء واستخراجه. وقيل: هم جيل من الناس" فتح الباري (١٩٢/١)، وانظر: مشارق الأنوار (٣/٢)، حاشية الطيبي على الكشاف (٤٩٩/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ ^(١)، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ ^(٢)، قَالَ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمَّمْتُ ^(٣) بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا ^(٤)، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثْتُ الْوَحْيَ ^(٥)، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزِلْهَا، فَلَا تَقْرَبْنَهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي

(١) الْمَضْيَعَةُ بمعنى: الضَّيَاع، ويجوز فيها كسر الضاد وسكون الياء، مثل: مَعِيشَةٌ. ويجوز سكون الضاد وفتح الياء وَزَان: مَسْلَمَةٌ، والمراد بها: المفازة المنقطعة. وقال ابن جني: الْمَضْيَعَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَضِيعُ فِيهِ الْإِنْسَانُ. ومنه يقال: ضَاعَ يَضِيعُ ضَيَاعًا - بالفتح أيضًا -: إِذَا هَلَكَ " انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٨/٣)، المصباح المنير، مادة: (ضيع) (٣٦٦/٢).

(٢) بضم النون وكسر المهملة من المواساة، وحذفت التحتية؛ لأنه في جواب الطلب، قال النووي (٩٤/١٧): "وفي بعض نسخ مسلم إثباتها، وهو صحيح: أي: ونحن نواسيك، قطعه عن جواب الأمر، ومعناه: نشاركك فيما عندنا".

(٣) قوله: «فَتَيَأَمَّمْتُ» هو لغة في (تيممت) أي: قصدت. وأصله: تأممت، وأنت الكتاب هنا على معنى الصحيفة. وفيه جواز حرق ما فيه اسم الله عَزَّوَجَلَّ؛ لعله توجب ذلك. وقد أحرق عثمان والصحابة المصاحف بعد أن غسلوا منها ما قدروا عليه. إكمال المعلم (٢٨٠/٨).

(٤) قوله: «سَجَرْتُهَا»: أحرقتها. قال مجاهد في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] معناه: الموقد. المعلم (٣٣٩/٣).

(٥) أي: أَبْطَأَ.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن أبي أسباط

عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ^(١)، قال: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قال: «لا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ»، فقالت: إِنَّهُ، وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، ووالله ما زالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، قال: فقال لي بَعْضُ أَهْلِي: لو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةِ هَلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قال: فقلتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يُدْرِيَنِي ماذا

(١) قال الخطابي: "في هذا دلالة على أنه قال لها: (الحقي بأهلك)، ولم يرد به طلاقاً فإنه لا يكون طلاقاً والكنائيات كلها على قياسه. وقال أبو عبيد في قوله: (الحقي بأهلك) هو تطليقة يكون فيها البعل مالِكاً للرجعة إلا أن يكون أراد ثلاثاً" معالم السنن (٢٤٦/٣)، وانظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٧-٦٦/٤). "قال ابن المنذر: واختلفوا في قوله: (الحقي بأهلك)، و(حبلك على غاربك)، و(لا سبيل لي عليك)، وما أشبه ذلك من كنايات الطلاق، فقالت طائفة: ينوي في ذلك، فإن أراد طلاقاً كان طلاقاً، وإن لم يرد به لم يلزمه شيء، هذا قول الثوري، وأبي حنيفة، قالوا: إلا إن نوى واحدة أو ثلاثاً، فهو ما نوى، وإن نوى اثنتين فهي واحدة؛ لأنها كلمة واحدة ولا تقع على اثنتين. وقال مالك في قوله: (الحقي بأهلك)، إن أراد به الطلاق فهو ما نوى واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً، وإن لم يرد طلاقاً فليس بشيء. وقال الحسن والشعبي: إذا قال لها: (الحقي بأهلك)، و(لا سبيل لي عليك)، و(الطريق لك واسع)، إن كان نوى به طلاقاً فهي واحدة وهو أحق بهما، وإن لم ينو طلاقاً فليس بشيء. وروى عن عمر وعلي في قوله: (حبلك على غاربك): أنهما حلفاه عند الركن على ما أراد وأمضياه، وهو قول أبي حنيفة، وكذلك كل كلام يشبه الفرقة مما أراد به الطلاق... الخ" انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣٨٨-٣٨٧/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ ^(١)، قَالَ: فَلَيْشْتَ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمَلْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ تُهَيَّ عَنْ كَلَامِنَا، قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ يُبُوتِنَا فَبَيَّنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ^(٢)، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ ^(٣) يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا ^(٤) وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَأَذَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ^(٥) بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ ^(٦) قِبَلِي، وَأَوْفَى

(١) يعني: أي قادر على خدمة نفسي، وأخاف أيضًا على نفسي من حدة الشباب إن أصبت امرأتي وقد نخت عنها.

(٢) أي: ضاقت مع سعتها، والرحب: السعة. أي: لشدة ما لحقني من الخوف ضاقت علي الأرض على سعتها فلم أجد فيها موضعًا يصلح للقرار. وقد سئل بعض القدماء عن التوبة النصوح، فقال: أن تضيق على التائب أرضه ونفسه كما ضاقت على كعب وصاحبيه؛ وهذا لأن المذنب إذا لاحظ آثار الطرد، وخاف وقوع العقوبة، وندم على ما فات، ضاقت عليه النفس والأرض، فقبلت توبته لصدق حزنه وندمه. انظر: كشف المشكل (١٢٩/٢).

(٣) قوله: «أوفى» أي: ارتفع وأشرف، و«سالع» -بفتح السين وسكون اللام-: جبل بالمدينة معروف. (٤) وفيه دليل على استحباب سجود الشكر لكل نعمة حصلت، أو كربة اندفعت. قال القرطبي: "هذه سجدة الشكر، وظاهر هذا أنها كانت معلومة عندهم، معمولًا بها فيما بينهم، وقال بها الشافعي ومالك في أحد قولي، ومشهور مذهبه الكراهة" المفهم (١٠١/٧).

(٥) أي: أعلمهم.

(٦) «أسلم» بلفظ أفعل التفضيل، أي: من قبيلة أسلم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يُبشِّرني، فنزعتُ له ثوبي فكَسَوْتُهُمَا إيَّاهُ بِبَشَارَتِهِ، والله ما أملكُ غيرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، واستعرتُ ثوبينِ فَلَبِسْتُهُمَا^(١)، فَأَنْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ^(٢) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ^(٣)، وَيَقُولُونَ: لَتَهْنِئَكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، فإذا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فقام طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٤) يُهَرِّوهُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّا بَنِي^(٥)، والله ما قامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قال: فَكَانَ كَعَبٍّ لَا

(١) قال القاضي عياض: "كسوته ثوبيه للبشير: دليل على جواز البشارة والتهنئة بين الناس فيما يسر من أمر الدنيا والآخرة، وجواز إعطاء البشير جعلاً على بشارته ومكافأته. وقوله: «واستعرت ثوبين فلبستهما»: فيه جواز عارية الثياب عند الضرورة، وقد كره ذلك مالك في (العتبية)، يريد: لأنه ليس من مكارم الأخلاق، لا من المعير ولا من المستعير. وأما عند الضرورة فحال آخر منهما" إكمال المعلم (٢٨١/٨) - (٢٨٢). وقال القرطبي: "وكسوته للبشير ثوبيه مع كونه ليس له غيرهما، دليل على جواز مثل ذلك إذا ارتجى حصول ما يستبشر به، وهو دليل على جواز إظهار الفرح بأمور الخير والدين، وجواز البذل والهبات عندها، وقد نحر عمر لما حفظ سورة البقرة جزوراً" المفهم (١٠١/٧).

(٢) قوله: «أَتَأَمَّمُ»، أي: أقصد.

(٣) قوله: «فَوْجًا فَوْجًا» أي: زمرة زمرة، وجماعة بعد جماعة. قال القرطبي: "وفيه دليل على جواز التهنئة بأمور الخير، بل على نديبتها إذا كانت دينية؛ فإنه إظهار السرور بما يسر به أخوه المسلم، وإظهار المحبة، وتصفية القلب بالمودة" المفهم (١٠١/٧).

(٤) أحد العشرة المبشرة بالجنة.

(٥) "فيه دليل لمن قال بجواز القيام للداخل والمصافحة" المفهم (١٠١/٧-١٠٢). قال النووي: "فيه استحباب مصافحة القادم والقيام له؛ إكراماً، والهرولة إلى لقائه؛ بشاشة وفرحاً" شرح النووي (٩٦/١٧)، وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (نهج الأبرار).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لي

يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ^(١). قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ^(٢): وَهُوَ يَبْرُئُ وَجْهَهُ^(٣) مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبْشُرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»^(٤)، قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي: أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»^(٥)، قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي

(١) أي: تلك الأفعال الجميلة من القيام له والمهولة والمصافحة والتهنئة. قال القرطبي: "أي: تلك القومة والبشاشة التي صدرت له منه. ومعناه: أن تلك الفعلية أكدت في قلبه محبته، وألزمته حرمة حتى عدها من الأيدي الجسيمة، والمنن العظيمة" المفهم (١٠٢/٧).

(٢) أي: بعد رد السلام.

(٣) بضم الراء: أي: يلمع وجهه بالأنوار.

(٤) أي: سوى يوم إسلامك، ولم يستثنه؛ للعلم به.

(٥) أي: أخرج منه جميعه وأتصدق به، فأعزى منه كما يعري الإنسان إذا خلع ثوبه. قال الطيبي: "هذا الانخلاع ليس بظاهر في معنى كفارة النذر، وإنما هو إما كفارة كما ذهب إليه المظهر، كأنه قال: ما أنا فيه يقتضي خلع مالي صدقة مكفرة، وإما شكراً كما في شرح مسلم. قال: فيه استحباب الصدقة وشكر النعم المتجددة..". شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢٤٤٧/٨)، المفاتيح (١٧٧/٤-١٧٨). وقال القرطبي: "أي: إن من علامات صدق توبتي، أو من شكر توبتي أن أتصدق بمالي، أي: إن عليّ ذلك، فهي صيغة نذر والتزام، خرج مخرج الشكر وابتغاء الثواب. أقر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان ذلك جائزاً، ولم يدخل في عموم النذر المنهي عنه. وعلى مقتضى هذا اللفظ فقد وجب عليه إخراج كل ماله، لكن لما كان ذلك يؤدي إلى أن يبقى فقيراً محتاجاً، وربما يفضي به ذلك إلى سؤال الناس، وإلى الدخول في =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي نسب لأبي

بَحِير، قال: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي: أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، قال: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ ^(١)، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً ^(٢) مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيَمَا بَقِيَ، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿التوبة: ١١٧-١١٨﴾ ^(٣)، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

= مفاسد، اكتفى الشرع منه ببعضه فقال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وهذا البعض الذي

أمره بإمساكه هو الأكثر، والمتصدق به هو الأقل.. انظر: المفهم (١٠٢/٧-١٠٣).

(١) البلاء يكون في الخير والشر، لكنه إذا أطلق كان للشر غالباً، فإذا أريد الخير قيد كما قيده هنا فقال:

«أحسن مما أبلاني» أي: أنعم، ومنه قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

﴿البقرة: ٤٩﴾، أي: نعمة. ويقال في الخير والشر، ثلاثياً ورباعياً (بلاء وابتلاء). انظر: المفهم

(١٠٣/٧). قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(٢) بإسكان الدال وكسرها، وبكسر الكاف، ويقال بفتحها.

(٣) قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] معناها: في وقت العسرة؛ لأن السَّاعَةَ تقع على كل زمان،

وكان في ذلك الوقت حر شديد، وكان القوم في ضيقة شديدة، في زمان عسرة الظَّهر، وعسرة الماء،

وعسرة الرِّزَاد، فالعسرة: الشدة وسوء الحال، وهو العسر أيضاً. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ [التوبة: ١١٧] أي:

يميل ويذهب، أي: من بعد ما همَّ بعضهم بالتَّخَلُّف عنه والعصيان ثم لحقوا به. ﴿ثُمَّ تَابَ=



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ ^(١) كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِعَرْضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] ^(٢)، قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا حُلَفَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ بِمَا حُلِفْنَا، تَخَلُّفْنَا عَنِ الْعَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

=عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧] أي: أَلْهَمَهُمْ أَسْبَابَ التَّوْبَةِ، وَأَعَاخَمَ عَلَيْهَا؛ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، أي: لِيَقْبَلَهَا

منهم. وقيل: تاب عليهم قبل توبتهم، وليتوبوا: أي: ليدوموا عليها.

(١) قوله: «أَلَّا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ» كذا عند جميع رواة مسلم والبخاري: «أَلَّا أَكُونَ»، وهي زائدة، وتقدير

الكلام: أن أكون، وكما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] معناه: أن تسجد، وقد رواه

الأصيلي عن البخاري: «إلا أن أكون كذبت»، وليست بشيء، والأولى الصواب. انظر: إكمال المعلم

(٨/٢٨٤-٢٨٥)، المفهم (١٠٤/٧).

(٢) الرجس: المستخبث المستقدر المذموم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن أبي عمير، مسند القشيري، مسند أبي بصير، مسند
مسند ابن أبي عمير، مسند القشيري، مسند أبي بصير، مسند

*وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْبُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ،
عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، بِإِسْنَادِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ سَوَاءً (١).

*وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ ابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ
كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ، حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَزَادَ فِيهِ، عَلَى يُونُسَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، وَلَمْ يَذْكُرْ، فِي
حَدِيثِ ابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ أَبَا حَيْثَمَةَ وَلُحُوفَهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

*وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ
اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ عُبَيْدِ
اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ أُصِيبَ بَصَرُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ قَوْمَهُ وَأَوْعَاهُمْ لِأَحَادِيثِ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ
الَّذِينَ تَبَّ عَلَيْهِمْ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ،

(١) صحيح مسلم (٥٣) [٢٧٦٩].

(٢) صحيح مسلم (٥٤) [٢٧٦٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

غَيْرَ غَزَوَتَيْنِ، وساق الحديث وقال فيه: وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاسٍ كَثِيرٍ يَزِيدُونَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ دِيوَانٌ حَافِظٌ ^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (التوبة)، باب: حديث: توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (الرقاق والتوبة)، باب: يهجر من ظهرت معصيته حتى تتحقق توبته وقبول الله عَزَّجَلَّ للتوبة الصادقة، وكيف تكون أحوال التائب. ولم يذكره في كتاب: (التفسير)، وإنما أشار إلى تقدمه، فقال: "وقد تقدم في كتاب التوبة قصة الثلاثة الذين خلفوا" ^(٢).

ويلاحظ أن القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ قد جمع بين سورة الأنفال وبراءة. كما يلاحظ أنه لم ينقل قصة الثلاثة الذين خَلَّفُوا إلى كتاب: (التفسير)، وإنما أشار إلى تقدمها في كتاب: (التوبة).

وكذلك قصة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، وإنما أشار إلى تقدمها في كتاب: (الجنائز) باعتبار تبويه في (تلخيص كتاب مسلم). وكذلك قصة بدر، وإنما أشار إلى تقدمها في كتاب: (الجهاد) باعتبار تبويه.

(١) صحيح مسلم (٥٥) [٢٧٦٩].

(٢) تلخيص كتاب مسلم (ص: ١١٨٨)، طبعة ابن كثير.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي يسنن أبو ي

ويلاحظ أنه لم يرتب ما أشار إلى تقدمه على وفق الترتيب المصحفي.
وأخرجه البخاري في كتاب: (المغازي)، باب: حديث: كعب بن مالك، وقول
الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] ^(١).

وفي رواية في كتاب: (المناقب)، باب: وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة،
وبيعة العقبة: عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك،
أن عبد الله بن كعب، وكان قائد كعب حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث
حين تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، بطوله ^(٢). قال ابن بكير في حديثه:
ولقد «شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تَوَاقَفْنَا على الإسلام، وما أُحِبُّ
أن لي بها مشهد بدري وإن كانت بدري أذكر في الناس منها» ^(٣).

إجمال ما يستفاد من الحديث:

١ - أمر الله عز وجل عباده أن يلازموا الصدق في جميع الأحوال، وأن يكونوا مع
الصادقين؛ لأن الصدق سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. قال الله عز وجل:

(١) صحيح البخاري [٤٤١٨].

(٢) أي: الحديث كاملاً بطوله.

(٣) صحيح البخاري [٣٨٨٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، "أي: اصدقوا، والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً" (١). قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، ومن صدق نجا" (٢).

وقد صدق كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في توبته بعد تخلفه عن غزوة تبوك، وصدق في اعتذاره للنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما سأله عن سبب تخلفه، فلم يكذب، ولم يعتذر كاذباً كما فعل المنافقون، وقد قبل الله عَزَّجَلَّ توبته، وأنزل في شأنه قرآناً يتلى إلى يوم الدين.

وفي قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ الآية [التوبة: ١١٨] دلالة على صدق الثلاثة الذين خُلِّفُوا في توبتهم. وقد قال جَلَّ وَعَلَا عقب تلك الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فبين أن الصدق سبيل النجاة لكل مؤمن كما كان سبباً لنجاة هؤلاء الثلاثة.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفيه فضل الصدق، وحسن عقابه الذي نجا كعباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصاحبيه، وكان سبب التوبة عليهم، وكان أمرهم يعد زيادة في فضلهم ومنقبة

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٠).

(٢) المصدر السابق (٦/٤١٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

لهم، بخلاف غيرهم ممن كذب وخلف من أهل النفاق، وفضيحة الله عز وجل لهم، وذمهم، ووعيدهم" (١).

٢ - يدل الحديث على مكانة الجهاد في سبيل الله عز وجل.

٣ - يدل الحديث على أن التخلف عنه، أو القعود عنه من غير عذر عند تعيينه من كبائر الذنوب، ويترتب عليه الكثير من المفسدات العاجلة والآجلة، فأما العاجلة فإنه يطمع الأعداء، ويجعل الأمة ضعيفة خاضعة ذليلة مؤتمرة، كما أنه يهدد وجودها وهويتها وثقافتها واستقلالها، وهو من مظاهر النفاق، وسوء الأخلاق، وسبب لتفشي الفساد، ولكثير من الشرور التي تورث الذل والصغار. وأما الآجلة فهو سبب لسخط الله عز وجل، واستحقاق النار والعذاب.

وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (نهج الأبرار).

٤ - رد غيبة المسلم الذي ليس بمُتَهَتِّكٍ في الباطل وهو من مُهَمَّاتِ الآداب وحقوق الإسلام - كما تقدم -.

٥ - في الحديث إيماء إلى بيان خطر النفاق والمنافقين.

٦ - يدل الحديث على مشروعية هجر أهل الأهواء والبدع ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق - كما تقدم -.

(١) إكمال المعلم (٢٧٥/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي الحديث دليل على وجوب هجران من ظهرت معصيته، فلا يسلم عليه إلا أن يقلع وتظهر توبته" (١).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيه: هجران أهل الذنوب، وقطع مكالمتهم، والإعراض عنهم، وترك رد السلام عليهم؛ إذ كان ثم من يرده غيرك أو رده سرّاً؛ تأديباً لهم، قال: وفيه حجة أن السجون يضيق عليه. وفيه حجة لقول مَنْ قال من أئمتنا: إن المسجون في الذنوب لا تترك معه زوجته؛ تضيقاً عليه، وهو قول سحنون رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهم باعتزال نسائهم. وابن عبد الحكم رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمتنا يرى ألا يفرق بينه وبين زوجته إذا كان السجن خالياً، أو فيه موضع تنفرد فيه معه المرأة عن الرجال" (٢).

٧ - دلالة على أنه لا يخرج المرء بترك رد سلام أهل الأهواء والبدع - كما ذكر الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه الآنف الذكر -.

٨ - في الحديث دليل على أن من حلف ألا يكلم رجلاً فسَلَّم عليه، أو ردَّ عليه السَّلام كان حائثاً.

٩ - في الحديث دليل على أن من حلف ألا يكلم رجلاً فسأله عن شيء فقال له: (الله أعلم) ولم يُردَّ جوابه، ولا إسماعه لم يحنث بذلك.

١٠ - جواز حرق ما فيه اسم الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لعله توجب ذلك.

(١) المفهم (٩٨/٧).

(٢) إكمال المعلم (٢٧٥/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

١١ - في الحديث دلالة على أنه قال لزوجته: (الحقي بأهلك)، ولم يرد به طلاقاً فإنه لا يكون طلاقاً، والكنائيات كلها على قياسه. وقال أبو عبيد رَحِمَهُ اللهُ في قوله: (الحقي بأهلك) هو تطليقة يكون فيها البعل مالِكاً للرجعة إلا أن يكون أراد ثلاثاً - كما تقدم -.

١٢ - استحباب سجود الشكر لكل نعمة حصلت، أو كربة اندفعت.

١٣ - استحباب الصدقة وشكر النعم المتجددة.

١٤ - جواز البشارة والتهنئة بين الناس فيما يسر من أمر الدنيا والآخرة، وجواز إعطاء البشير جعلاً على بشارته ومكافأته؛ فإن إظهار السرور بما يسر به أخوه المسلم فيه توثيق لعرى المحبة، وتصفية للقلوب - كما تقدم -.

١٥ - جواز مصافحة القادم والقيام له؛ إكراماً، والهرولة إلى لقائه؛ بشاشة وفرحاً، وقيل: إنه في هذه الحالة مندوب - كما تقدم -.

ومن الذُّنُوبِ المتوعَّدِ عليها بالنار، والتي يتساهل الناس فيها: سرورُ البعض بقيام الناس له، ولو لم يطلب ذلك منهم، ولكنه أحبُّه، واستحسنه بلسان حاله.

وقد جاء في الحديث: عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وفي لفظ: «مَنْ سَرَّهُ»^(١).

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٥٣]، وأحمد [١٦٨٣٠، ١٦٩١٨]، وعبد بن حميد [٤١٣]، وأبو داود [٥٢٢٩]، قال المنذري (٢٨٩/٣): "رواه أبو داود بإسناد صحيح". وأخرجه أيضاً: الترمذي [٢٧٥٥]، وقال: "حديث حسن". كما أخرجه الدولابي في (الكنى والأسماء) [٥٠٨]، والطحاوي في (شرح مشكل =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى: «من أحب أن يقام له»، أي: "أن يأمرهم بذلك، ويلزمه إياهم على مذهب الكبر والنخوة". وقال: "وفي حديث: سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلالة على أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل، وللولي العادل، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه" (١).

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا القيام يكون على وجه البر والإكرام كما كان قيام الأنصار لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيام طلحة لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا ينبغي للذي يقام له أن يريد ذلك من صاحبه، حتى إن لم يفعل حَقٌّ عليه أو شكاه أو عاتبه" (٢).

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: "سمعت أبا عبد الله [الحاكم] الحافظ، يقول: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق [الضبي - إمام الشافعية بنيسابور -]، يقول: التقيت مع أبي عثمان، يعني: الحيري يوم عيد في المصلى، وكان من عادته إذا التقى بواحد منا فسأله بحضرة الناس عن مسائل فقهية، ويريد بذلك إجلاله وزيادة محله عند العوام، فسألني بحضرة الناس في مصلى العيد عن مسائل، فلما فرغ منها قلت له: أيها الأستاذ في قلبي شيء أردت أن أسألك عنه منذ حين، قال: قلت: إني رجل قد دفعت إلى صحبة الناس، وحضور هذه المحافل، وإني ربما أدخل مجلساً يقوم لي بعض الحاضرين، ويتقاعد عن القيام لي بعضهم، فأجدني أنضم على المتقاعد حتى لو قدرت على الإساءة إليه

= [الآثار] (١١٢٥، ١١٢٧)، والخرائطي في (مساوئ الأخلاق) [٧٨٤]، والطبراني [٨١٩]، والبيهقي

في (شعب الإيمان) [٨٥٣٨].

(١) معالم السنن (٤/١٥٥ - ١٥٦).

(٢) شعب الإيمان (١١/٢٧٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عثمان بن كثير القشيري الذي سبأوري

فعلت، قال: فلما فرغت من كلامي سكت أبو عثمان، وتغير لونه، ولم يجيني بشيء، فلما رأيته قد تغير لونه سكت، ثم انصرفت من المصلى، فلما كان بعد العصر قعدت له، وأذنت للناس، فدخل علي عند المساء جار لي قال: من كان يتخلف عن مجلس أبي عثمان، فقلت له: من أين أقبلت؟، قال: من مجلس أبي عثمان، قلت: وفيما ذا كان يتكلم؟، قال: أجرى المجلس من أوله إلى آخره في رجل كان ظنه به أجمل ظن، فأخبر عن سره بشيء أنكره أبو عثمان، وتغير به، قال أبو بكر: فعلمت أنه حديثي، قلت: وبما ختم حديث ذلك الرجل؟ قال: قال أبو عثمان: أظهر لي من باطنه شيئاً لم أشم منه رائحة الإيمان، ويشبه أنه على الضلال ما لم يظهر توبته من الذي أخبرني به عن نفسه. قال الشيخ أبو بكر رَحِمَهُ اللهُ: فوقع علي البكاء، وتبت إلى الله عَزَّجَلَّ مما كنت عليه" (١). والابتلاء بهذا كثير - نسأل الله العافية -.

وقد ألف الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في ذلك تأليفاً مختصراً نافعا، ذكر فيه الأحاديث الواردة في ذلك والآثار (٢).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "وأما إكرام الداخل بالقيام، فالذي نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم، أو صلاح، أو شرف، أو ولاية مصحوبة بصيانة، أوله حرمة بولاية أو نحوها، أو رحم مع سنٍّ، ونحو ذلك، ويكون هذا القيام للبرِّ والإكرام والاحترام، لا للرياء والإعظام، وعلى هذا الذي اخترناه استمرَّ عمل السلف والخلف،

(١) شعب الإيمان [٨٥٣٩].

(٢) انظر: المقاصد الحسنة (ص: ٦١٩)، كشف الخفاء (٢/٢٦١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

وقد جمعت في ذلك جزءًا جمعت فيه الأحاديث والآثار وأقوال السلف وأفعالهم الدالة على ما ذكرته، ذكرت فيه ما خالفها، وأوضحت الجواب عنه، فمن أشكل عليه من ذلك شيء ورغب في مطالعة ذلك الجزء رجوت أن يزول إشكاله إن شاء الله تعالى - والله أعلم -^(١).

وأجاب الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث: «من أَحَبَّ أن يَمُثَّلَ له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار» بأن هذا الخبر إنما فيه نهي من يُقَامُ له عن السرور بذلك، لا نهي من يقوم له إكرامًا له. وأجاب عنه ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ بأن معناه: من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم، وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه^(٢).

واحتج ابن بطل رَحِمَهُ اللَّهُ للجواز بحديث: عائشة - أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله إذا رأى فاطمة ابنته قد أقبلت رحب بها، ثم قام إليها فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته، وأجلسته في مجلسها»^(٣)، كما احتج الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ بحديث: أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) الأذكار، للإمام النووي (ص: ٢٦٨)، وانظر: المجموع شرح المذهب (٤/٦٣٥ - ٦٣٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/٥٠)، شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٩/٤٣ - ٤٤).

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه [٢١٠٣]، وأبو داود [٥٢١٧]، والترمذي [٣٨٧٢]، وقال: "حسن صحيح"، وأخرجه أيضًا: النسائي في (الكبرى) [٨٣١١]، وابن حبان [٦٩٥٣]، والحاكم [٧٧١٥] وصححه، قال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم". وقال الحافظ ابن حجر: "أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه، وصححه ابن حبان والحاكم، وأصله في الصحيح" فتح الباري، لابن حجر (١١/٥٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسند القشيري الذي نسب إلى أبي

وقيل: لم يكن هذا القيام للتعظيم، وإنما هو لينزله عن دابته؛ لما كان فيه من المرض كما جاء في بعض الروايات (١).

ونقل عن أبي الوليد بن رشد رَحِمَهُ اللهُ: أن القيام يقع على أربعة أوجه:
الأول: محذور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبراً وتعاضماً على القائمين إليه.

والثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاضم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبايرة.
والثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويؤمن معه التشبه بالجبايرة.

والرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحاً بقدومه، ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها، أو مصيبة فيعزيه بسببها (٢).
وقال الشيخ وجيه الدين أبو المعالي رَحِمَهُ اللهُ في (شرح الهداية): "تستحب زيارة القادم ومعانقته والسلام عليه. قال: وإكرام العلماء وأشراف القوم بالقيام سنة مستحبة.

(١) انظر: مرقاة المفاتيح (٢٥٤٧/٦).

(٢) انظر: البيان والتحصيل، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (٣٥٩/٤)، المدخل، لابن الحاج (١٦٨/١)، فتح الباري، لابن حجر (٥١/١١-٥٢)، عمدة القاري، للعيني (٢٥٢/٢٢)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (٣٢٢/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي سبأوري

قال: ويكره أن يطمع في قيام الناس له؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحب أن يتمثل الناس له فليتبوأ مقعده من النار».

وفي بعض ألفاظه: «صفوفاً» كذا قال. وسبق في القيام ما ظاهره أو صريحه التحريم؛ لهذا الخبر.

قال أبو المعالي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا محمول على ما يفعله الملوك من استدانة قيام الناس لهم؛ لأنه يراوح بين رجليه كما تقف الدابة على ثلاث وتريح واحدة^(١).
وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (نهج الأبرار).

١٦ - ينبغي على العبد أن يحفظ الفضل لأهله، وأن يتذكر دائماً إحسان من يحسن إليه، وألا ينسى ذلك الإحسان أو يتغافل عنه، وهذا المبدأ العظيم يؤخذ من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

١٧ - البلاء يكون في الخير والشر؛ فتنة للعباد وتمحيصاً - كما تقدم -.

١٨ - الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، ولا سيما عند وقوع البلاء.

١٩ - صدق أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخلاصهم، وامتنانهم لأمر الشارع.

٢٠ - يستفاد من الحديث: أن خير أيام العبد في حياته هو الذي يقبل فيه على

الله عَزَّوَجَلَّ، ويتقرب إليه بالطاعات، وأن يجدد فيه مع الله عَزَّوَجَلَّ توبة وعهداً على أن

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٢/٢٦٠)، وانظر: كشف القناع (٢/١٥٦)، مطالب أولي النهى (٩٤٣/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

يسير على صراطه المستقيم، وألا يشرد عنه، وأن يرجع عن كل خطأ، ويعزم ألا يعود إليه.

٢١ - اعتراف من يخطأ بخطئه هو السبيل لإصلاحه.

٢٢ - قوله: «كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ» قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفيه سنة ركعتي المسافر إذا قدم كما كان يفعل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ" (١).

وفي رواية: قال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ» (٢).

وفي رواية: عن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ضَحَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ» (٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ لِي: «ادْخُلِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ» (٤).

٢٣ - قوله: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٍّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ، مَنَّ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

(١) إكمال المعلم (٨/٢٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٩٦/١).

(٣) صحيح البخاري [٣٠٨٨].

(٤) صحيح البخاري [٣٠٨٧].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ «النفير»

فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ».

فماذا كان موقف كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أنه كان في ضيق شديد أمام هذه المغريات، وهذا الابتلاء؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: «وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا». وهذا موقف ثبات وصدق منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي ذلك دلالة على أن أعظم ما يحصله الإنسان في هذه الحياة الفانية هو سلامة الدين، مهما كان حال الإنسان من ضيق وشدة، فلا ينبغي أن يخضع لمغريات الأعداء فإنها تنقلب عليه وبالأمر في مآله، فينبغي أن يكون على بصيرة بأن الأعداء لن يعطوه شيئاً من غير مقابل، كيف إذا كان المقابل خسارة دينه ونفسه؟! وقد يخفى على البعض ما يراد منه أو من نسله فينساق وراء تلك المغريات، فيسقط في أوحال الضلال، وبحار الشهوات.

٢٤ - التشديد على كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عقوبة لا تخلو من التربية؛ لأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخالص، ومن الصالحين الأتقياء؛ ولذلك كانت العقوبة شديدة عليه.

٢٥ - جواز دخول بستان صديقه وقريبه بدون إذنه بشرط أن يعلم أنه ليس له هناك زوجة مكشوفة، ونحو ذلك - كما تقدم -.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

- ٢٦ - من علامات الصدق في التوبة: أن تضيق على التائب أرضه ونفسه كما ضاقت على كعب وصاحبيه.
- ٢٧ - الحرص على جمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، وتقريب وجهات النظر، والبعد عن التحريض والغمز واللمز.



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

[ومن سورة إبراهيم]

ن ض

[١] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [إبراهيم: ٢٧]»^(١).

وعن خيثمة، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [إبراهيم: ٢٧] قال: «نزلت في عذاب القبر»^(٢).

(١) صحيح مسلم (٧٣) [٢٨٧١].

(٢) صحيح مسلم (٧٤) [٢٨٧١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رحمه الله في كتاب: (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه. باعتبار تبويب الشراح، وما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير).

والحديث أخرجه البخاري رحمه الله: عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في كتاب: (الجنائز)، باب: ما جاء في عذاب القبر^(١). وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]^(٢).

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: بيان دلالة الحديث:

قوله: «نزلت في عذاب القبر» أي: في السؤال في القبر. ولما كان السؤال يكون سبباً للعذاب في الجملة، ولو في حق بعض عبر عنه باسم العذاب، فالمراد بالثبوت في الآخرة هو تثبيت المؤمن في القبر عند سؤال الملكين إياه.

(١) صحيح البخاري [١٣٦٩].

(٢) صحيح البخاري [٤٦٩٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وهل هو من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم من كلام البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أي: يثبتهم في هذه الدار على التوحيد، والإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يميتهم عليه، وفي الآخرة عند المساءلة في القبر، كما فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله فهو المقصود، وإن كان من قول البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذا لا يقوله أحد من قَبْل نفسه ورأيه، فهو محمول على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله، وسكت البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رفعه؛ لعلم المخاطب بذلك - والله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أعلم -. وقد قيل عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «هما سؤال القبر، وسؤال القيامة»، يعني: يرشد المؤمن فيهما إلى الصواب، ويصرف الكافر عن الجواب.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، أي: يخذلهم عند السؤال، قاله قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ " (١).

وقال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن قلت: ليس في الآية ما يدل على عذاب المؤمن، فما معنى قوله: «نزلت في عذاب القبر»؟ قلت: لعله سمى أحوال العبد في القبر بعذاب القبر على تغليب فتنة الكافر على فتنة المؤمن؛ ترهيباً وتخويفاً؛ لأنَّ القبر مقام الهول والوحشة؛ ولأن ملاقات الملكين مما يهيب المؤمن" (٢).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٤٨/٧-١٤٩).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٥٨٧/٢)، وانظر: الكواكب الدراري (١٤٦/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه: أن المراد إثبات عذاب القبر مجملًا، غايته: أن عذاب المؤمن الفاسق مسكوت عنه، كما هو دأب القرآن في الاختصار على حكم الفريقين، كما ورد في إعطاء الكتاب باليمين والشمال، وخفة الميزان وثقله، وأمثالها..".^(١)

وقال الإمام أبو عبد الله المازري رَحِمَهُ اللهُ: "عذاب القبر ثابت عند أهل السنة، وقد وردت به الآثار، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الآية [غافر: ٤٦]. وقال: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتُنْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَلْتُنْتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، ولا يبعد في العقل أن يعيد الباري جَلَّ وَعَلَا الحياة في بعض أجزاء الجسد، ولا يدفع هذا بالاستبعاد؛ لما بيناه، ولا بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]؛ لأنه يحتمل أن يريد الموتة التي فيها جرع وغصص، وموتة القبر ليست كذلك، ويحتمل أيضًا أن يريد جنس الموت ولم يرد موتة واحدة، وإذا احتمل لم يرد به ما قدمناه من الظواهر والأخبار"^(٢).

وقال المظهر رَحِمَهُ اللهُ: "اعلم أن الميت إذا وضع في القبر تنفخ فيه الروح، ويقعد حيًّا كما كان في الدنيا قاعدًا، وأتاه ملكان من عند الله عَزَّجَلَّ، فيسألانه عن ربه، وعن نبيه، وعن دينه، فإن كان مسلمًا أزال الله عَزَّجَلَّ الخوف عنه، وأثبت لسانه في جوابهما، فيجيبهما عما يسألانه، وأما الكافر فغلب عليه الخوف، ولا يقدر على جوابهما فيكون معذبا في القبر.

(١) مرقاة المفاتيح (٢٠٣/١).

(٢) المعلم بفوائد مسلم (٣٦٥/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ﴾؛ أي: يجري الله عَزَّوَجَلَّ لسان المسلمين ﴿يَالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وهو كلمة الشهادة، ويدعمهم على الحق ما داموا في الدنيا.
قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾؛ يعني: في القبر أيضاً يجري لسانهم بكلمة الشهادة ليجيبوا الملكين، وليس المراد من (الآخرة) ها هنا: يوم القيامة؛ لأن قول كلمة الشهادة لا ينفع يوم القيامة، بل المراد منه: القبر^(١).

المسألة الثانية: الإيمان بحياة البرزخ الخاصة:

وهي الفاصلة بين حياة فانية، وحياة باقية.

إن من الإيمان باليوم الآخر: إيمان المسلمين بما أخبر به الشارع مما يكون بعد الموت، كفتنة القبر، وعذابه ونعيمه، فأما الفتنة فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ كما جاء في الحديث: عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أتيت عائشة - زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ فأشارت: أي نعم، فقمت حتى بَلَغَني العَشِيُّ، وَجَعَلْتُ أَصْبُ فوق رأسي ماء، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمد الله عَزَّوَجَلَّ، وأثنى عليه، ثم قال: «ما من شيء كنت لم أراه إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور، مثل: -أو قريب من- فتنة الدجال» - لا أدري أي ذلك قالت

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (١/٢١٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمي بوري

أسماء- «يُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن»،
- لا أدري أي ذلك قالت: أسماء- «فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات
والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: ثم صالحا، فقد علمنا إن كنت لمؤمنًا، وأما
المنافق أو المرتاب» - لا أدري أي ذلك قالت أسماء- «فيقول: لا أدري، سمعت
الناس يقولون شيئًا فقلت»^(١).

إن أهل السنة يؤمنون بعذاب القبر لمن كان أهلاً له، وسؤال مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وأنَّ
القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وأن كل من مات وهو مستحق
العذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رمادًا،
ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما
يصل إلى أصحاب القبور.

وقد ظنَّ بعض الأوائل أنه إذا أحرق جسده بالنار وصار رمادًا، وذري بعضه في
البحر، وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو بذلك، كما في (صحيح البخاري):
عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ،
فَلَمَّا يَسَّ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ
نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ خَمِيَّ وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي فَاْمْتَحِشْتُ^(٢)، فَخُذُوهَا

(١) أخرجه البخاري [٨٦، ١٨٤، ٩٢٢، ١٠٥٣، ٧٢٨٧].

(٢) أي: احترقت، أو احترق عظمي.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

فَاطَحْنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا ^(١)، فَادْرُوهُ ^(٢) فِي الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لَمْ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ^(٣).

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لَبْنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لئن قَدَرَ عَلَيَّ رِيٌّ لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ لَهُ»، وَقَالَ غَيْرُهُ: «مَخَافَتِكَ يَا رَبِّ» ^(٤).

وفي رواية: عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ ^(٥) اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَبْنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي ^(٦)، ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ

(١) أي: شديد الريح.

(٢) أي: طبروه.

(٣) أخرجه البخاري [٣٤٥٢، ٣٤٧٩].

(٤) صحيح البخاري [٣٤٨١]، مسلم [٢٧٥٦].

(٥) أي: أعطاه وبارك له فيه، من (الرغس)، وهو البركة والنماء والخير.

(٦) من (السحق)، وهو أشد الدق.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

عاصف، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل، فقال: على ما فعلت؟ قال: مخافتك، فتلقاه برحمته» (١).

وفي لفظ: عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ذكر رجلاً فيمن كان سلف، أو قبلكم، آتاه الله مالاً وولداً - يعني: أعطاه - قال: فلما حضر قال لبيه: أيّ أب كنتُ لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإنه لم يبتئر عند الله خيراً - فسرّها قتادة: لم يدخر - وإن يقدم على الله يُعَذِّبُهُ، فانظروا فإذا مُتُّ فَأَخْرِقُونِي، حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني - أو قال: فاسهكوني -، فإذا كان يوم ربح عاصف فأذروني فيها، فقال: نبي الله صلى الله عليه وسلم: فأخذ مواعيقهم على ذلك وربي، ففعلوا، ثم أذروه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: أي عبي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، - أو فرق منك -، قال: فما تلافاه أن رحمه عندها»، وقال مرة أخرى: «فما تلافاه غيرها»، فحدثت به أبا عثمان، فقال: سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: «أذروني في البحر»، أو كما حدث (٢).

فقوله: «فلم يبتئر خيراً» أي: لم يقدم لنفسه خبيثة خير، ولم يدخر، فسرها قتادة رحمه الله بقوله: لم يدخر، وقال أبو عبيد رحمه الله: قول: «فلم يبتئر خيراً» أي: لم يقدم خيراً، وهو من الشيء يخبأ، كأنه لم يقدم لنفسه شيئاً خبأ لها. والأصمعي والكسائي رحمه الله كانا يقولان فيه: لم يقدم خيراً. وقال غيرهما: معناه: أنه لم يقدم لنفسه خيراً

(١) صحيح البخاري [٣٤٧٨، ٦٤٨١، ٧٥٠٨]، مسلم [٢٧٥٧].

(٢) صحيح البخاري [٦٤٨١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

خبأه لها. وقالوا: إن أصل الابتثار: الإخفاء، يقال منه: بأرت الشيء وابتأرته ابتثارة، ومنه سميت الحفرة: البؤرة، وفيه لغتان، ابتأرت وابتيرت، ومصدره: ابتثارة^(١).
ومن الأحاديث الدالة على حياة البرزخ: ما عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»^(٢).

المسألة الثالثة: المراحل التي يمر بها الإنسان قبل ولادته وبعدها:

الإنسان قبل ولادته يكون جنيناً في بطن أمه، وله أطوار يمر بها في تكوينه، كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك في قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ

(١) انظر: غريب الحديث، لأبي غنيد القاسم بن سلام، مادة: (بأر) (١٤٦/١-١٤٧)، تهذيب اللغة (١٨٩/١٥)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٩٣/١٠)، غريب الحديث، لابن الجوزي (٥١/١)، كشف المشكل (١٥٦/٣)، المعلم بفوائد مسلم (٣٣٥/٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (بأر) (٨٩/١)، أساس البلاغة (٢٢٨/١).

(٢) صحيح مسلم [٩٢٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧].

وقال الله عزَّ وجلَّ أيضاً في بيان المراحل التي يمر بها الإنسان من الخلق إلى البعث يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

وفي الحديث: عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها» ^(١).

(١) صحيح البخاري [٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤]، مسلم [٢٦٤٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تأسس بوري

والموت ليس نهاية لرحلة الإنسان حيث قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فالموت ليس الخاتمة الأبدية لرحلة الإنسان، وإنما ينتقل الإنسان من حياة إلى أخرى، هذه هي الحقيقة عرفها المسلمون من كتاب ربهم جَلَّ وَعَلَا، ومن سنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغابت عن كثيرين، حتى عاينوا الحقيقة عند حضور الموت، وتمنوا الرجوع إلى الدنيا، كما أخبر الحق جَلَّ وَعَلَا عن عاقبتهم بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ ۝١٦ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ ۝١٧ وَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۚ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٤].

وأخبر عن تحسرهم بقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٥٩﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩].

وينتقل الإنسان بعد الموت إلى دار البرزخ، وهي الدار الفاصلة بين الدنيا والآخرة، ينتقل من دار الزرع إلى دار الحصاد، من دار الفناء إلى دار البقاء، من دار التكليف إلى دار الثواب والعقاب.



الشرح التحليلي لكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (الروح): "إن الله عَزَّجَلَّ جعل الدور ثلاثاً: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار^(١). وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس.

وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها. فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا، فتألمت بألمها، والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها. والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة، والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها. والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية في قبورها، فتجري أحكام البرزخ على الأرواح، فتسري إلى أبدانها نعيمًا وعذابًا، كما جرى أحكام الدنيا على الأبدان، فتسري إلى أرواحها نعيمًا وعذابًا. فأحط بهذا الموضع علمًا وأعرفه كما ينبغي، يزل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج"^(٢).

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الموت انتقال من دار ضيقة إلى دار واسعة. قال العلماء: الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار.

(١) ومن أهل العلم من جعل الدور للإنسان أربعاً: فجعل الأولى: عندما يكون في بطن أمه.

(٢) الروح (ص: ٦٣)، وانظر: تسلية أهل المصائب (ص: ٢٠٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

فإن الله جَلَّوَعَلَا خلق بني آدم للبقاء لا للفناء، وإنما ينقلهم بعد خلقهم من دار إلى دار، كما قال ذلك طائفة من السلف الأخيار منهم: بلال بن سعد، وعمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها:
الأولى: بطن الأم، وذلك محل الضيق والحصر والغم، والظلمات الثلاث.
والثانية: هي الدار التي أنشأتها وألفتها، واكتسبت فيها الشر والخير.
والثالثة: هي دار البرزخ، وهو أوسع من هذه الدار وأعظم، ونسبة هذا الدار إليها كنسبة البطن إلى هذه.

والرابعة: هي دار القرار الجنة أو النار، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى. انتهى^(١).

ويتبين مما سبق: أن يمر بمراحل: مرحلة الجنين، وله أطوار يمر بها، ثم مرحلة الولادة والرضاعة، ثم مرحلة الطفولة، ثم مرحلة المراهقة، ثم مرحلة الرشد، ثم مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ومن الناس من يرد بعد الشيخوخة إلى أرذل العمر، نسأل الله جَلَّوَعَلَا السلامة والعافية.

(١) بشرى الكتيب بقاء الحبيب، لجلال الدين السيوطي (ص: ١٨)، وانظر: أهوال القبور، لابن رجب (ص: ٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

ومن أنفع الدعاء: ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جوامع الكلم - كما تقرر في غير موضع -، ومن ذلك: ما كان يستعيد منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نحو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر» الحديث (١).

والمراحل الرئيسية التي يمر الإنسان بعد ولادته ثلاث:

الأولى: هذه الحياة الدنيا الفانية.

والثانية: مرحلة البرزخ الفاصلة بين الحياتين الفانية والباقية.

والثالثة: الحياة في الدار الآخرة حيث البقاء الأبدي الذي لا زوال له ولا انقضاء.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها.

وأما (دار القرار) فهي إما الجنة أو النار، وسميت: (دار القرار)؛ لكونها دائمة لا تنقطع، ومستمرة لا تزول.

قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: "في حالة الإنسان في دنياه وما يحتاج أن يتزود منها الإنسان مسافر، ومبدأ سفره من حيث ما أشار إليه جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

قال: ومنتهى سفره: دار السلام، ودار القرار. وله بينهما منازل... (٢).

(١) صحيح البخاري [٢٨٢٢، ٦٣٦٥، ٦٣٧٠].

(٢) تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين (ص: ٦٩-٧٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

المسألة الرابعة: حقيقة الحياة في دار البرزخ والعذاب والفتنة والنعيم فيه:
الحياة الأرواح في دار البرزخ من عالم الغيب، الذي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق النقل.

وقد دلّ النقل على أن حياة الناس في دار البرزخ حياة خاصة، وفيها يفتنون، فينعمون أو يعذبون.

وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميّت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، على اختلاف في ماهية هذا العذاب، هل هو عذاب حسي، أم أنه من قبيل العرض، وأنه لا عذاب حسي إلا المحاسبة؟ قولان، ولا سبيل إلى القطع في ذلك؛ لكونه من الغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق النقل، وما دام النقل محتملاً للحمل على عذاب العرض النفسي، فالقطع بأنه بطبيعة العذاب الواقع دونه خطر القتاد، وعلى هذا فمن نفى العذاب فإنما يحمل قوله على نفى العذاب الحسي، دون نفى عذاب العرض الذي يصيب النفس بسبب رؤية منزلها، وما سينزل بها بعد المحاسبة من العقاب، ولا سيما في أعمال جاء فيها الوعيد الشديد، فهو يتقلب في عذاب على كلا القولين على مدار الزمان - والله أعلم -.

ولذلك قال ميمون بن محمد النسفي رَحِمَهُ اللهُ في (بحر الكلام): "والدليل على أن عذاب القبر مما يقبله العقل: ألا ترى أن النائم تخرج روحه، وتكون متصلة بجسده حتى أنه يتألم في المنام، ويصل إليه الألم والاستراحة، وقد يتكلم في المنام؛ لأن روحه متصلة بجسده، والنوم أخو الموت، فيجوز أن يتألم ويستريح بعد الموت. والمعذب والمرح والراحم



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

هو الله عز وجل، يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، كما يريد، وهو على كل شيء قدير" (١).

ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى قام الموتى من قبورهم لرب العالمين؛ للحساب على ما كل واحد منهم من عمل، وعلى ما فرط وترك، كما قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٦-٧].

وقال جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥١-٥٤].

وقال جل وعلا: ﴿خُشِعَا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٥٧ مُهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٥٨﴾ [القمر: ٧-٨].

وقال جل وعلا: ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفَضُونَ ۝٤٣ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤٥ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٤٦﴾ [الانفطار: ٤-٥].

(١) بحر الكلام (ص: ٢٥١-٢٥٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّيبِيَّيْنِ بُورِي

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ① وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ② وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ③ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ④ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑤ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑥ [العاديات: ٦-١١].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ [التكاثر: ١-٨].

قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (شرح الصدور): "باب: (فتنة القبر، وسؤال الملكين):

قد تواترت الأحاديث بذلك، مؤكدة من رواية: أنس، والبراء، وتميم الداري، وبشير بن الكمال، وثوبان، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن رواحة، وعبادة بن الصامت، وحذيفة، وضمرة بن حبيب، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأسماء، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ" (١).

وأخبر الله جَلَّوَعَلَا عن حال من شغله المتاع العاجل، وغفل عن الدار الآخرة حتى باغته الموت بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ١٢١).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وكرر قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مرتين؛ لأن العرب إذا أرادت التعليل في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس، لو تعلمون أيها الناس علماً يقيناً، أن الله عَزَّجَلَّ باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم من قبوركم ما أهلكم التكاثر عن طاعة الله ربكم عَزَّجَلَّ، ولسارعتهم إلى عبادته، والانتهاه إلى أمره ونهيهِ، ورفض الدنيا؛ إشفاقاً على أنفسكم من عقوبته" (١).

وهاك جملة من أصح ما جاء من الأحاديث في هذا الباب من حيث الدلالة على عذاب البرزخ، وفتنته، ونعيمه.

المسألة الخامسة: النصوص الدالة على عذاب البرزخ، وفتنته، ونعيمه:

استدل على عذاب البرزخ بجملة من النصوص من الكتاب والسنة:

وقد استدلل من القرآن الكريم على عذاب البرزخ بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) [غافر: ٤٥-٤٦]. فالعطف يقتضي المغايرة، فعرض النار قبل يوم القيامة، وهو عذاب القبر.

(١) تفسير الطبري (٥٨١/٢٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي يسمونه بـ

وقد استدل بالآية الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في (صحيحه) على عذاب البرزخ^(١).
وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: "وأما قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] فإنه لم يرد أن ذلك يكون في الآخرة، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور.

وهذا شاهد من كتاب الله عزَّ وجلَّ لعذاب القبر، يدلُّك على ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فهم في البرزخ يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، وفي القيامة يدخلون أشدَّ العذاب^(٢).

وقال جابر الله الرمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر"^(٣).
وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: "فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة"^(٤).

وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ: "الآيات الدالة على عذاب القبر، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا أَفْتِنَا﴾ [غافر: ١١]، والموتتان لا تحصل إلا عند حصول الحياة في القبر، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، والفاء للتعقيب.. وذكر قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

(١) انظر: صحيح البخاري، باب: ما جاء في عذاب القبر (٩٧/٢).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٦).

(٣) الكشف (١٧٠/٤)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٣٢/٢)، تفسير القرطبي (٣١٩-٣١٨/١٥).

(٤) معالم التنزيل (٣٤١/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاج بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ربي

قال: وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً.. ثم دلل على ذلك^(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّ فَإِنْ أَرْوَاهُمْ تَعْرُضُ عَلَى النَّارِ صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ اجْتَمَعَتْ أَرْوَاهُ وَأَجْسَادُهُمْ فِي النَّارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، أي: أشده ألماً وأعظمه نكالاً. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور" (٢).

ومن الأدلة على حياة النعيم الخاصة في البرزخ: قوله جَلَّوَعَلَا عَنْ الشَّهَدَاءِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وقال جَلَّوَعَلَا عَنْ الشَّهَدَاءِ أَيْضًا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فَرَحِينِ بِمَا عَانَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

فقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، "أي: بل هم أحياء، والجملة معطوفة على ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ إضراب عنه، وليس من عطف المفرد على المفرد؛

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٢٦/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤٦/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

ليكون في حيز القول، ويصير المعنى: بل قولوا: أحياء؛ لأن المقصود إثبات الحياة لهم، لا أمرهم بأن يقولوا في شأنهم: إنهم أحياء، وإن كان ذلك أيضًا صحيحًا. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤) أي: لا تحسون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر؛ لأنها من أحوال البرزخ التي لا يطلع عليها، ولا طريق للعلم بها إلا بالوحي. واختلف في هذه الحياة، فذهب كثير من السلف إلى أنها حقيقية بالروح والجسد ولكننا لا ندركها في هذه النشأة، واستدلوا بسياق قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٣٦) [إل عمران: ١٦٩]، وبأن الحياة الروحانية التي ليست بالجسد ليست من خواصهم، فلا يكون لهم امتياز بذلك على من عداهم.

وذهب البعض إلى أنها روحانية، وكونهم يرزقون لا ينافي ذلك، فقد روي عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشهداء أحياء عند الله عَزَّوَجَلَّ تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرُّوح^(١) والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوًا وعشيًا، فيصل إليهم الوجع^(٢)، فوصول هذا الرُّوح إلى الروح هو الرزق والامتياز ليس بمجرد الحياة، بل مع ما ينضم إليها من اختصاصهم بمزيد القرب من الله عز شأنه، ومزيد البهجة والكرامة.

(١) الروح - بفتح الراء -: الراحة والسرور، و(الروح) - بالفتح - من (الاستراحة)، وكذا: (الراحة). و(الروح) أيضًا و(الريحان): الرحمة والرزق. انظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (روح) (٣٧٠/١ - ٣٧١)، مختار الصحاح، (ص: ١٣١)، جمهرة اللغة (٥٢٦/١)، تهذيب اللغة (١٤٢/٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٢٢/٢)، تفسير البغوي (١٦٨/١)، الكشف (٢٠٦/١)، تفسير البيضاوي (١١٤/١)، تفسير النسفي (١٤٤/١). وما يستدل على ذلك: حديث: «الشهداء على بارق نحر باب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» وسيأتي.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وذهب البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى نفي الحياة بالفعل عنهم مطلقاً - وأخرج الجملة الاسمية الدالة على الاستمرار المستوعب للأزمة من وقت القتل إلى ما لا آخر له عن ظاهرها - وقال: معنى: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ إنهم يحيون يوم القيامة، فيجزون أحسن الجزاء، فالآية على حدٍّ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) [الأنفطار: ١٣-١٤].
وفائدة الإخبار بذلك: الرد على المشركين حيث قالوا: إن أصحاب محمد يقتلون أنفسهم، ويخرجون من الدنيا بلا فائدة، ويضيعون أعمارهم، فكأنه قيل: ليس الأمر كما زعمتم، بل يحيون ويخرجون.
وذهب بعضهم إلى إثبات الحياة الحكيمة لهم بما نالوا من الذكر الجميل، والثناء الجليل (١).

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥) [البقرة: ١٥٤]، أي: "كيف حالهم في حياتهم" (٢). قال القاضي البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل، بل بالوحي، وفيها دلالة على أن الأرواح: جواهر قائمة بنفسها، وأنها تبقى بعد الموت دارقة، وعليه جمهور الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَآلِهِمُ السَّلَامُ والتابعين، وبه نطقت الآيات والسنن،

(١) روح المعاني (٤١٨/١).

(٢) الكشف (٢٠٦/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وعلى هذا فتخصيص الشهداء؛ لاختصاصهم بالقرب من الله عَزَّوَجَلَّ، ومزيد البهجة والكرامة" (١).

وكلام الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ فيما يظهر أعم من أن تكون حياتهم بالروح فحسب، ولا ريب أنها أمر لا يدرك بالعقل، بل بالوحي، ولا وجه لنفي الحياة بالفعل عنهم مطلقاً، كما ذهب إليه البلخي رَحِمَهُ اللهُ، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قد خصهم بتخلف عن حياة غيرهم، حيث تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرُّوح والفرح - كما تقدم -.

والقول بأن المراد: إثبات الحياة الحكيمة لهم، دون غيرها، وذلك بما نالوا من الذكر الجميل، والثناء الجليل، فقد أبعد النُّجعة، وهو مما لا يتسق مع ظاهر النص ومفهومه، وكذلك مع غيره من النصوص الدالة على إكرام الله عَزَّوَجَلَّ للشهيد وحياته الخاصة في البرزخ، واختصاصه بالرزق، ومزيد من البهجة والكرامة، والحياة الحكيمة قد شاركهم فيها غيرهم ممن ترك أثراً طيباً، وكلما ارتفع في ميزان الإنسانية وما قدم كان حياته الحكيمة أطول.

والحاصل أن الشهداء أحياء عند ربهم جَلَّوَعَلَا، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم - كما تقدم -، وكما سيأتي في الحديث.

أما قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝﴾ [الأنفطار: ١٣-١٤]، فهو لما يكتبون لأجله، فالجملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر، تقديره: لم يكتبون ذلك، فكأنه قيل: ليجازي الأبرار بالنعيم، والفجار بالجحيم.

(١) تفسير البيضاوي (١/١١٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

أما قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الأنفطار: ١٦] فهو كقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] - كما ذكر الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ -.
وقيل: يجوز أن يراد: يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك، يعني: في قبورهم.. (١).

وعلى هذا القول فإن قوله: (يعني: في قبورهم)، "الواو: للعطف، فيقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، أي: إنهم الآن ليسوا بغائبين عن الجحيم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. ذكره العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (حاشيته على الكشاف) (٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وذكر عذاب القيامة والبرزخ معاً في غير موضع: ذكره في قصة آل فرعون فقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [٤٥] النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وقال في قصة قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، مع إخبار نوح عَلَيْهِ السَّلَام لهم بالقيامة في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَتَبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وقد ذكرنا في غير موضع: أن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَام قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنذِرُوا بالقيامة الكبرى؛ تكذيباً لمن نفى ذلك من المتفلسفة، وقال عن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ

(١) انظر: الكشاف (٧١٧/٤).

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف (٣٣٠-٣٣١/١٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ [التوبة: ١٠١]، قال غير واحد من العلماء: المرة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ في الآخرة (١).

وقد ثبت في (الصحيحين) من غير وجه: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أتى المشركين يوم بدر في القلب ناداهم: يا فلان يا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً» (٢). وهذا دليل على وجودهم، وسماعهم، وأنهم وجدوا ما وعدوه بعد الموت من العذاب، وأما نفس قتلهم فقد علمه الأحياء منهم...، إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها، وبعضها محل نظر من حيث عدم القطع بما ذكر من التأويل، واحتمالها لغيره، مما ينظر في مظانه (٣)، ثم ذكر عقب ذلك جملة من الأحاديث ذات الصلة.

وذكر أبو عبد الله القرطبي وابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: أن مما يستدل به على العذاب في البرزخ: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، قالوا: فسرهما

(١) وقد استدل بالآية الإمام البخاري في (صحيحه) على عذاب البرزخ، باب ما جاء في عذاب القبر. انظر: صحيح البخاري (٩٧/٢). قال ابن بطلال: "واختلف أهل التأويل في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]، قال الحسن، وابن جريج: عذاب الدنيا وعذاب القبر، وقال مجاهد: القتل والسبأ" شرح صحيح البخاري، لابن بطلال (٣٦٣/٣)، وانظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٥١/١٠)، وقال الكرماني: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ هما: القتل في الدنيا، وعذاب القبر في الآخرة، والدليل عليه: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ وهو عذاب النار.

(٢) انظر: صحيح البخاري [١٣٧٠، ٣٩٧٦، ٣٩٨٠، ٤٠٢٦]، مسلم [٢٨٧٣، ٢٨٧٤].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٦/٤-٢٧٠).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسعود القشيري الذي تيسر لبوري

غير واحد من السلف: بعذاب القبر، وجعلوا هذه الآية من الأدلة على عذاب القبر؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، أي: تترك في العذاب كما تركت العمل بآياتنا، فذكر عذاب البرزخ، وعذاب دار البوار.

ومن ذلك: ما قيل في قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] بأن المراد منه: عذاب القبر؛ لأن الله عز وجل ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (٤٥) [الطور: ٤٥]، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر، وكذلك قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) [الطور: ٤٧]؛ لأنه غيب (١).

قال ابن القيم رحمه الله: "جل وعلا: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] يحتمل أن يراد به: عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به: عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا. وقد يقال: وهو أظهر أن مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا، وفي البرزخ" (٢).

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله القرطبي (ص: ٣٨٨-٣٨٩)، مفتاح دار السعادة،

لابن القيم (١/٤٣-٤٤).

(٢) الروح، لابن القيم (ص: ٧٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وما استدل به على عذاب البرزخ: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال الإمام البخاري رحمه الله: "باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال أبو عبد الله: الهون: هو الهوان، والهون: الرفق" (١)، أي: الهون - بفتح الهاء - معناه: الرفق، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي: برفق وسكينة.

وقال جار الله الزمخشري رحمه الله: "قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾: خلصوها من أيدينا، أي: لا تقدرون على الخلاص. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يجوز أن يريدوا: وقت الإمامة، وما يعذبون به من شدة النزع، وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول (٢) الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة. والهون والهوان: الشديد، وإضافة (العذاب) إليه كقولك:

(١) صحيح البخاري (٩٧/٢).

(٢) أي: "من الإمامة إلى ما لا نهاية له" كما ذكر القاضي البيضاوي (١٧٣/٢)؛ إذ مبدأ عذابهم وقت الإمامة، ثم يعذبون في البرزخ، وفي القيامة. انظر: حاشيتنا القونوي وابن التمجيد على البيضاوي (١٩٧/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

رجل سوء^(١)، يريد: العراقة في الهوان، والتمكن فيه. ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ عَائِيَّتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١٢):
فلا تؤمنون بها^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]: "هذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون: أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾"^(٣).
ومن ذلك: ما جاء في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾» قال أبو عبد الله: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة بهذا، وزاد: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر^(٤).

(١) "أي: عذاباً شديداً، فأضيف؛ ليدل على أن العذاب ملك له؛ لأن نسبة الإضافة ألصق من نسبة الصفة بالموصوف. ومن ثم قال: "يريد العراقة في الهوان": أي: الأصاله. وفي (الأساس): فلان معرق في الكرم أو اللؤم، وهو عريق فيه، واعتزقت الشجرة، واستعرت: ضربت بعروقها" حاشية الطيبي على الكشاف (١٦٧/٦)، أساس البلاغة، مادة: (عرق) (٦٤٧/١).

(٢) الكشاف (٤٦/٢-٤٧).

(٣) الروح، لابن القيم (ص: ٧٥).

(٤) صحيح البخاري [١٣٦٩]، واللفظ له، مسلم [٢٨٧١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسّر قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما ينزل فيكم من العذاب في القبر. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: في الآخرة إذا حل بكم العذاب فالأول: في القبر، والثاني: في الآخرة، فالتكرير للحالتين. كما روي عن علي رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة: ﴿الْهَلْكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ [التكاثر: ١-٣]، يعني: في القبور ①.

(١) انظر: التذكرة، لأبي عبد الله القرطبي (ص: ٣٨٨) أخرجه الترمذي [٣٣٥٥]، بإسناد فيه ضعف. وقال: "حديث غريب"، كما أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة)، وقال: "وروي في عذاب القبر: زيد بن ثابت، وأبو أيوب، وعلي، وأبو هريرة، وأنس، وعثمان بن أبي العاص، وأبو بكر، وابن عباس، وعائشة، وأسماء، وأم خالد، وأبو رافع، وجابر. كل هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر: وصحت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعاذته من عذاب القبر وتعوّذه منه، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن أمته ستبتلى في قبورها، وهي أخبار ثابتة توجب العلم، وتنفي الريب والشك. والله عزّ وجلّ نسأل أن يعيذنا من عذاب في قبورنا، وأن يجعلها علينا رياضاً خضراء تنور لنا فيها" اهـ. كما أخرجه ابن جرير الطبري في (التفسير) (٥٨٠/٢٤)، وأخرجه أيضاً: الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) [٥١٧٧]، وقال: "سمعت محمد بن عبد الرحمن الهروي يقول: قال أحمد بن حنبل: ما حدث الفريابي بحديث أحسن من هذا الحديث، يعني: حديث قيس هذا، قال أبو جعفر: فكان هذا الحديث فيه إثبات عذاب القبر، وقد رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثار باستعاذته منه متواترة.. اهـ"، ثم أورد جملة من هذه الآثار. وأخرجه أيضاً: ابن أبي حاتم في (التفسير) [١٩٤٥٤]، وأخرجه كذلك: البيهقي في (شعب الإيمان) [٣٩٥]، وفي (إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين) [٢٢٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسند القشيري الذي يسنن أبو

وقال ابن القيم رحمه الله: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ [النكاث: ٣-٤] قيل: تأكيد لحصول العلم، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [النبا: ٤-٥] وقيل: ليس تأكيداً، بل العلم الأول عند: المعاينة ونزول الموت. والعلم الثاني: في القبر، هذا قول الحسن، ومقاتل، ورواه عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنهما. ثم ذكر ابن القيم رحمه الله ما يدل على صحة هذا القول من عدة أوجه" (١).

والأحاديث في إثبات عذاب البرزخ كثيرة، وقد تقدم ذكر بعضها، ومن هذه الأحاديث: ما جاء في (الصحيح): عن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم: أن يهودية جاءت تسألها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَائِدًا بالله من ذلك».

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة مركباً، فَحَسَقَتِ الشمس، فرجع ضحى، فمرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظَهْرَانِي الْحُجْرِ (٢)، ثم قام يصلي وقام الناس وراءه، فقام قياماً طويلاً، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد، ثم قام فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم قام

(١) انظر: عدة الصابرين (ص: ١٨٧-١٨٨)، وانظر: تفسير القرطبي (١٧٢/٢٠)، السراج المنير (٥٨٢/٤).

(٢) (بين ظهراني الحجر) أي: بينها، وهي بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وفي رواية مسلم: قالت عائشة: فخرجت في نِسْوَةٍ بين ظَهْرِي الْحُجْرِ في المسجد.. الحديث.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

قيامًا طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد وانصرف، فقال: ما شاء الله أن يقول، ثم «أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر»^(١).

وفي رواية: عن مسروق، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر»، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلى صلاة إلا تَعَوَّذَ من عذاب القبر. زاد عُذْرُ: «عذاب القبر حق»^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تقول: «قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً»^(٣). زاد النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ من قول أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ضجَّ المسلمون ضجَّةً حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما سكنت ضجتهم قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك، ماذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر قوله؟ قال: «قد أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال»^(٤).

(١) صحيح البخاري [١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥٥، ١٠٥٦]، واللفظ له، مسلم [٩٠٣].

(٢) صحيح البخاري [١٣٧٢].

(٣) صحيح البخاري [١٣٧٣].

(٤) سنن النسائي [٢٠٦٢]، السنن الكبرى [٢٢٠٠]، وكذا في (مستخرج أبي عوانة) [٣٩٧]، والمخلصيات

[١٨٢٢] [٢٤٦]، وفي (إثبات عذاب القبر) للبيهقي [١٠٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وكذلك سماع الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل القليب - كما تقدم -، وسؤال الملكين، وإقاعدهما للميت، وجوابه لهما.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا»، - قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، وبضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»^(١).

ومن الأحاديث التي نصَّت على عذاب البرزخ: ما جاء في (الصحيح): عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا» وقال النضر: أخبرنا شعبة، حدثنا عون، سمعت أبي، سمعت البراء، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

(١) صحيح البخاري [١٣٣٨، ١٣٧٤]، مسلم [٢٨٧٠].

(٢) صحيح البخاري [١٣٧٥]، مسلم [٢٨٦٩]. و«وجبت الشمس»، أي: غربت. وفي رواية مسلم:

«بعد ما غربت الشمس».



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخلت عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يَعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَبْتُهُمَا، وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أَصْدَقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتَ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقْتَا، إِنَّهُنَّ يَعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا»، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» (٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (٣).

(١) صحيح البخاري [٦٣٦٦]، مسلم [٥٨٦].

(٢) صحيح البخاري [٨٣٢]، مسلم [٥٨٩]. و«المأثم» معناه: من الإثم والغرم، وهو الدين، أي: من الأمر الذي يوجب الإثم، فالمأثم ما يسبب الإثم، ويترتب عليه العقاب، و«المغرم» هو الدين. وقيل: الدين الذي لا يجد وفاءه. وقيل المراد الاستعاذة ممن جعل الاستدانة دأبه وعادته.

(٣) صحيح البخاري [١٣٧٧]، مسلم [٥٨٨]. وفي رواية عند مسلم: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ، ومن شر =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

وكان سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمَعْلَمُ الْغُلَّامَانِ الْكِتَابَةَ، ويقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ ذُبْرَ الصَّلَاةِ: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»^(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهزم، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»^(٢). وفي لفظ: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة الحيا والممات»^(٣).

وفي (صحيح مسلم): عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تَلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟»، قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ، فَقَالَ: «إِنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا،

=فتنة المسيح الدجال». وفي رواية عند مسلم: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة الحيا والممات، وشر المسيح الدجال».

(١) صحيح البخاري [٢٨٢٢، ٦٣٦٥، ٦٣٧٠].

(٢) صحيح البخاري [٢٨٢٣، ٦٣٦٧]، مسلم [٢٧٠٦].

(٣) صحيح البخاري [٤٧٠٧]، مسلم [٢٧٠٦].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال»، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال (١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر» (٢).

وعن عوف بن مالك، يقول: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة، فحفظت من دعائه، وهو يقول: «اللهم، اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجته، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر -أو من عذاب النار-»، قال عوف: «فتمنيت أن لو كنت أنا الميت، لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت» (٣).

والأحاديث في الاستعاذة من عذاب القبر كثيرة.

(١) صحيح مسلم [٢٨٦٧].

(٢) صحيح مسلم [٢٨٦٨].

(٣) صحيح مسلم [٩٦٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

وبما تقدم يتبين أن للناس في قبورهم حياةً أخرى لها خصوصياتها، وتعلقُ الروح بالبدن فيها تعلقٌ خاصٌ. والناس في تلك الحياة ينالون من العذاب أو النعيم على حسب أعمالهم في الدنيا، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. كما أن ذلك العالم البرزخي من عالم الغيب الذي لا يستقل العقل بإدراكه، وينال العذاب أو النعيم الروح والجسد على قول الأكثر، وقيل: إن ذلك من قبيل العرض - كما تقدم -.

وقد ظن الملاحدة: أن الموت نهاية رحلة الإنسان في هذه الحياة، فلا حياة بعده ولا بعث، وهذا دأب الملحدين في كل زمان، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

والحقيقة التي غابت عنهم بسبب إلحادهم، والتي عرفها المسلمون من كتاب ربهم جَلَّوَعَلَا، وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه النهاية: أنها انتقال من حياة إلى حياة، انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، من دار الزرع إلى دار الحصاد، من دار الفناء إلى دار البقاء، من دار التكليف، إلى دار الثواب والعقاب.

فنهاية الإنسان ليست العدم المحض، بل انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، كما أخبر الحق في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، أي: مهلة يمكثون بها، إلى أن ينتقلوا إلى الدار الآخرة.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسيد بن الحاج بن مسيد القشيري النيسابوري

وقال الله عزَّ وجلَّ في بيان عاقبة الغافلين عن ذكره: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) [طه: ١٢٤-١٢٦].

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله: "الكافر إذا أعرض عن ذكره بالكلية فله المعيشة الضنك في الدنيا، وفي القبر، وفي النار، وبالقلب من حيث وحشة الكفر، وبالوقت من حيث انغلاق الأمور.

ويقال: من أعرض عن الانخراط في قضايا الوفاق انثالت (١) عليه فنون الخذلان، ومن أعرض عن استدامة ذكره سبحانه بالقلب توالى عليه من تفرقة القلب ما يسلب عنه كل روح.

ومن أعرض عن الاستئناس بذكره انفتحت عليه وساوس الشيطان وهواجس النفس بما يوجب له وحشة الضمير، وانسداد أبواب الراحة والبسط. ويقال: من أعرض عن ذكر الله عزَّ وجلَّ في الخلوة قيض الله عزَّ وجلَّ له في الظاهر من القرين السوء ما توجب رؤيته له قبض القلوب، واستيلاء الوحشة" (٢).

فعذاب القبر ونعيمه لا يفوت تلك الأجزاء التي صارت رمادًا، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهابِّ الريح لأصاب جسده وروحته من عذاب القبر أو نعيمه

(١) أي: انصبت، يقال: انثال عليه التراب، أي: انصبَّ. وانثال عليه الناس من كلِّ وجه، أي: انصبُّوا. انظر:

الصحاح، للجوهري، مادة: (ثول) (١٦٤٩/٤).

(٢) لطائف الإشارات (٤٨٦/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

حُظُّهُ ونَصِيْبُهُ. وَلَوْ دَفِنَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي أَتُونٍ مِنَ النَّارِ لَأَصَابَ جَسَدَهُ مِنْ نَعِيمِ الْبَرَزِخِ وَرُوحَهُ نَصِيْبُهُ وَحُظُّهُ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ النَّارَ عَلَى هَذَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَالْهَوَاءُ عَلَى ذَلِكَ نَارًا وَسُمُومًا. فَعَنَاصِرُ الْعَالَمِ وَمَوَادُّهُ مَنْقَادَةٌ لِرَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا يَصْرِفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ أَرَادَهُ، بَلْ هِيَ طَوْعٌ مَشِيئَتُهُ، مَذَلَّةٌ مَنْقَادَةٌ لِقُدْرَتِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَكَفَرَ بِهِ، وَأَنْكَرَ رِوَايَتَهُ.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدلُّ على أنَّ الناس في حياة البرزخ يكونون في نعيم أو عذاب على حسب الأعمال التي قدموها، فمن ذلك: ما جاء في (الصحيح): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يَعْذِبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْذِبَانِ، وَمَا يَعْذِبَانِ فِي كَبِيرٍ»، ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كَسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كَسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يَخْفَفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسُا»، أَوْ: «إِلَى أَنْ يَبْسُا»^(١).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يعذبان في كبير» قد ذكر العلماء فيه تأويلين: أحدهما: أنه ليس بكبير في زعمهما وفي اعتقادهما أو في اعتقاد المخاطبين، وهو عند الله كبير، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

(١) صحيح البخاري [٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥]، مسلم [٢٩٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَابُورِيِّ

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "كثيرٌ من الناس يتساحون في أمور يظنونها قريبة، كإطلاق البصر؛ هواناً بتلك الخطيئة، وكفتوى من لا يعلم؛ لغلاً يقال: هو جاهل، ونحو ذلك مما يظنه صغيراً، وهو عظيم" (١).

والثاني: أنه ليس بكبير تركه عليهما، أي: كان لا يَشُقُّ عليهما الاحتراز من ذلك.

وحكى القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تأويلاً ثالثاً، أي: ليس بأكبر الكبائر - وإن كان كبيراً-. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فعلى هذا يكون المراد بهذا: الزجر والتحذير لغيرهما، أي: لا يتوهم أحد أن التعذيب لا يكون إلا في أكبر الكبائر الموبقات؛ فإنه يكون في غيرها - والله أعلم-".

وسبب كونهما كبيرين: أن عدم التنزه من البول يلزم منه: بطلان الصلاة، فتركه كبيرة بلا شك، والمشي بالنميمة والسعي بالفساد من أقبح القبائح، لا سيما مع قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان يمشي**» بلفظ كان التي للحالة المستمرة غالباً - والله أعلم-.

وقوله: «**لا يستتر**» روى ثلاث روايات: «**يستتر**»، و«**يستتره**»، و«**يستبرئ**»، وكلها صحيحة، ومعناها: لا يتجنبه ويتحرز منه" (٢).

(١) صيد الخاطر (ص: ١٤٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠١/٣)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (١١٨/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

ومن الأسباب الموجبة لعذاب البرزخ: ما جاء في (الصحيح) ^(١): من حديث: سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي»، أَي: أَتَاهُ مَلَكَانِ فِي الْمَنَامِ وَأَيَقِظَاهُ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْوَحْيِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَحْيٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا رَأَى فِي تِلْكَ الرُّؤْيَا فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مَضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ» أَي: يَشْدَخُهُ وَيَكْسِرُهُ.

«فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجَرُ هَاهُنَا» أَي: يَتَدَحَّرُ.

«فَيَنْبَغُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ» أَي: يَصْبَحُ.

«رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

وَجَاءَ فِي تَمَامِ الْحَدِيثِ بَيَانُ حَالِ هَذَا الرَّجُلِ، وَهُوَ الَّذِي «يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ،

وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ».

وَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْمَنَامِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ

— حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: — أَحْمَرُ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا

عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حَجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا

(١) صحيح البخاري [٧٠٤٧].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فَيَفْغُرُ له فاه ^(١) فيلقمه حجراً فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فَعَرَّ له فاه فألقمه حجراً». وجاء في تمام الحديث بيان حال هذا الرجل الذي يسبح في نحر الدم ويلقم الحجارة بأنه: أكل الربا. ومما جاء في حديث المنام: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فانطلقنا، فأتينا على مثل التَّنُورِ، فإذا فيه لغط وأصوات»، قال: «فَاطَّلَعْنَا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم هب من أَسْفَلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك الלבُّ ضَوْضُوا» ^(٢)، أي: ضجوا وصاحوا، وارتفعت أصواتهم متألّمين. وفي رواية: «فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها» ^(٣).

وجاء في تمام الحديث بيان حال أولئك المعذبين أنهم الزناة من الرجال، والزواني من النساء.

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بيننا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بِضَبْعِي فَأَتِيَا بِي جَبَلًا وَعَرًا، فقالا لي: اصْعَدْ حتى إذا كنتُ في سَوَاءِ الْجَبَلِ، فإذا أنا بِصَوْتٍ شَدِيدٍ، فقلتُ: ما هذه الأصوات؟ قال: هذا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثم انطلق بي فإذا أنا بَقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ، مُشَقَّقَةً أَشَدَّ أَفْهَمَ،

(١) أي: يفتح له فمه.

(٢) صحيح البخاري [٧٠٤٧].

(٣) صحيح البخاري [١٣٨٦].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى

تَسِيلُ أَشَدَّ أَفْهَمَ دَمًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاحًا، وَأَنْتَبَهَ رِيحًا، وَأَسْوَأَ مِنْظَرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثَدْيَهُنَّ الْحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَاهِنَ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَّامَانِ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَخْرَيْنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ ذُرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا، فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ يَشْرِبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ»^(١).

وجاء في (حديث المنام) الذي رواه: سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيان عاقبة الكذاب الذي تبلغ كذبه الآفاق، قال: «فانطلقنا، فأتينا على رجل مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ»^(٢)، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، فَيَشُقُّ، ثُمَّ يَنْتَحَوِلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

(١) أخرجه: ابن خزيمة [١٩٨٦]، والخرائطي في (اعتلال القلوب) [١٦٥]، وابن حبان [٧٤٩١]، والطبراني

[٧٦٦٧]، والحاكم [٢٨٣٧]، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي. كما أخرجه:

البيهقي [٨٠٠٦].

(٢) حديدة معوجة الرأس.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

وجاء في تمام الحديث بيان حال ذلك الرجل بأنه الكذاب الذي: «يُحَدِّثُ
بالكذبة»^(١)، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ»^(٢).

وقد شاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مرائي المعراج أناساً يعدّون بسبب ذنوبٍ يخشى
على من واقعها أن يناله من العذاب ما أصاب أولئك، فمن ذلك: الغيبة، ففي الحديث:
وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما عرج بي مررت بقوم
لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل،
قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»^(٣).

ومن مرائي المعراج: ما حدّث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يصيب علماء السوء،
وخطباء الفتنة، كما جاء في الحديث: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مررت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت

(١) «بالكذبة» بكسر الكاف، ويقال بفتحها، وأنكر بعضهم الكسر إلا إذا أراد الحالة والهيئة. مشارق الأنوار
على صحاح الآثار (٣٣٧/١). تقول: كَذَبَ كَذْبَةً، كما تقول: رَكَعَ رُكْعَةً. انظر: فتح الباري
(٣٩١/٦)، مرقاة المفاتيح (٣٦٣٧/٩)، فيض القدير (١٠٦/٥).

(٢) صحيح البخاري [١٣٨٦، ٦٠٩٦، ٧٠٤٧].

(٣) أخرجه أحمد [١٣٣٤٠]، وأبو داود [٤٨٧٨]، والخرائطي في (مساوئ الأخلاق) [١٨٧]، والطبراني في
(الأوسط) [٨]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٦٢٩٠]، والضياء [٢٢٨٦]. قال العراقي
(ص: ١٠٣٣): "أخرجه أبو داود مسنداً ومرسلاً، والمسند أصح".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

لجبريل: من هؤلاء؟ قال: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون»^(١).

وما تقدم من أحوال أهل البرزخ هو من عالم الغيب الذي لا يستقل العقل بإدراكه، فلا سبيل إلى معرفة شيء من ذلك إلا عن طريق النقل. وقد دلّ النقل - كما تقدم - على أنّ حياة النَّاس في دار البرزخ حياة خاصة، وفيها يفتنون، فينعمون أو يعذبون.

ولكن هل هو من قبيل العذاب الحقيقي الواقع على أولئك، أم أنه من قبيل العرض لما سيؤول إليه حالهم بعد المحاسبة، وحال من يقتفي أثرهم؟ مع ملاحظة أن الثاني - أعني: العرض - لا يخلو من الشعور بالعذاب، كما لا يخفى.

وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الإرشاد إلى أسباب النجاة، والوسائل الناجعة لحياة طيبة نافعة)، وكتاب: (نهج الأبرار في اجتناب ما توعده عليه بالنار).

(١) أخرجه الطيالسي [٢٠٦٠]، وابن أبي شيبة [٣٦٥٧٦]، وأحمد [١٢٢١١]، وعبد بن حميد [١٢٢٢]، والبخاري [٧٢٣١]، وأبو يعلى [٣٩٩٢]، قال الهيثمي (٢٧٦/٧): "أحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح". وأخرجه أيضًا: ابن حبان [٥٣]، والطبراني في (الأوسط) [٨٢٢٣]، وأبو نعيم في (الحلية) [٣٨٦/٢]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٦٣٧]، والضياء [٢٦٤٦] وقال: "إسناده صحيح".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي ينادي
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي ينادي

ن ض

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ: عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها عِلْمٌ لِأَحَدٍ» ^(١).

[٣] وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط» ^(٢).

[٤] وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»، قال: فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك، أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة - كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: فنظر إلينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم

(١) صحيح مسلم (٢٨) [٢٧٩٠].

(٢) صحيح مسلم (٢٩) [٢٧٩١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي سبأوري

ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: «بلى» قال: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَتُونٌ، قالوا: وما هذا؟ قال: «تَوْرٌ وَتُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا» (١).

تخريج الأحاديث:

*حديث: سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير).

وأخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (الرقاق)، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة (٢).

*حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة. وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير).

*حديث: أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب نزل أهل الجنة.

(١) صحيح مسلم (٣٠) [٢٧٩٢].

(٢) صحيح البخاري [٦٥٢١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وأخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتاب: (الرقاق)، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة (١).

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب: (التفسير).
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: بيان حديث سهل بن سعد رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ:

ذكر المفسرون الحديث في تفسير قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: "وأكثر المفسرين على أن التبديل يكون بأرض بيضاء عفراء لم يعص الله عَزَّوَجَلَّ فيها. ولا سفك فيها دم، وليس فيها معلم لأحد" (٢). وهي أوسع بكثير من الأرض المعروفة.

قال الإمام أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]: "إنه تبديل ذات بذات، فيذهب بهذه الأرض ويؤتى بأرض أخرى، وهو قول جمهور العلماء" (٣).

(١) صحيح البخاري [٦٥٢٠].

(٢) المحرر الوجيز (٣/٣٤٧).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٣٥٠-٣٥١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن مسعود القشيري النيسابوري

قالوا: وَالسَّمَاوَاتُ تَبْدِيلُهَا بَانْشِقَاقِهَا وَانْتِشَارِ كَوَاكِبِهَا، وَخُسُوفُ شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا.
قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْشُرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ»، أي:
يحشر الناس على أرض بيضاء ليس بالشديد البياض.

قال في (العين): "والعفرة في اللون: أن يضرب إلى غيره في حمرة" (١).
وقال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "الأعفر: الأبيض ليس بشديد البياض. والنقي: الحواري،
والمعلم: الأثر" (٢).
وفي (الصحيح): "الأعفر: الأبيض وليس بالشديد البياض. وشاة عَفْرَاءُ: يعلو
بياضها حمرة" (٣).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفْرَصَةِ النَّقِيِّ» بكسر القاف، كَرغيف خبز مصنوع من
دقيق خالص من الغش، قالوا: يعني بذلك: الحَوَّارَى (٤)، وهو الدَّرْمُكُ (٥)، ويكون

(١) العين، مادة: (عفر) (١٢٣/٢).

(٢) غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٧٧/٣).

(٣) الصحيح، للجوهري، مادة: (عفر) (٧٥٢/٢).

(٤) الحَوَّارَى: الدَّقِيقُ الأَبْيَضُ، وهو لُبَّابُ الدَّقِيقِ وأجوده وأخلصه. وفي (الصحيح): الحَوَّارَى، بالضم وتشديد
الواو، والرَّاءُ مفتوحة: ما حُوِّرَ من الطَّعَامِ، أي: بُيِّصَ. وهذا دَقِيقُ حَوَّارَى، وقد حُوِّرَ الدَّقِيقُ وَحَوَّرْتُهُ
فَاخْوَرَّ، أي: ابْيَضَّ. وَعَجِينٌ مُحَوَّرٌ، وهو الذي مُسِحَ وَجْهُهُ بالماء حتى صَفَا. انظر: الصحيح، للجوهري،
مادة: (حور) (٦٤٠/٢)، تهذيب اللغة (١٤٨/٥). قال الخطابي: "إنما سمي الحواري نقيًّا؛ لأنه نقي من
القشر والنخالة" انظر: أعلام الحديث (٢٢٦٨/٣)، كشف المشكل (٢٧٥/٢).

(٥) "الدَّرْمُكُ: الدَّقِيقُ الحَوَّارَى" العين، مادة: (درمك) (٤٢٩/٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

تشبيه لونها بها، وهي عفراء؛ لما غيرت النار من بياض وجهها إلى الحمرة، -والله أعلم-.

وقوله: «ليس فيها علمٌ لأحدٍ»: أي: علامة سكنى أو بناء أو أثر، والمعلم واحد معالم الأرض: أي: أعلامها التي يهتدى بها في الطرق ^(١). فتلك الأرض مستوية ليس فيها حذب يرد البصر، ولا شيء مما أحدثه الخلق على وجه الأرض من الأبنية التي تستر ما ورائها وغيرها، فيزال ذلك عنها بالتسوية، وتبديل صفات الأرض.

المسألة الثانية: بيان حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»، وقع عند مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث: ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «يكونون في الظلمة دون الجسر» ^(٢) وقد جمع بينهما البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: بأن المراد بالجسر: الصراط، وأن في قوله: «على الصراط» مجازاً لكونهم يجاوزونه؛ لأن في حديث: ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيادة يتعين المصير إليها؛ لثبوتها، وكان ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف، ويشير إلى ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّا إِذَا

(١) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣٢٢/٨)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٤/١٧)، أعلام الحديث، للخطابي (٢٢٦٨/٣).

(٢) صحيح مسلم [٣١٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ① وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ② وَجِئْتَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ③ [الفجر: ٢١-٢٣] (١).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على الصراط» ظاهره الصراط الذي هو جسر ممدود على متن جهنم، كما قد قال في الحديث المتقدم: «هم في الظلمة دون الجسر»، أي: على الجسر. قلت: وهذا كله ممكن، والقدرة صالحة، ومن الممكن أن يعدم الله عَزَّجَلَّ الأرض التي يخرجون منها، ويوجد أرضاً أخرى وهم عليها ولا يشعرون بذلك" (٢).

المسألة الثالثة: بيان حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تكون الأرض يوم القيامة خُبْرَةً وَاحِدَةً»، أي: كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا، وهو نظير ما في حديث: سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كقرصة النقي» ف ضرب المثل بها؛ لاستدارتها وبياضها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ» قال الإمام الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قوله: «يَتَكَفَّوْهَا» (٣) من رواية: البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وروي في كتاب: (مسلم): «يَكْفُوهَا»، وهو الصواب على ما نعرفه من رواية الحفاظ، وهو المستقيم على اللغة العربية، والمعنى:

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣٧٦/١١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٢/٧).

(٣) صحيح البخاري [٦٥٢٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

يقلبها. ونرى الحديث مشكلاً جداً غير مستنكرين شيئاً من صنع الله عزَّ وجلَّ، وعجائب فطرته، بل لعدم التوقيف الذي يكون موجباً للعلم في قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى الطبع المطعوم والمأكول، مع ما ورد من الآثار المنقولة: أن هذه الأرض برَّها وبحرها تمتلئ ناراً في النشأة الثانية، وتنضمُّ إلى جهنم.

فنرى الوجه فيه: أن تقول: معنى قوله: «خُبْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أي: كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا، وهو مثل ما في حديث: سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كقرصة النقي»، وإنما ضربَ المثل بقرصة النقي؛ لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا، هذا كله^(١).

قال العلامة المظهر رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما ذكره الشيخ - يعني: العلامة الثوريشتي رَحِمَهُ اللَّهُ - مستقيمٌ جداً إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢)، فحينئذ التنزيل يُرَدُّ ذلك التأويل^(٣)، ثم لا يبقى لـ: «يَكْفُوها» فائدة، وإن أريد تصحيحه؛ فالوجه أنه جَلَّ وَعَلَا «يَكْفُوها»، أي: قادر على قلبها، ليس كحال الأرض في الدنيا في قرارها وثباتها.

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة (١١٨٧/٤).

(٢) قال الثوريشتي: "ضرب المثل بخبزة تشبه الأرض نعتاً وشكلاً ومساحة، فاشتمل الحديث على معنيين: أحدهما: بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ. والآخر: بيان الخبزة التي يهيئها الله عزَّ وجلَّ نزلًا لأهل الجنة، وبيان عظم مقدارها إبداعاً واختراعاً من القادر الحكيم الذي لا يعجزه أمر، ولا يعوزه شيء".

الميسر (١١٨٧/٤-١١٨٨)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٧٣/١١).

(٣) لأن الله عزَّ وجلَّ قد أخبر بأنها تبدل، فقال: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ».



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ينسب إلى

وقوله: «نُزُلًا» أي: كخبزة تُخْلَق نُزُلًا لأهل الجنة، فتقع النسبة في المجموع، لا في الخبزة نفسها، فإذا فُتِحَ بابُ القدرة الإلهية وظهرها ذلك اليوم، استغنيت عن التأويل الذي ذكره هو وغيره^(١).

والحديث من الغيب الذي يقف فيه الباحث عند حدود النص، مع التوفيق بين النصوص في هذا الباب، بما لا يحدث إشكالاً، وبما يقرب المعنى إلى الفهم، وفيه ضرب المثل؛ لبيان قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وسعة عطاءه.

قوله: «إِدَامُهُمْ بِالْأَمْ وَنُونٌ» أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء، وأما بالام فببء موحدة مفتوحة، وبتخفيف اللام، وميم مرفوعة غير منونة، وفي معناها أقوال مضطربة الصحيح منها الذي اختاره القاضي رَحِمَهُ اللهُ وغيره من المحققين: أنها لفظة عبرانية معناها بالعبرانية: ثور. وفسره بهذا؛ ولهذا سألوا اليهودي عن تفسيرها، ولو كانت عربية لعرفتها الصحابة رَحِمَهُ اللهُ عَنَّهُمْ ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها، فهذا هو المختار في بيان هذه اللفظة.

وأما قوله: «يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدَهُمَا سَبْعُونَ أَلْفًا» زيادة الكبد وزائدته: القطعة المنفردة المتعلقة منه، وهي أطيبه؛ لهذا -والله أعلم- خص السبعين ألفاً بأكلها من بين سائر أهل الجنة. قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: يحتمل أنهم السبعون ألفاً الذين يدخلون

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (٤٧٤/٥).



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

بالعدول العلماء، ولأنه لو كان كذلك لما أشكلت على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سألوه عنها؛ فإنهم يعرفون أن (اللاى) الثور، والله أعلم.
وأما النون فهو الحوت، ويجمع أنوانا ونينانا. وذو النون: يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ. وزيادة الكبد: هي القطعة المتعلقة به المنفردة عنه ^(١).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٣/٧-٣٥٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

[ومن سورة الحجر]

ض ن

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن ابن شهاب، وهو يَذْكُرُ الْحِجْرَ، مَسَاكِينَ ثَمُودَ، قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا ^(١).

[٢] وعن نافع أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحِجْرِ - أَرْضُ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ «فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ» ^(٢).

(١) صحيح مسلم (٣٩) [٢٩٨٠].

(٢) صحيح مسلم (٤٠) [٢٩٨١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رحمه الله في كتاب: (الزهد والرقائق)، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله. وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير).

وأخرجه البخاري رحمه الله في كتاب: (أحاديث الأنبياء)، باب: باب قول الله جلَّ وعلا: ﴿وَالْإِلَىٰ تُمُودَ أَهْلَهُمْ صَلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣] بلفظ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم»، ثم تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وهو على الرَّحْلِ^(١).

وفي كتاب: (المغازي)، باب: باب نزول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِجَرَ بلفظ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم»^(٢).

وبلفظ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَاَزَ الْوَادِيَّ»^(٣).

(١) صحيح البخاري [٣٣٨٠].

(٢) صحيح البخاري [٣٣٨١].

(٣) صحيح البخاري [٤٤١٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي يروي

وعند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية: عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم» (١).

وفي رواية: عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بَرِّهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا»، فقالوا: قد عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، «فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ، وَيَهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ»، ويروى عن سَبْرَةَ بِنِ مَعْبَدٍ، وَأَبِي الشُّمُوسِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْقَاءِ الطَّعَامِ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ» (٢)، أي: أمر من اعتجن بمائه أن يلقي عجينه. وفي الحديث مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الحديث:

ذكر الله عَزَّجَلَّ في كتابه قصة أصحاب الحجر، وبين عاقبتهم فقال: «وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ۖ وَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۖ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۖ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ۖ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ» [الحجر: ٨٠-٨٤]. أَصْحَابُ الْحِجْرِ: ثمود، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام.

(١) صحيح البخاري [٤٣٣].

(٢) صحيح البخاري [٣٣٧٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: "سُمِّيَ ما أحيط به الحجارة: حجرًا، وبه سُمِّيَ حجرُ الكعبة، وديار ثمود" (١).

وقد قيل: الحجر اسم الوادي الذي كانوا به، وهو بين المدينة والشام. قاله قتادة، والزجاج (٢).

وقيل: اسم مدينتهم، وهي ديار ثمود قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَام، وهي بين المدينة والشام. قاله الزهري، ومقاتل (٣).

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: بتكذيبهم صالحًا عَلَيْهِ السَّلَام؛ لأنَّ من كَذَّبَ واحدًا منهم فكأنهما كذبهم جميعًا (٤)، أو أراد صالحًا ومن معه من المؤمنين.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَاْنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ أي: لوثافة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بناؤها، ومن نقب اللصوص، ومن الأعداء،

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة: (حجر) (ص: ٢٢٠).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢٥٩/٢) [١٤٥٥]، تفسير الطبري (١٢٦/١٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٢٢٧١/٧) [١٢٤٣٨]، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٨٥/٣)، الكشف (٥٨٦/٢)، مفاتيح الغيب (١٥٧/١٩)، التفسير البسيط (٦٤٢/١٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٤٣٥/٢)، تفسير الماوردي (١٦٩/٣)، تفسير السمعاني (١٤٨/٣)، معالم التنزيل (٣٨٩/٤)، زاد المسير (٥٤٠/٢).

(٤) "يعني: التعريف في ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ للاستغراق، فهو هنا كناية؛ لأن الرسول: من أتى بكتاب بعد إظهار المعجزة، فكل من لم يصدق هذا المعنى ورده فقد أعم التكذيب والرد" حاشية الطيبي على الكشف (٥٦/٩).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وحوادث الدهر. أو آمنين من الموت؛ لا غترارهم بطول الأعمار، أو من عذاب الله
جَلَّوَعَلَا، يحسبون أن الجبال تحميهم منه.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: "وأصح ما يظهر في ذلك: أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة،
فكانوا لا يعملون بحسبها، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها" (١).

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مُضْجِحِينَ﴾ أي: داخلين في الصباح.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أي: من بناء البيوت الوثيقة
والأموال والعدد.

والظاهر أن (ما) في قوله ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ نافية، وتحتل الاستفهام المراد منه التعجب.
و(ما) في ﴿مَا كَانُوا﴾ تحتل أن تكون مصدرية، والظاهر أنها بمعنى: الذي، والضمير
محذوف، أي: يكسبونه من البيوت الوثيقة، والأموال، والعدد، بل خروا جاثمين هلكى..
كذا في (البحر) (٢).

فظهرت مناسبة الحديث من حيث اتصال المراد منه بهذه الآيات وما فيها من
التأمل والاعتبار بما حلَّ بأصحاب الحجر؛ جزاء تكذيبهم المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإعراضهم
عن آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وما ينبغي على من أتى بعدهم من الاعتبار بحالهم، ولا سيما عند
المرور بديارهم.

(١) المحرر الوجيز (٣/٣٧٢).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/٤٩٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

المسألة الثانية: بيان المراد من الحديث:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين» استثناء من أعم الأحوال: أي لا تدخلوا على أي حال إلا حال بكائكم. وليس المراد الاقتصار عليه حال الدخول، بل استمرار ذلك مطلوب عند كل جزء من أجزاء الدخول والمرور بهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»، أي: خوفًا من أن تُعاقبوا كما عوقبوا. قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهو كقولك: (لا تقرب الأسد أن يفترسك)، أي: حذرًا أن يفترسك، وأراد بالقوم: الذين ظلموا أنفسهم قوم ثمود، لما مرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بديارهم في غزوة تبوك. وفي معناهم سائر الأمم التي نزلت بها مثلات الله عَزَّوَجَلَّ" (١). وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد يكون «حَذَرًا» في هذا الحديث متعلقًا بالبكاء، وأن يكون البكاء للحذر مما أصابهم" (٢).

وفي رواية عند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ - كما تقدم -: «إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم» أي: لئلا يُصِيبَكُمْ، أو مَخَافَةً أَنْ يُصِيبَكُمْ (٣).

(١) أعلام الحديث (١٥٤٨/٣).

(٢) إكمال المعلم (٥٢٩/٨).

(٣) قال ابن علان: "أي: خشية أن يصيبكم، كذا قدر البصريون مثله، وقدره الكوفيون: لئلا يصيبكم فحذف الجار" دليل الفالحين (٤٣٨/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

قال يحيى بن سلام رَحِمَهُ اللهُ: "أي: لا يصيبكم مثل ما أصابهم. قال: وحدثني أبو الأشهب عن أبي نضرة، قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، فأتى على وادي ثمود وهو على فرس شقراء، فقال: «أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون»^(١)، وقوله: «بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» أي: خائفين، فينبغي عليكم الاقتصار على ضرورة المرور؛ لئلا تتعرضوا لما تعرض له أولئك الذين نزل بهم العذاب، وأن تعتبروا بحالهم؛ فإن انتفاء الخوف والبعد عن الاعتبار مع كونكم في المكان الذي يدعو إلى ذلك من أسباب نزول العذاب بكم كما نزل بأولئك.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "إنما ينشأ البكاء عن التفكير، فكأنه أمرهم في التفكير في أحوال توجب البكاء. وذكر أحوال التفكير الذي ينشأ عنه البكاء.

قال: وقوله: «أَنْ يُصِيبَكُمْ» فيه إضمار تقديره: حذار أن يصيبكم، وهذا تحذير من الغفلة عن تدبر الآيات، فكأنه قال: إذا رأيتم ما حل بهم، ولم تنتبهوا من رقعات الغفلة، فاحذروا من العقوبة؛ فإنه إنما حلت بهم لغفلتهم عن التدبر"^(٢).

وفي رواية عند البخاري رَحِمَهُ اللهُ - كما تقدم -: «فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم»؛ لأنها مواقع سخط ومنازل بلاء. و«لا يصيبكم» بالرفع على أن (لا) نافية: أي لئلا يصيبكم. ويجوز الجزم على أنها ناهية، وهو نهي بمعنى الخبر.

(١) تفسير يحيى بن سلام (٥٥٣/٢)، وانظر: النكت والعيون (٢٦٩/٦)، تفسير القرطبي (٥٥٣/٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٨٣/٢-٤٨٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

فإن قيل: كيف يصيب عذاب الظالمين غيرهم، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] فالجواب - كما قال الكرمانى رحمه الله -: أننا لا نسلم امتناع الإصابة إلى غير الظالمين، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنْتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وأما الآية الأولى فمحمولة على عذاب يوم القيامة. ثم لا نسلم أن الذي يدخل موضعهم ولا يتضرع ليس بظالم؛ لأن ترك التضرع في موضع يجب فيه التضرع ظلم..^(١)

وقد قيل: ويمكن أن يكون المراد أن يصيب منافقيكم عين ما أصابهم فعَمَّ الحكم بالتخويف تَسْتُرًا عليهم^(٢).

وقوله: «ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا» أي: زجر ناقته، فحذف ذكر الناقة؛ للعلم به ومعناه ساقها سوقا كثيرا.

وقوله: «حَتَّى خَلَفَهَا» بتشديد اللام، أي: جاوز المساكن.

وقوله في رواية الإمام البخاري رحمه الله: «ثُمَّ قَنَعَ رَأْسَهُ» أي: أخذ القناع على الرأس وستره بالطيلسان، والتقنع معروف، وهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو برداء أو نحو ذلك، أو يحمل على المجاز على معنى أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أطرق رأسه، ولم يلتفت يمينا وشمالا كالخائف؛ لئلا يقع نظره على مساكنهم؛ لاشتغال استعمال المجاز في ذلك بقصد المبالغة.

(١) الكواكب الدراري (٤/٩٤-٩٥).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٨/٣٢٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقوله في رواية الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَتَّى أَجَاَزَ الْوَادِي» أي: تجاوزه، قالوا: وإنما فعل ذلك؛ تعليمًا للأمة؛ ليقنتدوا به، وجمع بين القول والفعل؛ تأكيدًا في القضية، أو لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان في غاية من الخشية؛ لأنها إنما تكون على قدر المعرفة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»^(١)، كذا في (المرقاة)^(٢). والوادي: كلُّ مُنْفَرَجٍ بين جِبَالٍ أو آكَامٍ يكون مَنَفَذًا لِلسَّيْلِ، وَالْجَمْع: أَوْدِيَّةٌ^(٣).

وفي رواية مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ»، أن الناس نزلوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الْحِجْرِ - أَرْضٌ ثُمُودٌ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَّنُوا بِهِ الْعَجِينَ. فقوله: «على الْحِجْرِ» بالكسر مجرورًا.

وفي رواية الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بَيْرِهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا»، فقالوا: قد عَجَّنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، «فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ، وَيُهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ» «الْحِجْرُ» في هذه الرواية بالنصب على البدلية. وقد قيل: أمر في الحديث الماضي بالطرح، وههنا قال بالتعليف. وأجيب: بأن المراد بالطرح: ترك الأكل أو الطرح عند الدواب.

(١) صحيح البخاري [٥٠٦٣].

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٣٢٠٠/٨).

(٣) المصباح المنير، مادة: (ودي) (٦٥٤/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قيل: وفيه: كراهة الاستقاء من آبار ثمود.

وقيل: ويلحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله عزَّ وجلَّ على كفره.

واختلف في الكراهة المذكورة، فقليل: للتحريم، وقيل: للتنزيه، وعلى التحريم هل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا؟ والظاهر أنه لا يمتنع.

المسألة الثالثة: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب:

ذكر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب: (الصلاة)، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب: ما يُذَكَّرُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَرِهَ الصَّلَاةَ بِخُسْفٍ بَابِلَ»^(١). وذكر فيه رواية: عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم»^(٢). وقوله: (والعذاب) من باب عطف العام على الخاص؛ لأن الخسف من جملة العذاب.

(١) صحيح البخاري (٩٤/١). وبابل بعدم الصرف. قال الأخفش: لتأنيته، وقال البيضاوي: المشهور أنه بلد من سواد الكوفة. وقيل: المراد بالخسف المذكور: ما في قوله جَلَّوَعَلَا: «قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى

اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ» الآية [النحل: ٢٦]. إرشاد الساري (٤٣٣/١).

(٢) صحيح البخاري [٤٣٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: "قال المهلب رَحِمَهُ اللهُ: إنما هذا من جهة التشاؤم بالبقعة التي نزل بها سخط الله عَزَّوَجَلَّ، يدل على ذلك: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، فوبخهم جَلَّوَعَلَا على ذلك، وكذلك تشاءم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بالبقعة التي نام فيها عن الصلاة ورحل عنها ثم صلى، فكراهية الصلاة في موضع الخسف أولى، إلا أن إباحة الدخول فيه على وجه البكاء والاعتبار يدل أن من صلى هناك لا تفسد صلاته؛ لأن الصلاة موضع بكاء وتضرع وخشوع واعتبار، فإن صلى هناك غير باك لم تبطل صلاته.

وذكر بعض أهل الظاهر أن من صلى في الحجر، بلاد ثمود، وهو غير باك، فعليه سجود السهو إن كان ساهياً، وإن تعمد ذلك بطلت صلاته، وكذلك من صلى في موضع مسجد الضرار، وهذا خلف من القول لا خفاء بسقوطه، إن كان لا يجوز عنده فيه صلاة من تعمد ترك البكاء، فكيف أجاز صلاة الساهي بعد سجود السهو، وإسقاط الواجبات لا تجبر بسجود السهو عند العلماء، وهو تخليط منه، فقد بين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث معنى نهي عن دخول مواضع الخسف لغير الباكي، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يصيبكم مثل ما أصابهم»، وليس في هذا ما يدل على فساد صلاة من لم يبك، وإنما فيه خوف نزول العذاب به، وتسويته بين الصلاة في موضع مسجد الضرار بالصلاة في موضع الخسف ليس في هذا الحديث، وهو قياس فاسد منه، وهو لا يقول بالقياس، فقد تناقض" (١).

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢/٨٧-٨٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقول المُهَلَّب رَحِمَهُ اللَّهُ في علة كراهة الصلاة في موضع الحَسْفِ والعذاب: أن ذلك من جهة التَّشَاؤُم بالبُقْعَةِ التي نزل فيها العذاب... الخ. قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال علمائنا: وكراهية الحَسْفِ أَوْلَى؛ إِلَّا أَنَّ إِبَاحَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدُّخُولُ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الْبُكَاءِ وَالاعتبار، يَدُلُّ أَنَّ مَنْ صَلَّى هُنَاكَ لَا تَفْسُدُ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَوْضِعَ بُكَاءٍ وَخُشُوعٍ وَتَضَرُّعٍ وَاعتبارٍ. فَإِنْ صَلَّى هُنَاكَ غَيْرَ بَاكِ، لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ" (١). وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "معنى هذا الكلام: أن الداخل في ديار القوم الذين قد أهلكوا بالحسف والعذاب، إذا دخلها فلم يجلب عليه ما يرى من آثار ما نزل بهم من مَثَلَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بُكَاءً، ولم يبعث عليه حزناً، إما شفقة عليهم، وإما خوفاً من حلول مثلها به، فهو قاسي القلب، قليل الخشوع، غير مستشعر للخوف والوجل، يقول: فلا يأمن إذا كان هذا حاله أن يصيبه ما أصابهم، وفيه دلالة على أن ديار هؤلاء لا تسكن بعدهم، ولا تتخذ وطنًا؛ لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكيًا أبدًا، وقد نهي أن يدخل دورهم إلا بهذه الصفة، ففيه المنع من المقام والاستيطان - والله أعلم -" (٢).

المسألة الرابعة: إجمال ما يستنبط من الحديث:

قيل: إن في الحديث دلالة على أن ديار هؤلاء لا تسكن بعدهم، ولا تتخذ وطنًا؛ لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكيًا أبدًا.

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي (١٩٨/٣).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣٩٤/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسعود القشيري الذي سبأوري

وقد نهي أن يدخل دروهم إلا بهذه الصفة.

قيل: وفيه: المنع من المقام بها والاستيطان.

وفيه: الإسراع عن المرور بديار المعذبين، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي مُحَسِّر؛ لأن أصحاب الفيل هلكوا هناك. فينبغي للمارِّ في مثل هذه المواضع: المراقبة، والخوف، والبكاء، والاعتبار بهم، وبمصارعهم، وأن يستعيد بالله عزَّ وجلَّ من ذلك. كما في الحديث: «حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا» الحديث (١).

أما «مُحَسِّرٌ» فبضم الميم، وفتح الحاء، وكسر السين المشددة المهملتين، سمي بذلك؛ لأن فيل أصحاب الفيل حَسَرَ فيه، أي أَعْيَا وكلَّ عن السَّير؛ لأن التحسير: الإتعاب، فحسر أصحابه بفعله، وأوقعهم في الحسرات، وهو موضع فاصل بين منى ومزدلفة ليس من واحدة منهما.

وأما قوله: «فَحَرَّكَ قَلِيلًا» فهي سنة من سنن السير في ذلك الموضع، فيسرع الماشي، ويحرك الراكب دابته في وادي محسر، ويكون ذلك قدر رمية حجر (٢).
وفيه: الدلالة على كراهة الصلاة في موضع الخسف والعذاب - كما تقدم -.

(١) صحيح مسلم [١٢١٨].

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٠/٨)، الاستذكار (٢٩٦/٤)، المنتقى (٢٣/٣)، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣٠/٢)، درر الحكام (٢٢٧/١)، الكافي في فقه أهل المدينة (٣٧٤/١)، المدخل، لابن الحاج (٢٣٣/٤)، شرح مختصر خليل، للخرشي (٣٣٣/٢)، المجموع شرح المذهب (١٤٣/٨)، الحاوي الكبير (١٨١/٤)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤٩٠/١)، المغني، لابن قدامة (٣٧٨/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يثبت بوري

وفيه: أمرهم بالبكاء؛ لأنه ينشأ عن التفكير في مثل ذلك - كما تقدم-.
وقد تقدم أن في الحديث تحذيرًا من الغفلة عن تدبر الآيات، فكأنه قال: إذا رأيتم
ما حلَّ بهم، ولم تنتبهوا من رقعات الغفلة، فاحذروا من العقوبة؛ فإنه إنما حلت بهم
لغفلتهم عن التدبر.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "ومن عرف نفسه وتقصيرها في حقِّ مولاهما، وعرف
ربه جَلَّ وَعَلَا، وعظيم سلطانه، وشدة بطشه، لم يغتر، ولا آمن مكره، واشتد خوفه، واعتبر
بِمَنْ قبله أنه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]" (١).

وفي الحديث: أمر بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله جَلَّ وَعَلَا على
أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض، وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع نعمته بهم وشدة
عذابه، وهو جَلَّ وَعَلَا مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، فمن
مرَّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء؛ اعتبارًا بحالهم فقد شابههم في الإهمال، ودلَّ
على قساوة قلبه، وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجزَّه ذلك إلى العمل بمثل عملهم، فيصيبه
ما أصابهم؛ ولهذا يندفع اعتراض من قال: كيف يصيب عذاب الظالم من ليس بظالم؟
لأنه بهذا التقدير لا يأمن أن يصير ظالمًا فيعذب بظلمه (٢).

(١) إكمال المعلم (٥٢٩/٨).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥٣١/١)، دليل الفالحين (٤٣٨/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

وتقدم أن قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» أي: بالكفر بالله رَحْمَةُ اللَّهِ، والتمادي في الطغيان، وتكذيبهم رسولهم، وهو شامل لمنازل ثمود وغيرهم ممن في معانهم من سائر الأمم الذين نزل بهم العذاب. والقصص والأحاديث في القرآن الكريم وصحيح السنة مصدرها رباني، وهي ربانية الغاية والوجهة؛ لاتصال الغاية بما يرضي الرب جَلَّ وَعَلَا، من حيث ما تحققه تلك القصص في المكلفين من صلة بالله عَزَّجَلَّ، فهي تورث الهداية والاعتبار، وتعزز الصِّلة بالله عَزَّجَلَّ، وتؤثر في سلوك المكلف، وفي استقامة سيره إلى مولاه جَلَّ وَعَلَا، حيث تكون غاية كدحه في الحياة: ما يرضي الله عَزَّجَلَّ، فيسير وفق ما شرع من عبادات ومعاملات وأخلاق، فيستقيم حاله، ويثمر عمله، مدرِّكًا الغاية من الوجود في الحياة الدنيا، ومؤمنًا بالبعث والانتقال إلى الآخرة.

وقد أمر الله عَزَّجَلَّ بالنظر في الأدلة، والاعتبار بحال الأمم الغابرة، فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

قالوا: والاعتبار ردُّ الشيء إلى نظيره بأن يحكم عليه بحكمه؛ ولذا سمي الأصل الذي تردُّ إليه النظائر عبرة، وهذا يشمل: الاتعاظ، والقياس العقلي والشرعي، وسوق الآية للاتعاظ، فتدل عليه عبارة وعلى القياس إشارة فلا ينافي كونه دليلًا على حجية



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

القياس" (١)؛ لأنَّ الاتِّعَاضَ يكون ثابتاً بطريق المنطوق مع أنَّ سياق الكلام له، والقياس بطريق المنطوق من غير أن يكون سياق الكلام له. سلمنا أنَّ الاعتبار هو الاتِّعَاضُ لكن يثبت القياس دلالة، و(العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب).

قال ابن عابدين رَحِمَهُ اللهُ: "فسر الاعتبار بالتأمل، وإن كان المراد منه -والله أعلم-: ردُّ أنفسنا إلى أنفسهم في استحقاق العقوبات عند مباشرة تلك الأسباب؛ لأنَّ هذا الردُّ إنما يتحقَّق بالتأمل في أحوالهم، ولما كان التأمل هو المؤدي إلى هذا الردِّ جعل التأمل نفسه إقامة للسبب مقام المسبَّب" (٢).

وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»: اعتبار بحالهم وسوء عاقبتهم، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٥]، وقال: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ فتلَّك بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢﴾ [النمل: ٥١-٥٢]، وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصاص: ٥٨]، أي: وكم من أهل قرية

(١) انظر: التوضيح في حل عوامض التنقيح (١١٦/٢)، تيسير التحرير (١٠٨/٤)، التقرير والتحرير (٢٤٤/٣)، شرح التلويح على التوضيح، للسعد التفتازاني (١٠٨/٢)، حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي (١٧٥/٨).

(٢) انظر: حاشية نسيمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار (ص: ١٤٦-١٤٧).



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

كانت حالهم كحالهم في الأمن من سوء العاقبة، وخفض العيش^(١) حتى أشروا فدمر الله عز وجل عليهم وخرّب ديارهم.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ﴾ [القصص: ٥٨] أي: منازلهم باقية الآثار، يشاهدونها في الأسفار، كبلاد ثمود وغيرهم. وقصر إرث تلك المساكن على الله جَلَّوَعَلَا قصر حقيقي، أي: لا يرثها غيرنا، وهو كناية عن حرمان تلك المساكن من الساكن. وتلك الكناية رمز إلى شدة غضب الله جَلَّوَعَلَا على أهلها الأولين بحيث تجاوز غضبه الساكنين إلى نفس المساكن فعاقبها بالحرمان من بهجة المساكن؛ لأن بهجة المساكن سكانها.

فنبه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على أن الإنسان لا ينبغي له السكنى في أماكن الظلمة؛ مخافة أن يصيبه بلاء كما أصابهم، أو تسرق طباعه من طباعهم، ولو كانت خالية منهم؛ لأن آثارهم باقية، وهي مذكرة بأحوالهم، وربما أورثت قسوة وجبروتاً.

وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الزَّمان والهداية والاعتبار في قصص القرآن والأحاديث والأخبار)، وهو من أفضل ما كتب في هذا الباب.

(١) يقال: خفض العيش خفضاً: سهل وتيسر واتسع.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

[ومن سورة الإسراء]

ن ض

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله بسنده: عن عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقالوا: ما رابكم إليه؟ لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فقال إليه بعضهم فسأله عن الروح، قال: فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يرد عليه شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، قال: فقممت مكاني، فلما نزل الوحي قال: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾» [الإسراء: ٨٥] (١).

* وفي رواية: عن أبي بكر بن أبي شيبه وأبو سعيد الأشج، قالوا: حدثنا وكيع، ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وعلي بن خشرم، قالوا: أخبرنا عيسى بن يونس، كلاهما عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، بنحو حديث: حفص، غير أن في حديث

(١) صحيح مسلم (٣٢) [٢٧٩٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وكيع: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وفي حديث: عيسى بن يونس: ﴿وَمَا أُوتُوا﴾ من رواية: ابن حشر^(١).

* وفي رواية: عن أبي سعيد الأشج، قال: سمعت عبد الله بن إدريس، يقول: سمعت الأعمش يرويه، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَحْلِ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، وَقَالَ فِي رَوَاتِهِ: «﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾» [الإسراء: ٨٥]»^(٢).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب: سؤال اليهود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية [الإسراء: ٨٥]. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قد تقدمت في كتاب: (الإيمان): أحاديث الإسراء، فانظر هذه الأحاديث في (التلخيص) في كتاب: (الإيمان)"^(٣).

(١) صحيح مسلم (٣٣) [٢٧٩٤].

(٢) صحيح مسلم (٣٤) [٢٧٩٤].

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٦/٧).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحِجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

ونقتصر هنا على ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب: (التفسير)؛ حيث إن تلك الأحاديث التي أشار إليها هي ألصق بكتاب: (الإيمان).
والحديث أخرجه أيضاً البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب: (العلم)، باب: قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ^(١).
وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] ^(٢).
وفي كتاب: (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ^(٣).

وفي كتاب: (التوحيد)، باب: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] ^(٤)، وباب: قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ^(٥).

(١) صحيح البخاري [١٢٥].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٢١].

(٣) صحيح البخاري [٧٢٩٧].

(٤) صحيح البخاري [٧٤٥٦].

(٥) صحيح البخاري [٧٤٦٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

بيان الراد من الحديث:

دل الحديث على أن السائلين عن الروح هم اليهود.

وقيل: قريش بإشارة اليهود.

وقوله: «عبد الله» أي: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «في خَرِبِ الْمَدِينَةِ» بفتح الخاء وكسر الراء، جمع خربة، وفي بعض النسخ: بكسر الخاء وفتح الراء وبالموحدة فيهما. أي: في بعض الأماكن الخربة. والخراب: ضد العمارة. ويقال: خرب المكان خرابًا. وقد خَرِبَ الموضع - بالكسر - فهو خَرِبٌ. ودارٌ خَرِبَةٌ، وأخرها صاحبها (١).

قوله: «وهو مُتَكَيٌّ عَلَى عَسِيب» أي: على عصا من جريد النخل، و«عَسِيب» بفتح المهملة والسين المهملة المكسورة.

قال الجوهرى رَحِمَهُ اللَّهُ: "العَسِيبُ من السَّعَفِ: فُوقَ الكَرَبِ، لم يَنْبُتْ عليه الخوص؛ وما نَبَتْ عليه الخوص، فهو السَّعَفُ" (٢).

وقوله: «متكى عليه» أي: مُعْتَمِد.

قال الإمام أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد اختلف الناس في الروح التي سألت اليهود عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقيل: هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَام. وقيل: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام.

(١) انظر: جمهرة اللغة (٢٨٨/١)، الصحاح، للجوهري، مادة: (خرب) (١١٩/١).

(٢) الصحاح، للجوهري، مادة: (عسب) (١٨١/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

وقيل: هو روح الإنسان ^(١)، وهذا الأخير هو الأولى؛ لأن اليهود لا تقر بأن عيسى عليه السلام ولد بغير أب، وجبريل عليه السلام عندها ملك معروف، فتعين الثالث، وهو الذي يناسب الإبهام في قوله حيث أجابهم بقوله جل وعلا: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، أي: هو أمر عظيم، وشأن كبير من أمر الله عز وجل مبهمًا له، وتاركا تفصيله؛ ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى.. " ^(٢).

وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] الخطاب فيه عام، وقيل: هو الخطاب لليهود خاصة.

وقوله جل وعلا: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل في الاستثناء إنه:

١ - استثناء من العلم، أي: إلا علمًا قليلًا تستفيدونه من طرق الحواس؛ فإن اكتساب العقل للعلوم النظرية مستفادًا من إحساس الجزئيات؛ ولذلك قيل: من فقد حسًا فقد فقد علمًا ^(٣).

٢ - وقيل: هو استثناء من الإتيان، أي: إلا إتياء قليلًا.

٣ - وقيل: هو من الضمير، أي: إلا قليلًا منكم ^(٤).

(١) وقد ذكروا أقوالاً أخرى هي من التهافت بمكان. انظر: شرح شمس الدين السفيري (٢/٢١٣-٢١٤).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٣٥٦).

(٣) انظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٩/٣٦٨)، تفسير أبي السعود (٥/١٩٢).

(٤) انظر: الكواكب الدراري (٢/١٥١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وقوله: «فقالوا: ما رابكم إليه؟» قال الخطابي رحمه الله: "قوله: «ما رابكم إليه؟»: هكذا تقول العامة، وإنما هو ما إربكم إليه؟ أي: ما حاجتكم إليه؟ والإرب: الحاجة" (١).

وقيل: هو من الريب، أي: ما أوقعكم في الريبة؟ أي: الشك حتى احتجتم إلى سؤاله، يقال: يقال: رابه وأرابه بمعنى. وقيل: رابه: إذا علم منه الريب، وأرابه: إذا ظن ذلك به (٢).

وقوله: «لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ» أي: بأمر تكرهون عقباه بسبب سؤالكم.

وفي رواية عند البخاري رحمه الله: «لا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ»: قالوا: "«ولا يجيء» فيه ثلاثة أوجه:

الأول: الجزم على جواب النهي، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وهو الذي في روايتنا.

الثاني: النصب على معنى: لا تسألوه حَشِيَّةً أن لا يجيء فيه، و(لا) زائدة. وهذا على مذهب الكوفيين.

الثالث: الرفع على الاستئناف، أي: لا يجيء فيه بشيء تكرهونه (٣).

(١) أعلام الحديث (١٨٧٣/٣)، وانظر: الصحاح، مادة: (أرب) (٨٧/١).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٠١/٨-٤٠٢).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٢٤/١)، عمدة القاري (٢٠٠/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن عطاء بن يسار بن أبي رباح مسند أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن عطاء بن يسار بن أبي رباح

وقوله: «فَأَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا»: "قوله: «فَأَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» بمعنى: سكت، يقال: سكت، وأسكت لغتان، وقيل: معنى أسكت أطرق ساكتًا" (١)

وقوله: «فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ» بمهملة وراء ساكنة ومثلثة، أي: زرع، وفي نسخة: «حَرْبٍ» بفتح المعجمة وكسر الراء وبموحدة (٢).

قوله: وفي حديث: عيسى بن يونس: «وَمَا أُوتُوا» من رواية: ابن حشرم (٣).
وعند البخاري رحمه الله: قال الأعمش رحمه الله: هكذا في قراءتنا (٤).
قيل: قرأ ابن مسعود رضي الله عنه والأعمش رحمه الله: «وَمَا أُوتُوا» بضمير الغيبة عائداً على السائلين (٥).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٧/٧).

(٢) انظر: الكواكب الدراري (٤٤/٢٥)، عمدة القاري (٣٦/٢٥)، إرشاد الساري (٣١٢/١٠)، منحة الباري (٣٧٨/١٠).

(٣) صحيح مسلم (٣٣) [٢٧٩٤].

(٤) صحيح البخاري [١٢٥، ٧٤٦٢]، وكذا في مسند (الشاشي) [٣٦٩].

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٢/٣)، البحر المحيط في التفسير (١٠٧/٧)، الدر المصون (٤٠٦/٧)، روح المعاني (١٤٦/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وقيل: الخطاب عام لجميع الخلق، أي: إن الخلق عمومًا، وإن أعطوا من العلم ما أعطوا، فهو قليل بالنسبة لعلمه الله عزَّ وجلَّ.
لكن قراءة الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ تقتضي اختصاص السائلين، وهي قراءة شاذة غير صحيحة (١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هو في بعض النسخ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ على وفق القراءة المشهورة، وفي أكثر نسخ البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: ﴿وَمَا أُوتُوا﴾" (٢).
قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "وبين مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ اختلاف الرواة عن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ فيها، وهي مشهورة عن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ، أعني: بلفظ: ﴿وَمَا أُوتُوا﴾. ولا مانع أن يذكرها بقراءة غيره، وقراءة الجمهور: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾. والأكثر على أن المخاطب بذلك اليهود، فتتحد القراءتان" (٣).

وقد استأثر الله عزَّ وجلَّ بعلم الروح فلم يطلع عليه أحدًا من عباده. وقد نقل عن الإمام الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "الروح شيء استأثر الله عزَّ وجلَّ بعلمه، ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]" (٤).

(١) انظر: إكمال المعلم (٣٢٦/٨)، حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي (٥٧/٦)، روح المعاني (١٤٦/٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٧/١٧).

(٣) فتح الباري (٤٠٤/٨).

(٤) انظر: رسائل تاج العارفين الجنيد البغدادي (ص: ١٢٦)، طبعة دار الشروق [١٤٢٦هـ].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "وعلى ذلك جرى ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ، وجمع من أهل التفسير" (١).

قال ابن بطل رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا يدل على أن من العلم أشياء لم يطلع الله عَزَّوَجَلَّ عليها نبياً ولا غيره، أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يختبر بها خلقه، فيوقفهم على العجز عن علم ما لا يدركون؛ حتى يضطرهم إلى ردِّ العلم إليه، ألا تسمع قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فعلم الروح مما لم يشأ الله عَزَّوَجَلَّ أن يطلع عليه أحد من خلقه" (٢).

وقال الإمام أبو عبد الله المازري المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الكلام في الروح والنفس مما يغمض ويدق ولكنه مع هذا أكثر الناس الكلام فيه حتى ألف بعضهم فيه التواليف، قال: ومال بعض المتكلمين من أئمتنا إلى أنه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه، خلقه الباري جَلَّوَعَلَا وأجرى العادة بأن الحياة لا تكون مع فقدّه، وهذا الجسم إن كان حياً فلا يحى إلا بحياة تختص به" (٣).

(١) فتح الباري (٤٠٣/٨-٤٠٤)، وانظر: المحرر الوجيز (٤٨١/٣).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٢٠٤/١).

(٣) المُعَلِّم بفوائد مسلم (٣٥٧/٣-٣٥٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي حنيفة

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال بعض مقدمي أئمتنا: هو جسم لطيف متصور على صورة الإنسان داخل الجسم، قال: والأصح عند أصحابنا: أن الروح جسم لطيف متخلل في البدن" ^(١)، أي: مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر.

وفي الحديث: عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سلمة وقد شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» الحديث ^(٢). قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي الروح لغتان التذكير والتأنيث، وهذا الحديث دليل للتذكير، وفيه دليل لمذهب أصحابنا المتكلمين ومن وافقهم: أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها، وليس عرضًا كما قاله آخرون، ولا دَمًا كما قاله آخرون، وفيها كلام متشعب للمتكلمين" ^(٣).

قال في (الجوهرية):

ولا تخض في الروح إذ ما وردا نص من الشارع لكن وجد
لمالك هي صورة كالجسد فحسبك النص بهذا السند

أي: فيكره الخوض؛ لعدم ورود نص من الشارع ببيان حقيقتها، ولكن وجد لأهل مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ ممن خاض في بيان الروح أنها جسم ذو صورة كصورة الجسد في الشكل والهيئة - والله أعلم -.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣٢/١٣-٣٣).

(٢) صحيح مسلم [٩٢٠].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٣/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، قال: «كان نفر من الجن أسلموا، وكانوا يعبدون، فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم، وقد أسلم النفر من الجن» ^(١).

* وفي رواية: عن أبي بكر بن نافع العبدي، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، قال: «كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]» ^(٢).

قال: وحدثني بشر بن خالد، أخبرنا محمد يعني ابن جعفر، عن شعبة، عن سليمان بهذا الإسناد.

(١) صحيح مسلم (٢٨) [٣٠٣٠].

(٢) صحيح مسلم (٢٩) [٣٠٣٠].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسجد بن الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

* وفي رواية: عن حجاج بن الشاعر، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا حسين، عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، قال: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]» (١).

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم في كتاب: التفسير، باب في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]: باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما قوله: "باب في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]:" فقد نبهنا غير مرة إلى أن الأحاديث في كتاب: (التفسير) من (صحيح مسلم) بعضها مبوب، وبعضها غير مبوب، وقد تقدم أنه من فعل الشراح؛ وأنه لم يأت متكاملًا ومتناسقًا.

(١) صحيح مسلم (٣٠) [٣٠٣٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي يسمونه بـ «مسند أبي حنيفة»

وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير) باعتبار ترتيبه.

والحديث أخرجه أيضاً: البخاري رحمه الله في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله
جَلَّوَعَلَا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧] بلفظ: «كَانَ
ناس من الجن يعبدون فأسلموا»^(١).

وفي الحديث مسائل:

المسألة الأولى: بيان سبب النزول والمعنى المراد من الآية:

تقدم في حديث: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْآيَةَ «نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ
كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجَنِيُّونَ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُوهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ، فَنَزَلَتْ».

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الشَّرِكِ يَقُولُونَ: نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ
وَعُزَيْرًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَدْعُونَ، يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ وَالْمَسِيحَ وَعُزَيْرًا...»^(٢).
وقيل: هم عيسى وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس والقمر والنجوم^(٣).

(١) صحيح البخاري [٤٧١٥].

(٢) أخرجه ابن جرير (٤٧١/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٣٣٥/٧)، قال السيوطي: "أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه: عن ابن عباس " الدر المنثور (٣٠٥/٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨٨/٥). وذكر الحافظ في (الفتح) (٣٩٧/٨) "أنه قد روي من طريق ضعيفة".

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٧٣/١٧)، معالم التنزيل (١٠١/٥)، المحرر الوجيز (٤٦٥/٣)، البحر المحيط في التفسير (٦٩/٧)، الكشف والبيان (١٠٧/٦)، الدر المنثور (٣٠٦/٥)، زاد المسير (٥٥٥/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

قال الإمام أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فاستمسك الإنس بعبادتهم، فنزل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]»، هذا هو المشهور عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وروى عنه أنها نزلت فيمن كان يعبد العزير وعيسى وأمه.

والآية بحكم عمومها متناولة للفريقين؛ لأنَّ ﴿أُولَئِكَ﴾ [الإسراء: ٥٧] إشارة إلى قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٥٦]، والمخاطب بـ: ﴿قُلِ ادْعُوا﴾ كل من كان كذلك، والنفر من الإنس قيل: إنهم كانوا من خزاعة. و﴿زَعَمْتُمْ﴾ [الإسراء: ٥٦]: ادعيتهم، ومعمولها محذوف، تقديره: زعمتهم أنهم آلهة غير الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: ٥٦]: أي: لا يستطيعون. و﴿الضَّرِّ﴾: هو قحط سبع سنين، والأحسن حمله على جنس الضر؛ فإنَّهم لا يملكون كشف شيء منه كائنًا ما كان، ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]: ولا يملكون تحويل شيء من أحوالهم ولا تبديله بغيره..^(١)

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية الكريمة: أن المعبودين من دون الله عَزَّوَجَلَّ الذين زعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ زلفى، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضر عن عابديهم، أي: إزالة المكروه عنهم، ولا تحويله من إنسان إلى آخر، أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى، والقحط إلى الجذب، ونحو ذلك.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٧/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ثم بين فيها أيضاً أن المعبودين الذين عبدتهم الكفار من دون الله عزَّجَلَّ يتقربون إلى الله جلَّ وعلا بطاعته، ويتبعون الوسيلة إليه، أي: الطريق إلى رضاه، ونيل ما عنده من الثواب بطاعته، فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم.

وهذا المعنى الذي بينه عزَّجَلَّ في هذه الآية الكريمة: من أن كل معبود من دون الله عزَّجَلَّ لا ينفع عابده، وكل معبود من دون الله عزَّجَلَّ مخلوق، وكل مخلوق مفتقر إلى خالقه، وهو طوع إرادته وأمره، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣]، إن تدعوهم لا يسمعو دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

ضُرِّهَ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِّكَتٌ رَحْمَتِهِ ۖ [الزمر: ٣٨].. إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة.

قال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني: الذين يعبدونهم ويدعونهم - كالمسيح وعزير والملائكة - لا يملكون نفعا لأنفسهم ولا ضرا، وهم يطلبون الوسيلة إلى الله عَزَّجَلَّ، أي: يتقربون إلى الله عَزَّجَلَّ بطاعتهم؛ رجاء إحسان الله جَلَّوَعَلَا، وطمعا في رحمته، ويخافون العذاب من الله عَزَّجَلَّ، فكيف يرفعون عنكم البلاء وهم يرجون الله جَلَّوَعَلَا، ويخافونه في أحوال أنفسهم؟! "

ويقال في المثل: (تعلق الخلق بالخلق تعلق مسجون بمسجون).

ويقال: (إذا انضمَّ الفقير إلى الفقير ازدادا فاقة).

ويقال: (إذا قاد الضير ضريرا سقطا معا في البئر) ... " (١).

و"يَبْتَغُونَ" [الإسراء: ٥٧]: يقصدون ويطلبون.

وهذه الجملة هي خبر ﴿أُولَئِكَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء: ٥٧]: نعت لـ: ﴿أُولَئِكَ﴾.

و(الوسيلة): القربة إلى الله عَزَّجَلَّ. يقال: توسلت إلى فلان: أي: تقربت.

(١) تفسير القشيري (لطائف الإشارات) (٢/٣٥٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

و﴿أَيْهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، أي: كل واحد منهم يجتهد في التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ بعبادته، يريد بذلك: أن يكون أقرب إليه من كل أحد. وهذا المعنى أمكن في حق العزيز وعيسى وأمه، وبهذا يتأيد القول الثاني لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كذا في (المفهم) ^(١).

المسألة الثانية: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان ناس من الجن»:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "استشكل ابن التين رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «ناساً من الجن» من حيث إن (الناس) ضد: الجن. وأجيب بأنه على قول من قال: إنه من (ناس): إذا تحرك ^(٢)..

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٨/٧).

(٢) وهذا يرجع أصل لفظ الناس، ومأخذه، فالناس أصله عند سيبويه والجمهور: أناس، وهو جمع أو اسم جمع لإنسان، وقد حذفت فاؤه تخفيفاً، فأصله (فعال)، وهذا جار على مذهب الزمخشري ومن لف لفه من كون الوزن يراعى فيه أصل بنية الكلمة، بقطع النظر عن المحذوف منها، أما على مذهب غيره فوزنه: (عال)؛ لكونه محذوف الفاء، ويشهد لأصله: إنسان، وإنس، وأناسي، ونقصه وإتمامه جائزان إذا نكر، فإذا عرف بأل فالأكثر نقصه، ومن عرف خص بالبلاء، ويجوز إتمامه ويجوز إتمامه على قلت كما في قوله: (إن المنايا يطلع*** عن على الأناس الآمنينا)، وهو مأخوذ من (الأنس) ضد الوحشة؛ لأنسه بجنسه؛ لأنه مدني بالطبع، ومن هنا قيل: (وما سمي الإنسان إلا لأنسه*** ولا القلب إلا أنه يتقلب)، أو من (آنس)، أي: أبصر، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وجاء بمعنى: سمع وعلم، وسمي به؛ لأنه ظاهر محسوس، وذهب السكاكي إلى أنه اسم تام وعينه واو، من (نوس): إذا تحرك، بدليل تصغيره على (نويس) فوزنه: فعل. وفي (الكشاف) أنه من المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل، وقيل: من نسي بالقلب؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا في آدم عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ =



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّيبِيَّيْنِ بُورِي

أو ذكر للتقابل حيث قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن» (١).

المسألة الثالثة: جمعت الآية أركان العبادات القلبية:

العبادات القلبية: هي التي تتعلق بقلب الإنسان، مثل: الاعتقاد، والنية، ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتوحيده، وخوفه، ورجاؤه، ومحبة طاعته وشرعه، وبُغض معصيته، ومعرفة صفاته، وتعظيمه، وتعظيم أمره، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، وشكره، والتوكل

= عَزَمًا ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥]، وهذا مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما فوزنه حينئذ: (فلع)، ولا يستعمل في الغالب إلا في بني آدم، وحكى ابن خالويه عن ناس من العرب: أناس الجن، قال أبو حيان: وهو مجاز وإذا أخذ من نوس يكون صدق المفهوم على الجن ظاهرًا، لا سيما إذا قلنا: إن النوس تذبذب الشيء في الهواء.. الخ "كذا في روح المعاني (١/١٤٦). وقد حقق المعنى أستاذنا العلامة إبراهيم خليفة في (تفسير سورة النساء) (ص: ١١٧-١١٩). أصل لفظ ناس، ومأخذه، هل يدخل فيه الجن أو لا؟ وقال: "الصواب عندي في أصل هذا اللفظ هو مذهب سيبويه والجمهور، وأن تصغيره على (نويس) لا يدل على خلاف هذا الأصل بحجة أن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها؛ لأن هذا التصغير، كما قال الرمحشري مما جاء على خلاف القياس، وعلى هذا فإن الجن يتدرج تحت هذا اللفظ؛ للتضاد القائم بي مأخذي لفظيهما؛ فإن مأخذ لفظ: (الناس) على هذا إما من (الأنس) ضد الوحشة، أو من (الإيناس) بمعنى: الإبصار والمشاهدة، ومن هنا يرادفه لفظ: (بشر)؛ لظهور البشرة للراء على حين أن مأخذ الجن من الاجتنان بمعنى: الاختفاء والاستتار، وما يلزم ذلك من الوحشة، ومما يدل على ذلك من التنزيل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]؛ فإن العطف يقتضي المغايرة.. الخ".

(١) فتح الباري (٨/٣٩٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي سأل بوري

عليه، والإنابة إليه، والصدق، والإخلاص، واليقين، والتفكر، والخشوع، والمراقبة، والورع، والصبر، والزهد، والقناعة، والإيثار، والحياء.

ومحبة رسول ﷺ، وتعظيمه وتوقيره، واعتقاد أنه خير أسوة للناس، وأن سنته خير السنن وأنفعها، وأنه مبين للناس ما نزل إليهم.

ولا بد من اقتران أعمال القلوب بسلامة النية والقصد، بأن تكون خالصة لله عزَّ وجلَّ، لا يقصد بها إلا وجهه جلَّ وعلا.

ينبغي أن تكون العبادات القلبية قائمة على أركان ثلاثة، هي: (المحبة، والخوف، والرجاء).

وقد جمع الله عزَّ وجلَّ بين هذه الأركان في قوله جلَّ وعلا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء القرب إشارة إلى المحبة، ثم الرجاء، وبعده الخوف.

وهذه الأمور الثلاثة: (الخوف والرجاء والمحبة) التي وصف الله عزَّ وجلَّ بها هؤلاء المقرَّين عنده هي الأصل والمادَّة في كلّ خير. فمن تمَّت له تمَّت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحَّلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور والآفات.

قال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، هكذا حال العارف بالله عزَّ وجلَّ بين الرجاء والخوف، ولا بد منهما للمؤمن؛ ولذلك قال بعض السلف: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا». إلا أن



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

الخوف أولى بالمسيء لكن بحيث لا يقنط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، والرجاء أولى بالمحسن؛ لكن بحيث لا يغتر فيكسل عن الاجتهاد في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧]، أي: شيئاً عظيماً يجب أن يحذره المؤمن، فهو محذور للمؤمن العارف، ومتروك للجاهل الآمن^(١).

إن الخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يرتقي بهما السالك إلى سُدَّة النجاة، ولا ينفع واحدٌ منهما دون الآخر، بل هما صنوان، ومثابة كفتي الميزان.

فمن الاغترار: التماذي في الذنوب مع رجاء العفو، وتوقع القرب من الله جَلَّوَعَلَا بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة يَبْذُر النار. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنِينَ، إِذَا أَمْنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٨/٧).

(٢) الحديث مروي عن الحسن مرسلاً، وعن أبي هريرة. حديث: الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرج ابن المبارك في (الزهد) [١٥٧]، والبخاري [٨٠٢٨]، عن الحسن مرسلاً. حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرج ابن المبارك في (الزهد) [١٥٨]، والبخاري [٨٠٢٩]، وابن حبان [٦٤٠]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٧٥٩]، وابن عساکر في (معجمه) [١٤٢٨]. قال الهيثمي (٣٠٨/١٠): "رواهما البزار، عن شيخه: محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث". وقال العراقي (ص: ١٥١٠): "أخرج ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الشعب من حديث: أبي هريرة، ورواه ابن المبارك في (الزهد)، وابن أبي الدنيا في كتاب: (الخائفين) من رواية: الحسن مرسلاً".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

ولا بد من تحقيق التكافؤ والتوازن بين الخوف والرجاء؛ حتى تستقيم حياة المؤمن في الدنيا، ويفوز بالنعيم في الآخرة.

فلا يغلب العبد جانب الرجاء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الأمن من مكر الله؛ فيكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿أَقَامُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. ولا يغلب جانب الخوف؛ لئلا يفضي به إلى اليأس من رحمة الله عز وجل؛ فيكون من الذين قال الله عز وجل فيهم حكاية عن قيل إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. ومن الذين قال الله عز وجل فيهم حكاية عن قيل يعقوب عليه السلام: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. قال الحسن رحمه الله: إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني لأحسن الظن بري، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالهبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا

(١) انظر: كشف المشكل، لابن الجوزي (٣/٣٢٣)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص: ١٢٨)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد. وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه^(١). والحاصل أن للعبادة أركاناً لا تصح بدونها، وهاك إجمال هذه الأركان:

١ - أن تكون العبادات قائمة على (المحبة، والخوف، والرجاء)، فهذه أركان العبادات القلبية - كما تقرر-.

٢ - أن تجمع العبادة: غاية الحبّ وغاية الدّلّ والخضوع.

٣ - إخلاص العبادة لله عزّ وجلّ.

٤ - اتباع الشرع فيما أمر به ونهى عنه من غير ابتداء.

٥ - لا بدّ في العبادة من العلم الذي تصح به، فلا تصح العبادة إلا بالعلم والعمل.

وأعمال القلوب أشرف عند الله عزّ وجلّ من أعمال الجوارح؛ لأن القلب محلّ نظر الحقّ جلّ وعلا من العبد، ولأن العبادات القلبية هي الأساس لما بعدها من أعمال الجوارح

(١) مدارج السالكين (٥١٣/١)، وانظر: تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، مطلب في معنى: المحتضر، لإبراهيم بن يوسف البولوي، تحقيق ودراسة وشرح: د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، مصطفى محمود سليخ (ص: ٣٥)، المحبة صورها وأحكامها (ص: ٢٦-٢٧).



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن عطاء الله بن يوسف بن أبي حنيفة

أن توفقي إلى أحب الأعمال الصالحة التي تقرني إلى حبك. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "هذا يدل على أنه طالب لمحبة العمل حتى يكون ^(١) وسيلة إلى محبة الله عَزَّجَلَّ إياه، فينبغي أن يحمل الحديث على أقصى ما يكون من المحبة في الطرفين" ^(٢).
والعمل الصالح ثمرته عظيمة، ونفعه جليل، ويكفي المؤمن أن ينال الحياة الطيبة في الدنيا، وحسن الجزاء في الآخرة، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].
وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الإرشاد إلى أسباب النجاة، والوسائل الناجعة لحياة طيبة نافعة)، وفي كتاب: (المحبة صورها وأحكامها في ضوء الكتاب والسنة).

(١) أي: العمل؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد. وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فالعمل الصالح هو السبيل لمحبة الله عَزَّجَلَّ، والدعوى لا بد أن يصدقها العمل، ولبعض المتقدمين: (تعصي الإله وأنت تزعم حبه)*** هذا لعمرى في القياس شنيع، (لو كان حبك صادقاً لأطعته)*** إنَّ المحبَّ لمن يحب مطيع، فما قيمة دعوى يكذبها العمل، وكيف يجتمع الحب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأمره ونهيه؟
(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩٥٩/٣)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٦٢٧/٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

ن ض

[٣] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قال: نزلت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فكان إذا صَلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سَبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عَزَّجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾، «فيسمع المشركون قراءتك» ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ «عن أصحابك أَسْمِعُهُمُ الْقُرْآنَ وَلَا تَجْهَرُ ذَلِكَ الْجَهْرُ»، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، «يقول بين الجهر والمخافتة» (١).

[٤] وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ قالت: «أنزل هذا في الدعاء» (٢).

(١) صحيح مسلم (١٤٥) [٤٤٦].

(٢) صحيح مسلم (١٤٦) [٤٤٧].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسعود القشيري الذي نسب لبوري

تخريج الحديث:

* حديث: ابن عباس رضي الله عنهما:

أخرجه مسلم في كتاب: (الصلاة)، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار، إذا خاف من الجهر مفسدة. باعتبار تبويب الشراح، وما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله. وأخرجه البخاري في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] (١).

وفي كتاب: (التوحيد)، باب: باب قول الله عز وجل: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦] (٢). وباب: قول الله جل وعلا: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤] (٣). وباب: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» (٤).

(١) صحيح البخاري [٤٧٢٢].

(٢) صحيح البخاري [٧٤٩٠].

(٣) صحيح البخاري [٧٥٢٥].

(٤) صحيح البخاري [٧٥٢٥].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

* حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وأخرجه البخاري في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] (١).

وفي كتاب: (الدعوات)، باب: الدعاء في الصلاة (٢).

وفي كتاب: (التوحيد)، باب: قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦﴾ [المك: ١٣-١٤] (٣).

وقد ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير) حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال في حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "وقد تقدم في كتاب الصلاة: قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هذه الآية: إنها نزلت مخافة سب المشركين للقرآن إذا قرئ جهراً اه"، فلم ينقل حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى كتاب: (التفسير)، واكتفى بحديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأحال إلى حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الصلاة.

وفي الحديث مسائل:

(١) صحيح البخاري [٤٧٢٣].

(٢) صحيح البخاري [٧٥٤٧].

(٣) صحيح البخاري [٧٥٢٦].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عثمان بن كثير

المسألة الأولى: في بيان في سبب نزول الآية:

قال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "اختلف في سبب نزول هذه الآية؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما نصه مسلم، وأن الصلاة هي الصلاة الشرعية. وقالت عائشة رضي الله عنها ما ذكره أيضًا مسلم: إنها نزلت في الدعاء؛ أي: لا تجهر بالدعاء ولا تخفض به، وإليه مال الطبري رحمه الله^(١).

وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ إذ كان أبو بكر رضي الله عنه يُسرُّ بالقراءة، ويقول: أناجي ربي، وعمر رضي الله عنه يجهر، ويقول: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، وأرضي الرحمن، فنزلت الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «ارفع شيئًا»، ولعمر: «اخفض شيئًا»^(٢).

ونص الحديث من رواية: أبي داود عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض من صوته، قال: ومر بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك»، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله، قال: وقال لعمر: «مررت بك، وأنت تصلي رافعًا صوتك»، قال: فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان - زاد الحسن في حديثه -

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/٥٨١-٥٨٩).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٧٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً»، وقال لعمر: «اخفض من صوتك شيئاً»^(١).

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، أي: بقراءة صلاتك على حذف المضاف؛ لأنه لا يلبس، من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا، فأمر بأن يخفض من صوته.

(١) أخرجه أبو داود [١٣٢٩]، واللفظ له، وروى الترمذي نحوه [٤٤٧]، وقال: "وفي الباب: عن عائشة، وأم هانئ، وأنس، وأم سلمة، وابن عباس، وهذا حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق، عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت، عن عبد الله بن رباح مرسلًا". كما أخرجه ابن خزيمة [١١٦١]، وابن حبان [٧٣٣]، والحاكم [١١٦٨]، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضاً: البيهقي [٤٧٠٠]. وفي (خلاصة الأحكام): "رواه أبو داود بإسناد صحيح". (الوسنان)، أي: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه. وروى أحمد عن علي بن بحر، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا زكريا، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي، قال: كان أبو بكر يخافت بصوته إذا قرأ، وكان عمر يجهر بقراءته، وكان عمار إذا قرأ يأخذ من هذه السورة وهذه، فذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لأبي بكر: «لم تخافت؟» قال: إني لأسمع من أناجي وقال لعمر: «لم تجهر بقراءتك؟» قال: أفزع الشيطان، وأوقف الوسنان.. الحديث. أخرجه أحمد [٨٦٥]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٢١٠٥]، والضياء [٧٨٥]، قال الهيثمي (٢/٢٦٦): "رواه أحمد، ورجاله ثقات". وفيه: هانئ بن هانئ، وأبو إسحاق تغير بأخرة، ورواية زكريا- وهو ابن أبي زائدة- عنه بعد تغييره. وقال الضياء: "إسناده لا بأس به"، وقال الحافظ ابن حجر في (نتائج الأفكار) (١٢/٢): "حديث حسن أخرجه أحمد، عن علي بن بحر، عن عيسى بن يونس، عن زكريا. فوقع لنا عاليًا".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ربي

وقيل: معناه: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ كلها، ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ كلها، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ بأن تجهر بصلاة الليل، وتخافت بصلاة النهار.
وقيل: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بدعائك^(١).
ولا يمنع أن تدل على القراءة والدعاء معاً؛ فإن خير الأمور أوسطها.

المسألة الثانية: الدلالة على التوسط والاعتدال في القراءة والدعاء:

قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، أي: طريقاً وسطاً في القراءة، وهو ما بين الجهر والمخافتة. قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمقصود الآية: التوسط في القراءة والدعاء، فلا يفرط في الجهر، ولا يفرط في الإسرار، ولكن بين المخافتة والجهر، وخير الأمور أوسطها"^(٢).
قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وابتغاء السبيل: مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة"^(٣).

وقوله: (مثلٌ لانتحاء الوجه)، يعني: شبه من ينبغي أن يتوسط في القراءة بمن يتوخى بين السبيلين قصداً سوياً. قاله الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤).

(١) انظر: الكشف (٧٠١-٧٠٠/٢).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٩/٧).

(٣) الكشف (٧٠١/٢).

(٤) حاشية الطيبي على الكشف (٣٩٩/٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

المسألة الثالثة: مكانة دعاء الخفاء والنهي عن الاعتداء فيه:

شرع الله عز وجل لعباده الجهر والإسرار بالقراءة والدعاء في الصلاة؛ لما في الجهر من الأثر على من جهر وعلى السامع، ولما في الإسرار من الأثر من حيث إنه يورث الإخلاص لله عز وجل.

وقد حث الشارع على (دعاء الخفاء) الذي يخلص العبد فيه التوجه إلى الله عز وجل، فقال جل وعلا: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

يقول تعالى ذكره: ادعوا، أيها الناس، ربكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه. ﴿تَضَرُّعًا﴾، أي: تذللًا واستكانة لطاعته. ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، كما هو فعل أهل النفاق.

وعن الحسن رحمه الله قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر جأزه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا! ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم جل وعلا، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال الله عز وجل عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، فذكر أنه توجه إلى الله عز وجل بدعاء خفي، وأن الله جل وعلا قد رضي فعله، واستجاب دعائه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي تيسر أبو ي

"يقول حين دعا ربه عزَّ وجلَّ، وسأله بنداء خفي، يعني: وهو مُسْتَسِرُّ بدعائه ومُسْأَلَتِهِ
إِيَّاهُ ما سَأَلَ؛ كراهة منه للرياء.

وقد جاء: عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، أي:
سرًّا، وإن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي" (١).

قال جابر الله الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "راعى سنة الله عزَّ وجلَّ في إخفاء دعوته، لأنَّ الجهر
والإخفاء عند الله جَلَّوَعَلَا سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء، وأدخل في
الإخلاص. وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ: نداء لا رياء فيه... (٢).

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "قوله: (راعى سنة الله عزَّ وجلَّ)، يعني: راعى زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ
سنة العبودية مع المعبود جَلَّوَعَلَا في إخفاء دعائه.

قوله: (نداء لا رياء فيه)، فيكون الإخفاء ملزومًا للإخلاص الذي هو: عدم
الرياء؛ لأنَّ الإخفاء أبعدُ من الرياء. ولما كنى عن عدم الرياء بالخفاء عُلم أن لا اعتبار
للظاهر، وأن الأمر يدور على الإخلاص حتى إنه لو نادى جهرًا بلا رياء دخل فيه، أو
نادى سرًّا بلا إخلاص خرج منه، وفي الجمع بين النداء والإخفاء: إيماءٌ إلى هذا المعنى.
قال الراغب رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [مرم: ٣] (٣): أشار بالنداء إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه
تصور نفسه بعيدًا منه بذنوبه وأحواله السيئة.

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٨٥/١٢)، (١٤٢/١٨).

(٢) الكشف (٣/٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة: (ندا) (ص: ٧٩٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ﴾ [فصلت: ٤٤]، فاستعمال النداء فيهم تنبيه على بعدهم عن الحق، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فالإشارة بالمنادي إلى العقل، والكتاب المنزل، والرسول المرسل، وسائر الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وجعله منادياً للإيمان؛ لظهوره ظهور النداء، وحته على ذلك كحث المنادي.

فإن قلت: كيف جمع بين النداء وهو رفع الصوت، وبين ﴿خَفِيًّا﴾ وهو خفت الصوت؟ قلت: جعل ﴿خَفِيًّا﴾ مجازاً عن الإخلاص لا كناية؛ لأن المجاز يناقِ إرادة الحقيقة، والنداء عبارة عن إظهار الاستكانة، وإبداء التضرع والخشوع^(١).
وقيل: إنما نادى خفياً؛ لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر والشيخوخة^(٢)، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته.
واختلف في سنه حينئذ، فقليل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: خمس وسبعون، وقيل: خمس وثمانون، وقيل: تسع وتسعون^(٣).

(١) الكشاف (٣/٣)، حاشية الطيبي على الكشاف (٥٦١/٩-٥٦٢)، وانظر: حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (١٨٧/١٢).

(٢) قال الجوهري: "وَأَبَّانُ الشَّيْءِ - بالكسر والتشديد: وقته وأوانه، وقال: الكِبَرُ في السن، وقد كبر الرجل يَكْبُرُ كِبَرًا، أي: أسن، والاسم: الكِبَرَةُ - بفتح الكاف وسكون الباء - . يقال: علت فلاناً كِبَرَةً" الطيبي (٥٦٢/٩)، الصحاح، للجوهري، مادة: (ابن) (٢٠٦٦/٥)، ومادة: (كبر) (٨٠١/٢).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣)، مفاتيح الغيب (٥٠٧/٢١)، تفسير البيضاوي (٥/٤). وفي (حاشية القونوي على البيضاوي) (١٨٨/١٢): "وقد مرَّ في (آل عمران) أن سنه كان تسعًا وتسعين، وسن امرأته كان =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وذكر الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ فوائد في قصة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ في (سورة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ)،
منها: تعليم آداب الدعاء وهي من جهات:

أحدها: قوله: ﴿نِدَاءٌ خَفِيًّا ۝٣﴾، وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله
ويؤكد قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ولأن رفع الصوت مشعر
بالقوة والجلالة، وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار، وعمدة الدعاء:
الانكسار، والتبري عن حول النفس وقوتها، والاعتماد على فضل الله عَزَّوَجَلَّ وإحسانه.
وثانيها: أن المستحب: أن يذكر في مقدمة الدعاء: عجز النفس وضعفها، كما
في قوله جَلَّوَعَلَا عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، ثم يذكر
كثرة نعم الله عَزَّوَجَلَّ على ما في قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [مريم: ٤].
وثالثها: أن يكون الدعاء لأجل شيء متعلق بالدين، لا لمحض الدنيا^(١)..

=ثمانية وتسعين، وهذا هو الظاهر الراجح؛ إذ ما ذكره من وهن العظم الخ. يناسبه؛ إذ ما ذكره المصنف
هنا سوى الأخير لا يلائمه؛ إذ العادة قاضية أن من كان سنه ستين أو سبعين، أو خمسة وسبعين لا
يبلغ هذه المرتبة، لا سيما صاحب النبوة، وذو القوة القدسية".

(١) قال الحافظ ابن كثير: "وجه خوفه: أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفًا سيئًا فسأل الله عَزَّوَجَلَّ
ولدًا يكون نبيا من بعده؛ ليسوسهم بنبوته بما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له
ماله؛ فإن النبي أعظم منزلة، وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده، وأن يأنف من وراثة
عصباته له، ويسأل أن يكون له ولد؛ ليحوز ميراثه دونهم وهذا وجه. الثاني: أنه لم يذكر أنه كان ذا مال،
بل كان نجارًا يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سيما الأنبياء؛ فإنهم كانوا أزهد شيء
في الدنيا. الثالث: أنه قد ثبت في (الصحيحين) من غير وجه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا
نورث ما تركنا صدقة». وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح: «نحن معشر الأنبياء لا نورث» وعلى =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

.. كما قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَأَى﴾ [مريم: ٥]. وأن يكون الدعاء بلفظ: (يا رب) ونحوه، إلى غير ذلك ^(١).

قال ابن المنير الإسكندري رَحِمَهُ اللَّهُ في (الانتصاف): "وحسبك في تعين الإسرار في الدعاء: اقترانه بالتضرع في الآية. فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله عَزَّجَلَّ في الدعاء. وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى، فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه. وترى كثيراً من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح في الدعاء، خصوصاً في الجوامع، حتى يعظم اللغط ويشتدُّ، وتستكُّ المسامع وتستدُّ، ويهتز الداعي بالناس، ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء، وفي المسجد، وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت، ورعاية سمت الوقار، وسلوك السنة الثابتة بالآثار. وما هي إلا رقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والأطفال، ليست خارجة عن صميم الفؤاد؛ لأنها لو كانت من أصل، لكانت عند اتباع السنة في الدعاء. وفي

= هذا فتعين حمل قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٥-٦]، على ميراث النبوة؛ ولهذا قال:

﴿وَبَرِّثْ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦]، كقوله: ﴿وَوَرِّثْ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]، أي: في النبوة؛ إذ لو

كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة؛ إذ من المعلوم

المستقر في جميع الشرائع والملل: أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثية خاصة لما أخبر بها، وكل هذا يقرره

ويثبتته ما صح في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» تفسير ابن كثير

(٣/٣٦٤-٣٦٥).

(١) تفسير الرازي (٢١/٥١٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

خفض الصوت به، أوفر وأوفى وأزكى. فما أكثر التباس الباطل بالحق، على عقول كثيرة من الخلق! اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه^(١).
والحاصل أن الدعاء سرًّا أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الصفاء والإخلاص -على ما تقدم-.

وقد قيل: إن أنواع الاعتداء بالدعاء كثيرة، منها: الجهر الكثير المفرط^(٢).
وفي (الصحيح): عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»^(٣).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: «اربعوا على أنفسكم»، يريد: أمسكوا عن الجهر، وقفوا عنه، وأصل هذه الكلمة من قولك: ربع الرجل بالمكان: إذا وقف عن السير وأقام به. ويقال للرجل: اربّع على نفسك، واربع عليك، أي: قف. وقيل: معناه: ارفق بنفسك. ويقال: معناه: انتظر"^(٤).

(١) الانتصاف، لابن المنير (١١٠/٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (٥٣-٥٢/٣).

(٣) صحيح البخاري [٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٦١٠، ٧٣٨٦]، مسلم [٢٧٠٤].

(٤) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١٤٢٤/٢)، وانظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (ربع) (١٢١٢/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اربعوا» - بهمزة وصل، وفتح الباء الموحدة - معناه: ارْقُفُوا بأنفسكم، وخفضوا أصواتكم؛ فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله عَزَّجَلَّ، وليس هو بأصم، ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة. ففيه: الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه؛ فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإن دعت حاجة إلى الرفع رفع، كما جاءت به أحاديث^(١).

وروى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: عن ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ: أن من الدعاء اعتداءً، يُكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ويُؤمر بالتضرع والاستكانة^(٢). وأخرج ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ مثله: عن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث كان يرى أن الجهر بالدعاء الاعتداء^(٣). وفسره أبو مجلز رَحِمَهُ اللَّهُ بسؤال منازل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام، وفسره سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعاء على المؤمن والمؤمنة بالشر، اللهم اخزه والعنه، ونحو ذلك؛ فإن ذلك عدوان. أخرج ذلك: ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ في (التفسير)^(٤).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٦/١٧).

(٢) تفسير الطبري (٤٨٧/١٢). قال في (الدر المنثور) (٤٧٦/٣): "أخرجه ابن جرير، وأبو الشيخ: عن ابن جريج".

(٣) روى ابن أبي حاتم: "عن عبد الرحمن بن أبي الرجال، عن زيد بن أسلم في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال: كان يرى أن الجهر بالدعاء الاعتداء" تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٥٠٠/٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٥٠٠/٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا يخفى أن هذا جميعه مما يشملُه الاعتداء" (١).
وفي (تفسير أبي المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ): "قيل: من الاعتداء في الدعاء: أن يسأل لنفسه درجة ليس من أهلها؛ بأن يسأل درجة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وليس بنبي، ودرجة الشهداء، وليس بشهيد" (٢).
قال الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإن منه: ما ذهب جمع إلى أنه كفر، كطلب دخول إبليس وأبي جهل وأضرابهما الجنة، وطلب نزول الوحي.. ونحو ذلك من المستحيلات؛ لما فيه من طلب إكذاب الله عَزَّجَلَّ نفسه" (٣).
وفي (تبيين المحارم): "ومن أنواع الدعاء ما هو كفر، كأن يدعو بالمغفرة لمن مات كافراً، وتعين موته على الكفر، كأبي جهل، وفرعون، ونمرود وأحزابهم؛ فإن النص القاطع المجمع عليه يدل على أن الله عَزَّجَلَّ ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، فالدعاء بالمغفرة لمن مات كافراً يستلزم تكذيب النص القاطع، وهو كفر، ولو دعا لكافر حي بأن يقول: اللهم اهده للإيمان، اللهم اجعله مسلماً، ونحو ذلك، يجوز له ذلك" وتفصيل ذلك في (تبيين المحارم) (٤). وفي (تفسير أبي السعود رَحِمَهُ اللَّهُ): "قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ لَا يُجِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، أي: لا يجب دعاء المجاوزين لما أمروا به في كل شيء، فيدخل

(١) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٣٠).

(٢) تفسير أبي المظفر السمعاني (١٨٩/٢).

(٣) روح المعاني (٣٧٩/٤).

(٤) انظر: تحقيقنا ل: (تبيين المحارم)، لسان الدين يوسف بن عبد الله الأماصي، باب: (التعدي في الدعاء).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

فيه: (الاعتداء في الدعاء) دخولاً أولياً. وقد نبّه به على أن الداعي يجب أن لا يطلب ما لا يليق به، كرتبة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصعود إلى السماء. وقيل: هو الصياح في الدعاء، والإسهاب فيه^(١).

وفي الحديث: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء».

وفي رواية: عن أبي العلاء، قال: سمع عبد الله بن المغفل ابناً له، وهو يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، قال: يا بني، إذا سألت، فاسأل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يكون في آخر الزمان قوم يعتدون في الدعاء والطهور»^(٢).

قال الثوري شتّي رَحِمَهُ اللَّهُ في (شرح المصابيح): "أنكر الصحابي على ابنه في هذه المسألة؛ لأنه طمع ما لم يبلغه عملاً وحالاً، حيث سأل منازل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأولياء، وجعلها من باب: (الاعتداء في الدعاء)؛ لما فيها من التجاوز عن حدِّ الأدب، ونظر الداعي إلى نفسه بعين للكمال"^(٣).

(١) تفسير أبي السعود (٢٣٣/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٢٩٤١١]، وأحمد [١٦٨٠١]، وابن ماجه [٣٨٦٤]، وأبو داود [٩٦]، والرويانى [٨٩٧]، وابن حبان [٦٧٦٤]، والطبرانى في (الدعاء) [٥٩]، والحاكم [٥٧٩]، والبيهقى في (السنن) [٩٤٧]، من حديث: عبد الله بن مغفل.

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة، للثوري شتّي (١٤٨/١)، وانظر: فيض القدير (١٣٠/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي تيسر لأبوري

وأما (التعدي في الطهور): فهو أن يغسل الأعضاء أكثر من ثلاث مرّات، أو أسرف في إراقة الماء في الاستنجاء والوضوء والغسل^(١).
وذهب بعضهم إلى أن رفع الصوت بالدعاء لا بأس به، ودعاء المعتدين الذي لا يحبه الله عزّ وجلّ هو: طلب ما لا يليق بالداعي، كرتبة الأنبياء عليهم السلام، والصعود إلى السماء.

قال الألوسي رحمه الله: "وفصل آخرون فقالوا: الإخفاء أفضل عند خوف الرياء، والإظهار أفضل عند عدم خوفه، وأولى منه: القول بتقديم الإخفاء على الجهر فيما إذا خيف الرياء أو كان في الجهر تشويش على نحو مصل، أو نائم، أو قارئ، أو مشغل بعلم شرعي، وتقديم الجهر على الإخفاء فيما إذا خلا عن ذلك، وكان فيه قصد تعليم جاهل، أو نحو إزالة وحشة عن مستوحش، أو طرد نحو: نعاس أو كسل عن الداعي نفسه، أو إدخال سرور على قلب مؤمن، أو تنفير مبتدع عن بدعة، أو نحو ذلك، ومنه: الجهر بالترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، والدعاء لإمام المسلمين في الخطبة. وقد سنّ الشافعية الجهر بآمين بعد الفاتحة، وهو دعاء، ويجهر بها الإمام والمأموم عندهم.

وفرق بعضهم بين رفع الصوت جدًّا، كما يفعله المؤذنون في الدعاء بالفرج على المآذن، وبين رفعه بحيث يسمعه من عنده، فقال: لا بأس في الثاني غالبًا ولا كذلك الأول. والظاهر أن المراد بالمعتدين: المجاوزون ما أمروا به في كل شيء، ويدخل فيها: المعتدون في الدعاء دخولًا أوليًا - كما تقدم - وقد اختلف العلماء في كفر من دعا

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (١/٤٠٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي سأل بوري

على آخر بسلب الإيمان، أو الموت كافراً، وهو من أعظم أنواع الاعتداء، والمفتي به: عدم الكفر" (١).

وفي (تبيين المحارم): "اختلف العلماء في الدعاء، الإخفاء أفضل فيه أم العلانية؟ ذهب كثيرون (٢) إلى أن الدعاء خفية أفضل.

وقيل: العلانية أفضل؛ لترغيب الغير في الاقتداء به.

وقيل: إن خاف على نفسه الرياء فالإخفاء أفضل، وإلا فالعلانية أفضل.

وقيل: إن كان معه جماعة حاضرين بعضهم وقع أبعد منه بحيث لا يرونه يدعو

فالعلانية أفضل، يسمعون دعاءه، فيؤمنون وإلا فالإخفاء أفضل، والأكثر على أن

الإخفاء أفضل في الدعاء والذكر، مع أن أكثر المفسرين في هذه الآية قالوا: قيل: المراد

بالاعتداء: رفع الصوت، والنداء، والصياح.

واعلم أن رفع الصوت في الدعاء، وقراءة القرآن، إنما يجوز إذا لم يكن هناك موانع،

فأما إذا كان موانع، بأن يشوش على المصلين، والذاكرين، والطائفين، والمتفكرين،

والمشغولين بأورادهم، والمدرسين العلم، فكل من كان في عبادة فإن رفع الصوت بهذه

الأمور في هذه المواضع منهي عنه عند الأئمة الأربعة" اهـ.

(١) روح المعاني (٤/٣٧٩).

(٢) في نسخة: "الأكثر".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وفي الحديث: عن فروة بن عمرو البياضي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن»^(١).

وقد ورد أن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من يدخر لنفسه عبادات في السر، يخلصون فيها لله عز وجل، ويدخرونها ليوم المعاد، كبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد دلَّ على ذلك: ما جاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء، امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائها جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار؟^(٢). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند صلاة الفجر: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دَفَّ نَعْلَيْكَ بين يدي في الجنة»، قال: ما عملت عملاً أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا، في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي. قال أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَفَّ نَعْلَيْكَ»، يعني: تحريك^(٣).

(١) أخرجه مالك في (الموطأ) [٢٦٤]، وأحمد [١٩٠٢٢] قال الهيثمي: (٢/٢٦٥): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وأخرجه أيضًا: النسائي في (الكبرى) [٣٣٥٠]، والبيهقي في (السنن) [٤٧٠٤]، وانظر: نتائج الأفكار، لابن حجر (١٧/٢).

(٢) صحيح البخاري [٣٦٧٩]، مسلم [٢٤٥٧].

(٣) صحيح البخاري [١١٤٩]، مسلم [٢٤٥٨]. وعند مسلم: «فإني سمعت الليلة خَشَفَ نَعْلَيْكَ» الحديث.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وقال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه أن الله عَزَّجَلَّ يعظم المجازاة على ما يسره العبد من عمله^(١). وجاء في (مقاصد الرعاية) في (تفضيل عمل السر على عمل العلانية): "اختلف العلماء في ذلك:

فقلت فرقة: عمل السرِّ أفضل من عمل العلانية؛ للقدوة، وغير القدوة. وعمل العلانية للقدوة أفضل من عمل العلانية لغير القدوة. والفرق بينهما أنه في إظهار عمل السر لا يأمن الرياء، فيمكنه أن يحفظ عمله عن الرياء بإسارته وإخفائه، وحفظ إخلاص العمل أولى من المخاطرة به. وأما عمل العلانية فلا يقدر على التحرز فيه من الرياء. وقالت طائفة: عمل السر أفضل من عمل العلانية لغير القدوة، وعمل العلانية للقدوة أفضل من عمل السرِّ؛ لأن من تسبب إلى خير أو سن سنة حسنة أجر على ذلك أجرين، أو أجورًا كثيرة على عدد المقتدين به، ورؤي: «إن الرجل ليعمل العمل، فيكتب له عمل صالح معمول به في السرِّ يُضَعَّفُ أجره سبعين ضعفًا»^(٢).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/٣٤)، وانظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/١٤٣)، عمدة القاري (٢٠٧/٧)، نيل الأوطار (٣/٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٦٣٩٤]: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وضعفه فقال: "هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين". قال الحافظ العراقي: "حديث: (تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين) ضعفه البيهقي في الشعب من حديث: أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الرجل ليعمل العمل، فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضاعف أجره سبعين ضعفًا»، قال البيهقي هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب: (الإخلاص) من حديث: =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وعمل السر: ما شرع إساراه من أول أمره، كالنوافل، والأذكار.
وعمل العلانية: ما شرعت العلانية في أول أمره، أو ما لا يتأتى عمله إلا في العلانية، كعبادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وحضور الأعياد.
فالإسار بأعمال السر أولى، إلا رجاء الاقتداء لمن يأمن الرياء، وعمل العلانية مع مجاهدة النفس من خطرات الرياء أولى من تركه مخافة الرياء..^(١)
والأولى بالعبد - كما تقرر - أن تكون له خبيئة من عمل صالح يدخرها، مضافة إلى أعماله الظاهرة المطلوبة، وهذه الخبيئة لها أثر ونفع من أكثر من جهة، كالسلامة من الرياء - كما تقرر -، والتعود على الإخلاص في سائر الأحوال من غير التفات على الناس.

=عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسند ضعيف: «يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين درجة» المغني عن حمل الأسفار (ص: ١٢٠٤). وحديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -الأنف الذكر- أخرجه أبو يعلى [٤٧٣٨]، بسند ضعيف، والبيهقي في (شعب الإيمان) من طريق: ابن أبي الدنيا [٥٥١]، وقال: "تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف" وانظر: مجمع الزوائد (٨١/١٠).
(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي (ص: ١٠١-١٠٢)، بتصرف يسير، الرعاية لحقوق الله، لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ص: ٢٦٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الذَّيْنَبِيُّ أَبُو رِيٍّ

[ومن سورة الكهف]

ض ن

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ». وفي رواية: «مَنْ آخِرِ الْكَهْفِ»^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (صلاة المسافرين وقصرها)، باب: باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث في كتاب: (الصلاة)، باب: فضل سورة الكهف، وتنزل السكينة عند قراءتها باعتبار ترتيبه، وأعاد ذكره في كتاب: (التفسير)، وأشار في (المفهم) إلى تقدمه، ولم يشر إلى ذلك في (تلخيصه).

(١) صحيح مسلم (٢٥٧) [٨٠٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحجاج بن يوسف الثقفي الذي سبأوري

وقد رتبنا الأحاديث في سورة الكهف وغيرها بما يتوافق مع ترتيب السور، وقدمت حديث: أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لدلالته على فضل ومكانة السورة، ولا يتصل الحديث بتفسير الآيات، وتختلف الرواية فيه بين من حفظ عشرًا من أول السورة أو آخرها، وكان الأولى أن يذكر في (الفضائل). حيث ذكر أبواب فضائل القرآن وما يتعلق بها، وإلا فكان ينبغي أن ينقل أحاديث فضائل السور الأخرى إلى كتاب: (التفسير) كما نقل هذا.

وإنما ذكرت الحديث؛ للتنبيه على ذلك، ولأجل استقصاء ما جاء في كتاب: (التفسير) باعتبار القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، مع ذكره لما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ. ولكن مع إعادة النظر في الترتيب والإضافة كما بينت ذلك في غير موضع.

والحديث فيه مسائل:

المسألة الأولى: سبب إيراد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ للحديث في كتاب: (التفسير):
سبب إيراد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ للحديث في كتاب: (التفسير) مع تقدم ذكره له في كتاب: (الصلاة)، لبيان فضل ومكانة سورة الكهف، وأثرها؛ فهي تعصم من فتنة الدجال، وتنزل السكينة عند قراءتها، كما جاء في حديث: البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصانٌ مُرَبُوطٌ بِشَظَينِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

له فقال: «تلك السكينة تنزلت بالقرآن»^(١). ولكن مع ذلك يقال: كان الأولى أن يذكر في (أبواب فضائل القرآن وما يتعلق بها)؛ لما تقدم ذكره.

المسألة الثانية: بيان المراد من الحديث:

يدل الحديث على فضل سورة الكهف وأنها تعصم من فتنة الدجال.
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَأَمْرُ حَاجِبِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بَعْدَ الْعَزَّى بْنِ قَطْنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ» الحديث^(٢).
قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» أي: لما في قصة أصحاب الكهف من العجب والآيات، فمن علمهما لا يستغرب أمر الدجال، ولا فتن به، أو يكون هذا من خصائص الله عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ حَفِظَ ذَلِكَ، فقد روي: «مَنْ حَفِظَ سُورَةَ الْكَهْفِ ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَالَ لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِ»^(٣)، وعلى هذا تنزل الرواية الأخرى: «مَنْ آخَرَ سُورَةَ الْكَهْفِ»، وقيل:

(١) صحيح البخاري [٥٠١١]، مسلم [٧٩٥]، وقوله: «بشطين» تثنية شطن، وهو الحبل.

(٢) صحيح مسلم [٢٩٣٧].

(٣) وفي رواية: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَرُفِعَ لَهُ نُورٌ مِنْ حَيْثُ يَقْرَأُهَا إِلَى مَكَّةَ»، وقد روي مرفوعاً، والأصح وقفه على أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونصه عند الحاكم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أَنْزَلَتْ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الدَّجَالِ لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِ»، أو: «لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ». وقد أخرجه عبد الرزاق في (مصنفه) =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو روي

لما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ
أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] وما بعدها من التنبيه على أمر الدجال، والتنبيه على المفتونين
والأخسرين أعمالاً، وفي آخر الآيات من ذكر التوحيد، وأن لا يشرك بالله أحداً^(١).
وقيل: لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]، تمسكاً
بتخصيص البأس بالشدة والدنيّة، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الإلهية،
واستيلائه، وعظيم فتنته؛ ولذلك عظم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره، وحذر منه، وتعوذ من
فتنته. قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيكون معنى هذا الحديث: أن من قرأ هذه الآيات
وتدبرها، ووقف على معناها؛ حذر، فأمن من ذلك.

وقيل: هذا من خصائص هذه السورة كلها، فقد روي: «من حفظ سورة
الكهف، ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه». وعلى هذا تجتمع رواية من روى: من أول
سورة الكهف، ورواية من روى: من آخرها، ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج
في حفظها كلها.

وقيل: إنما كان ذلك لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]؛
فإنه يهون بأس الدجال، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَبُشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

[٧٣٠]، ونعيم بن حماد في (الفتن) [١٥٧٩]، والنسائي في (الكبرى) [١٠٧٢٤]، والحاكم

[٨٥٦٢]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان)

[٢٧٧٦].

(١) إكمال المعلم، للقاضي عياض (١٧٧/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ [الكهف: ٢]؛ فإنه يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من جنته وناره، وتنعيمه وتعذيبه، ثم ذمّه - تعالى - لمن اعتقد الولد؛ يفهم منه: أن من ادعى الإلهية أولى بالذم، وهو الدجال، ثم قصة أصحاب الكهف فيها عبرة تناسب العصمة من الفتن، وذلك أن الله عَزَّجَلَّ حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأصلحت لهم، وهذا تعليم لكل مدعو إلى الشرك. ومن روى: من آخر الكهف؛ فلما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]؛ فإن فيه ما يهون ما يظهره الدجال من ناره.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١] تنبيه على أحوال تابعي الدجال؛ إذ قد عموا عن ظهور الآيات التي تكذبه - والله أعلم - .
والكهف: المغار الواسع في الجبل، والصغير منها يسمى الغار ^(١).
ولا يخفى أن قول صاحب المفهم رَحِمَهُ اللَّهُ هو القول المفهم والمبين لسبب العصمة من الدجال لمن حافظ على قراءة سورة الكهف، ووقف على معناها.
قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويمكن أن يقال: إن أولئك الفتية كما عصموا من ذلك الجبار، كذلك يعصم الله عَزَّجَلَّ القارئ من الجبارين. اللهم اعصمنا منهم وبدد شملهم" - آمين - ^(٢).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٤٣٩-٤٤٠).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٥/١٦٤٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

واللام في الدجال للعهد، وهو الذي يخرج في آخر الزمان ويدعي الألوهية لخوارق تظهر على يديه كقوله: للسماء أمطري فتمطر لوقتها وللأرض انبتي فتنبت لوقتها زيادة في الفتنة، ولذلك لم توجد فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنته. أو للجنس؛ فإن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبيس، ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله» (١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم» (٢).

(١) صحيح البخاري [٣٦٠٩، ٧١٢١]، مسلم [١٥٧].

(٢) صحيح مسلم [٧].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي تيسر لأبي

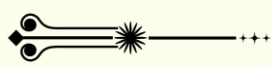
ض ن

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبُ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فُسِّلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقال: أَنَا أَعْلَمُ، قال: فَعَتَبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكَتَلٍ، فحيثُ تَفْقَدُ الْحُوتَ فَهُوَ تَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشِعُ بُنْ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُوتًا فِي مِكَتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكَتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكَتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قال: وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْهُ جَرِيَّةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿عَاثَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، قال: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

الْحُوتَ وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ [الكهف: ٦٣]،
قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قال:
يَقْصَانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّى بَارِضِكَ السَّلَامُ؟ قال: أَنَا مُوسَى، قال:
مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قال: نَعَمْ، قال: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، قال له مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ
أَتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [٦٥] قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا
﴿٦٩﴾ [الكهف: ٦٦-٦٩]، قال له الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، قال: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُم أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا
الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ
فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا
﴿لَتُغْرِقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [٧١] قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧١-٧٣]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ،
فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [٧٤] * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ [الكهف: ٧٤-٧٥]



الشرح التحفيلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ

مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّسَابُورِيُّ



٧٥]، قال: وهذه أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۖ﴾ (٧٦) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿[الكهف: ٧٦-٧٧]، يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّقُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ (٧٧) ﴿[الكهف: ٧٧]، قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ﴾ (٧٨) ﴿[الكهف: ٧٨]»، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقْصَ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، قال: وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، قال: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ»، قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا» (١).

* حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التِّيمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: أَسَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ^(٢).

(۱) صحیح مسلم (۱۷۰) [۲۳۸۰].

(۲) صحیح مسلم (۱۷۱) [۲۳۸۰].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ أَبُو رِيٍّ

* حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَيَّامِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ، إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمَ مِنِّي، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ، إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ، أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ، إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَدَلَّنِي عَلَيْهِ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ: تَزَوَّدْ خُوتًا مَالِحًا، فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقَدُ الْخُوتَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَعَمِيَ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْخُوتُ فِي الْمَاءِ، فَجَعَلَ لَا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِ، صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ، قَالَ فَقَالَ فَتَاهُ: أَلَا الْحَقُّ نَبِيَّ اللَّهِ فَأُخْبِرُهُ؟ قَالَ: فَتُسِّي، فَلَمَّا تَجَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا، قَالَ: فَتَذَكَّرَ، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ عَآثَرِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٣-٦٤]، فَأَرَاهُ مَكَانَ الْخُوتِ، قَالَ: هَا هُنَا وَصِفَ لِي، قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسَجًى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا، أَوْ قَالَ: عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا. قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، قَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى؟ قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِنُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨]، شَيْءٌ أَمَرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴿٧١﴾ [الكهف: ٦٩-٧١]، قَالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا، قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٤﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا ﴿٧٥﴾ [الكهف: ٧١-٧٤] غُلَمَانًا يَلْعَبُونَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَدَعَرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: ٧٤]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذِمَامَةً، ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: ٧٦]، وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ» - قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا -.

﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴿٧٧﴾ لِنَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَ: ﴿أَسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴿٨٠﴾ [الكهف: ٧٧-٧٨]، وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، قَالَ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨١﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٧٨-٧٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسْحَرُهَا وَجَدَهَا مُنْحَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ، وَأَمَّا الْعُلَامُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُعْيَانًا وَكُفْرًا، ﴿فَارْدَنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٣﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ ﴿٨٤﴾ [الكهف: ٨١-٨٢]﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

* وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، كِلَاهُمَا، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِإِسْنَادِ التَّيَمِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، نَحْوَ حَدِيثِهِ (١).

* وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَرَأَ: ﴿لَتَّخَذَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ [الكهف: ٧٧] (٢).

* حَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ تَمَارَى، هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ الْحَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أُبَيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بَلْ عَبْدُنَا الْحَضِرُ قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ،

(١) صحيح مسلم (١٧٢) [٢٣٨٠].

(٢) صحيح مسلم (١٧٣) [٢٣٨٠].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَوْرِيِّ

ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، فَقَالَ فَقَى مُوسَى، حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ: ﴿أَرَعَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، فَوَجَدَا خَضِرًا. فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، إِلَّا أَنَّ يُونُسَ قَالَ: فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ (١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (الفضائل)، باب: من فضائل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأشار إليه القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير)، ولم ينقله إليه، قال: "وقد تقدمت قصة موسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في كتاب الأنبياء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ"، وذلك باعتبار تبويبه لصحيح مسلم.

وقد ذكرت حديث: موسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في موضعه؛ لصلته الوثيقة بتفسير الآيات. وكان الأولى بالقرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ ينقل الحديث إلى كتاب: (التفسير)؛ اتباعاً لطريقته في ترتيب كتاب: (التفسير) في الغالب منه، ولصلة الحديث الوثيقة بتفسير

(١) صحيح مسلم (١٧٤) [٢٣٨٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نسيب السليمي

الآيات - كما هو بين -، ولأجل ذلك ذكره الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير) في أكثر من موضع.

وهاك مواضع تخريج الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ للحديث:
أخرج البخاري الحديث في كتاب: (العلم)، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل:
أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله عَزَّجَلَّ^(١).
وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا
حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]^(٢).
وباب: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢-٦٣]^(٣).
وحديث: ابن شهاب، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عن عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ تَمَارَى، هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. الحديث. أخرجه أيضًا البخاري^(٤).

(١) صحيح البخاري [١٢٢].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٢٦].

(٣) صحيح البخاري [٤٧٢٧].

(٤) صحيح البخاري [٧٤، ٧٨، ٣٤٠٠، ٧٤٧٨]، مسلم (١٧٤) [٢٣٨٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن يوسف بن ميمون القشيري النيسابوري

شرح الحديث:

*قوله: «إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ» قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لم يختلف في أن «نَوْفًا» هو بفتح النون، وإسكان الواو وفتح الفاء منوَّنة، وأما «الْبِكَالِيَّ»: فروايتي فيه بكسر الباء، وفتح الكاف وتخفيفها على كل من قرأته عليه في البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وهي المعروفة.

وبِكال: بطن من حمير، وقيل: من همدان، وإليهم ينسب نوف هذا، وهو نوف بن فضالة على ما قاله ابن دريد ^(١) وغيره. يكنى بأبي زيد، وكان عالماً فاضلاً، وإماماً لأهل دمشق، وقيل: هو ابن امرأة كعب الأحمار، وقيل: ابن أخته ^(٢). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهو تابعي صدوق" ^(٣).

*قوله: «كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ» هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله - كما قاله القاضي والقرطبي رَحِمَهُمَا اللَّهُ - ^(٤)، لا أنه يعتقد أنه عدو الله عزَّجَلَّ حقيقة، وإنما قاله

(١) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (٣٧٦/١)، (٩٧٢/٢). وفي (تخذيب الكمال) (٦٥/٣٠): "نوف بن فضالة الحميري البكالي، أبو يزيد، ويقال: أبو الرشيد، ويقال: أبو رشدين، ويقال: أبو عمرو، الشامي من أهل دمشق، ويقال: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحمار. روى عن: ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعلي بن أبي طالب، وكعب الأحمار، وأبي أيوب الأنصاري... وله ذكر في (الصحيحين) في حديث: سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب حديث موسى والخضر".

(٢) انظر: المفهم (١٩٣/٦)، وانظر: شرح النووي (١٣٦/١٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٤١٣/٨).

(٤) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣٦٤/٧)، المفهم (١٩٣/٦)، عمدة القاري (١٩٣/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي يابوري

مبالغة في إنكار قوله؛ لمخالفته قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ، ولا تتراد بها حقائقها قاله الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

والصحيح ما قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على ما حكاه في الحديث من أن صاحب الخضر: موسى عَلَيْهِمَا السَّلَام، نبي بني إسرائيل، لا غيره.

*قوله: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ» قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "مساق هذه الرواية هو أكمل ما سيق الحديث عليه فلنبحث فيه، وظاهر هذا اللفظ: أن الذي عتب الله عَزَّجَلَّ على موسى عَلَيْهِ السَّلَام إنما هو أن قال: «أنا أعلم»، فأضاف الأعلمية إليه، ولم يقل: الله أعلم بمن هو أعلم الناس، فيفوّض ذلك إلى الله عَزَّجَلَّ. قال: فكان الأولى بموسى عَلَيْهِ السَّلَام أن يقول: الله أعلم بمن هو أعلم الناس، لكن لما لم يعلم في زمانه رسولاً آتاه الله عَزَّجَلَّ كتاباً فيه: علم كل شيء، وتفصيل الأحكام سواء، قال ذلك حسب ما كان في علمه. لكن الله عَزَّجَلَّ لم يرض منه بذلك؛ لكمال معرفته بالله جَلَّ وَعَلَا، ولعلوّ منصبه. وفي بعض طرق البخاري: أن السائل قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَام: «هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله عَزَّجَلَّ»^(٢).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٦/١٥).

(٢) صحيح البخاري [٤٧٢٦].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذان اللفطان هما اللذان يتوجَّه العتب على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيهما، وقد روي بألفاظ آخر، يبعد توجُّه العتب عليها..^(١)

قال الإمام المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقع في بعض الأحاديث: «هل تَعْلَمُ أحدًا أَعْلَمَ منك؟»^(٢)، فعلى هذا لا يكون عليه عتب؛ إذ حكى عَمَّا يَعْلَمُ.

وأما على رواية: «أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقال: أنا أعلم»^(٣)، والنبي لا يقع منه الكذب. وقد أوحى الله عَزَّجَلَّ إليه أَنَّ عَبْدًا من عباده أعلم منه، فيكون المحمل: أنا أعلم فيما يظهر إلي، ويقتضيه شاهد الحال، ودلالة نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّه كان من النبوة بالمكان الرفيع، والعلم من أعظم المراتب فقد يعتقد أنه أعلم النَّاسِ لهذه الجهة. وإذا كان قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أنا أعلم» مراد به في اعتقادي لم يكن خبره به كذبًا.

وقال الإمام المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقوله: «عتب الله عليه» يشبه أن يراد به: أنه لم يَرْضَ قوله شرعًا ودينًا، وأما العتب بمعنى: المَوْجِدَةُ^(٤) وتغير النَّفس فلا يجوز على الله عَزَّجَلَّ"^(٥).

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٩٤/٦).

(٢) صحيح البخاري [٧٤، ٣٤٠٠، ٧٤٧٨]، مسلم (١٧٤) [٢٣٨٠].

(٣) صحيح البخاري [١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧]، مسلم (١٧٠) [٢٣٨٠].

(٤) تقول: "عَتَبْتُ على فلانٍ عَتْبًا وَمَعْتَبَةً، أي: وَجَدْتُ عَلَيْهِ" انظر: العين (٧٦/٢).

(٥) الْمُعْلَمُ بفوائد مسلم (٢٣٨/٣)، وانظر: إكمال المعلم (٣٦٤/٧-٣٦٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

وهذا معنى قول القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى: «يعتب الله عليه» أي: أخذه به وعنفه عليه. وأصل العتب: المؤاخظة..^(١)؛ فإن الله عَزَّجَلَّ منزَّهٌ عن الأعراض النفسية. ونحوه قول المفسرين: إن المراد من مقت الله عَزَّجَلَّ لازمه، وهو أشد العقوبة والخسارة. قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: "روى عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أعجب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعلمه فعاقبه الله عَزَّجَلَّ بما لقي مع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ينبغي أن يقول: الله أعلم أي الناس أعلم؛ لأنه لم يحط علماً بكل عالم في الدنيا، وقد قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]. وسئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الروح وغيره، فقال: لا أدري حتى أسأل الله عَزَّجَلَّ، وقد قال عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فيجب على من سئل عما لا يعلم، أن يقول: لا أعلم. وقد قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: جنة العالم لا أدري، فإذا أخطأها أصيبت مَقَاتِلُهُ^(٢). قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي وَأَحَدُكُمْ الْيَوْمَ يَأْتِي أَنْ يَقُولَ لَا أَدْرِي. وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري، حتى يكون أصلاً في أيديهم"^(٣).

(١) إكمال المعلم (٣٦٦/٧).

(٢) انظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (ص: ٣٧)، المقدمات المهمات، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٣/ ٤٨٥)، تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٦٣/٨)، سير أعلام النبلاء (٧٧/٨)، الذخيرة، للقرافي (٥١/١).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٩٨/١)، وانظر: التمهيد، لابن عبد البر (٧٣/١)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (ص: ٣٨)، سير أعلام النبلاء (٧٧/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وعن الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «لَا أَذْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ» ^(١).
وقال إسحاق: قال يَحْيَى بْنُ آدَمَ: ذُكِرَ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لَا أَذْرِي،
نِصْفُ الْعِلْمِ، قَالَ: فَلْيُثَلِّ مَرَّتَيْنِ: لَا أَذْرِي، حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعِلْمَ ^(٢).
وقال ابْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ: إِنِّي أَعْلَمُ» ^(٣).
وقال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: صح عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا
أَذْرِي نِصْفَ الْعِلْمِ» ^(٤).

*قوله: «أَحْمِلْ حُوتًا»: (الحوت): السمكة، والجمع: الحيتان - كما في
(الصحيح) ^(٥). قال في (المختار): "ويؤيد كونه مطلق السمكة قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَسِيَا
حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، والمنقول في الحديث الصحيح: أنها كانت سمكة في مکتل. وما
ظنك بزودة اثنين خصوصاً موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصاحبه؟! وأدل من هذا قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وأما قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ﴾ [الصافات: ١٤٢] فإنه يدل

(١) أخرجه الدارمي [١٨٦]، وانظر: المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي [٨١٠] (ص: ٤٣٥)، إعلام الموقعين،
لابن القيم (١٢٨/٢)، إحياء علوم الدين (٦٩/١)، سير أعلام النبلاء (٣١٨/٤).
(٢) تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي [٤٤١] (٤٣٥/١)، تاريخ بغداد، للخطيب
البغدادى (٥٣٠/١٥).
(٣) المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي [٨١١] (ص: ٤٣٥)، إعلام الموقعين، لابن القيم (١٢٨/٢)، الآداب
الشرعية، لابن مفلح (٦١/٢).
(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (ص: ٣٨)، وانظر: المقدمات الممهدة، لأبي
الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٤٨٥/٣)، سير أعلام النبلاء (٧٧/٨).
(٥) (الصحيح، للجوهري، مادة: (حوت) (٢٤٧/١)).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

على صحة إطلاق الحوت على السمكة الكبيرة لا على حصر مسمى الحوت فيها كما يظنه العامة. وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الحوت العظيم من السمك، وهو مذكر^(١). وقال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: "الحوت: العظيم من السمك. ويقال: نون، ونينان للجميع"^(٢).

وقيل: كانت سمكة مملوحة، وكانت آية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الموضع الذي يلقي فيه الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٠] هو يوشع ابن نون. وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه. وقيل: كان يأخذ منه العلم. والفتى: الذكر الشاب، والأنثى فتاة، وهو مستعمل مجازاً في التابع والخادم.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، أي: لا أبرح أسير، فحذف خبر ﴿لَا أَبْرَحُ﴾؛ اختصاراً؛ لدلالة المعنى عليه، ومعنى: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قالها على سفر لا يريد إقامة. ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠]، و﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠]: المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهو ملتقى بحري: فارس والروم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق. وقيل: هو عند طنجة، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس.

(١) مختار الصحاح (ص: ٨٣)، وانظر: مقاييس اللغة، مادة: (حَوْتُ) (١١٤/٢).

(٢) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٣٩٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ البُورِي

﴿أَوْ أَمْضَى حُقْبًا ۖ﴾ [الكهف: ٦٠] أي: زمانًا طويلًا، والحقب: بضم القاف وإسكانها: ثمانون سنة، وقيل: زمان غير محدود. وقيل: هي جمع: حقبة، وهي السنة. وقد فصلت القول في بيان مادة: (حقب) وما يتصل بها من المعاني في كتاب: (الزَّمان والهداية والاعتبار في قصص القرآن والأحاديث والأخبار) ^(١).

وقوله جَلَّوَعًا: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، الضمير في ﴿بَيْنَهُمَا﴾ للبحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، أي: تركا، وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أضلاه. نسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم. قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومثله في الكلام أن تقول: (عندي دابتان أركبهما، وأستقي عليهما)، وإنما تركب إحداهما، وتستقي على الأخرى، وهذا من سعة العربية التي يحتاج بسعتها في الكلام" ^(٢).

وقيل: كان النسيان من يوشع، فقد نسي أن يحمل الحوت، ونسي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأمره فيه بشيء، فصار كل واحد منهما ناسيًا لغير ما نسيه الآخر. حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما، فناما، فانسل الحوت من المكنل ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، أي: أحيا الله عزَّجَلَّ السمكة حتى سربت في البحر، ويعني بالسرب:

(١) انظر: الزَّمان والهداية والاعتبار في قصص القرآن والأحاديث والأخبار، للدكتور عبد القادر محمد المعتصم

دهمان (ص: ٤٠١-٤٠٥).

(٢) تفسير الطبري (٥٧٢/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

المسلك والمذهب، يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه. قال أبو عبيدة رَحِمَهُ اللهُ: "سَرَبًا ﴿٦١﴾ [الكهف: ٦١] أي: مسلکًا ومذهبًا، أي: يسرب فيه" (١).

* وقوله في الحديث: *قوله: «في مِكتَلٍ» المِكتَل، بكسر الميم: الزنبيل، وهي القفة. قال ابن وهب رَحِمَهُ اللهُ: المِكتَل يسع من خمسة عشر صاعًا إلى عشرين (٢).

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللهُ: "المِكتَل: شبه الزنبيل، يسع خمسة عشر صاعًا" (٣).

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ عَاتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

﴿٦٢﴾ [الكهف: ٦٢]، أي: جاوزا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها سار الحوت في البحر، بينما كان موسى عَلَيْهِ السَّلَام نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمانة لقائه بالخضر عَلَيْهِ السَّلَام، فلما استيقظ موسى عَلَيْهِ السَّلَام أصابه الجوع فقال لفته: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ [الكهف: ٦٢]، أي: عناءً وتعبًا. والغداء: الطعام الذي يؤكل أول النهار، مشتق من كلمة: الغدوة؛ لأنه يؤكل في وقت الغدوة، وضده العشاء، وهو طعام العشي.

فقال فتى موسى لموسى حين قال له: ﴿عَاتَيْنَا غَدَاءَنَا﴾؛ لنطعم، وكانت السمكة من عُدَّةِ غدائهما: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣] في ذلك الموضع، ﴿وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، أي: وما أنساني الحوت إلا

(١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٤٠٩/١)، وانظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦٩).

(٢) انظر: انظر: العين، مادة: (كتل) (٣٣٨/٥)، إكمال المعلم (٣٧٠/٧)، مشارق الأنوار (٣٣٥/١).

(٣) الصحاح، للجوهري، مادة: (كتل) (١٨٠٩/٥).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّيْنِ ابْنِ أَبِي

الشیطان. فقولہ جَلَّوَعَلَا: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] ف: ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب ردًّا على الحوت؛ لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان. قال أبو إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "كسر الهاء وضمها جائزان في ﴿أَنْسَيْنِي﴾، و﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الهاء؛ لاشتغال الذكر على الهاء في المعنى، والمعنى: وما أنساني أن أذكره إلا الشيطان" (١).

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، أي: لما انسل الحوت من المكمل وانسرب في البحر كان ذلك الفعل من العجائب. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] منصوب على وجهين: أن يكون هذا يوشع: واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس. ويجوز أن يكون قال يوشع: اتخذ الحوت سبيله في البحر، فأجابه موسى فقال: ﴿عَجَبًا﴾، كأنه قال: أعجب عجبًا.

وبناء على ما تقدم فإن ﴿عَجَبًا﴾ مفعول به ثان لاتخذ، مثل: ﴿سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٦٣] هو المفعول الثاني، أي: قال موسى: عجبت عجبًا

ثم قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ [الكهف: ٦٤] أي: إن فقد الحوت هو ما كنا نطلب؛ لأنه أمانة على وجدان الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/٣٠٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

﴿٦٤﴾ [الكهف: ٦٤] أي: رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول؛ لئلا يخرجنا عن الطريق، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] يعني: النبوة على قول من قال: إن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيٌّ. وقيل: إنه ليس بنبيٍّ ولكنه وليٌّ، وتظهر نبوته من هذه القصة، حيث إنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي، واختلف أيضًا هل مات أو هو حيٌّ إلى الآن؟

* وقوله في الحديث: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾» [الكهف: ٦٤]، قال: يُقْصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّىٰ أَتَيَا الصَّخْرَةَ» أي: آثار سيرهما حتى انتهيا إلى الصخرة.

«فَرَأَىٰ رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ» المسجى: المغطى. وفي رواية: «مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا»، أو قال: «على حَلَاوَةِ الْقَفَا»^(١). و«مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا» أي: مباشرًا بظهره وقفاه الأرض مستقبلًا بوجهه السماء كهيئة الميت.

* وقوله: أو «على حَلَاوَةِ الْقَفَا» شك من بعض الرواة. و«حَلَاوَةِ الْقَفَا» يعني بها -والله أعلم-: أن هذه الضجعة مما تستحلى، لأنها ضجعة استراحة، فكأنه قال: أو حلاوة ضجعة القفا، ويقال: بضم الحاء وفتحها، وحلاء بالضم والمد، وبه وبالقصر، وكأن هذه الضجعة من الخضر كانت بعد تعب عبادة. وآثر هذه الضجعة لما فيها من تردّد البصر في المخلوقات، ورؤية عجائب السماوات، فكأن الخضر في هذه الضجعة متفرغ عن الخليقة، مملوء بما لاح له من الحق والحقيقة، ولذلك لما سلّم عليه موسى -

(١) صحيح مسلم (١٧٢) [٢٣٨٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد بن الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

عليه السلام . كشف الثوب عن وجهه، وقال: وعليك السلام، من أنت؟ قاله القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

* وقوله: «فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟» معناه: من أين تعرف السلام بهذه الأرض التي أنت فيها؟!

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: "وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ذلك الموضع كان قفراً لم يكن به أحدٌ يصحبه، ولا أنيس فيكلمه. ويحتمل أن يكون أهل ذلك الموضع لا يعرفون السلام الذي سلم به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إما لأنهم ليسوا على دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإما لأنه ليس من كلامهم. و«أَنَّى» تأتي بمعنى: حيث، وكيف، وأين، ومتى. حكاها القاضي رَحْمَةُ اللَّهِ. وقال القاضي رَحْمَةُ اللَّهِ: وفي هذا من الفقه: تسليم الماشي والمجتاز على المقيم، والقاعد والمضطجع. قال: وهذا يدل أن السلام لم يكن عندهم معروفاً إلا في خاصة الأنبياء والأولياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أو كان موضع بلاد كفر وهم ممن لا يعرف السلام" (٢). ومساق هذه الرواية يدل: على أن اجتماع موسى بالخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كان في البرّ عند الصخرة، وهو ظاهر قوله: «حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بِثُوبٍ».

(١) المفهم (١٩٩/٦).

(٢) المفهم (١٩٩/٦)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣٧٢/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

* وقوله: «إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ» وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما: أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه كل واحد منهما، ولا يعلمه الآخر. وقيل: كان الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرف من علم الشرع ما لا غنى للمكلف عنه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعرف من علم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي.

وهذا يدل على أن العبد مهما حصَّل من العلم، وبلغ من الدرجات، فإنه فقير إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه ينقصه الكثير من العلم، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأن طالب الحق لا يفتأ يطلب العلم، ويأخذه عن أهله ما دام به نفس.

* وقوله: «قال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٦-٦٩]:

أي: قال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هل أتبعك على أن تعلمني شيئًا مما علمك الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون تقديره على أن تعلمني مما علمت علمًا.

وقيل: معناه على أن تعلمني مما علمت لإرشاد الله عَزَّوَجَلَّ لك.

وقيل: طلب منه تعليم الرشد الذي لا يعرفه ولم يطلب تعلم الغي؛ لأنه كان يعرفه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

و(الرُّشْد) بضم الراء وتسكين الشين. وقرأ بفتح الراء والشين ^(١). قال أبو إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: "الْفُعْلُ والفَعْلُ نحو: الرُّشْدُ والرَّشْدُ كثير في العربية نحو: البُحْلُ والبَحْلُ، والعُجْمُ والعَجْمُ، والعُرْبُ والعَرَبُ" ^(٢).

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٣٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا [الكهف: ٦٧-٦٨] أي: وكيف تصبر على ما ظاهره منكر، والأنبياء والصالحون لا يَصْبِرُونَ على ما يرونه منكراً.

ونصب ﴿خُبْرًا﴾ ^(٣٨) على المصدر؛ لكونه في معنى: الإحاطة، فهو مفعول مطلق لتحط في المعنى؛ لأن معنى: لم تحط به لم تَحْزِرْهُ خُبْرًا، قاله الزجاج رَحِمَهُ اللهُ. وأعرها الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ تمييزاً محولاً عن الفاعل، أي: لم يحط به خبرك ^(٣).

والحكم إنما على الظاهر من القول أو الفعل، وقد أمر الشارع بالعمل بالظاهر، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤].

وفي الحديث: عن أبي ظَبْيَانَ، عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وهذا حديث ابن أبي شيبه - قال: بعثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سَرِيَّةٍ، فَصَبَحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكَتْ

(١) قرأها أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين والآخرين: بضم الراء وسكون الشين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/٣٠١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠١ - ٣٠٢)، الكشاف (٢/٧٣٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسعود القشيري الذي سبأوري

رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوق في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟»، قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»، فما زال يكررها علي حتى تمتثت أني أسلمت يومئذ (١).

وفي (الصحيحين): عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي

(١) صحيح مسلم [٩٦]. قوله: «فصبحنا الحرقات» أي: أتيناها صباحاً. والحرقات موضع ببلاد جهينة. والتسمية بنحو عرفات وأذرعات في رائه الضم والفتح، والحاء مضمومة في الوجهين. قال القرطبي: "روينا بضم الراء وفتحها، وهو موضع معروف من بلاد جهينة، سمي بجمع المؤنث السالم كعرفات وأذرعات" المفهم (٢٩٦/١)، وقال ابن الجوزي: "الحرقه: اسم قبيلة من جهينة. وقوله: فصبحنا الحرقات إشارة إلى بطون تلك القبيلة. وفي هذا الحديث من العلم أن المشرك إذا أقر بالشهادتين حقن دمه. وإنما تأول أسامة رضي الله عنه قوله جل وعلا: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]. ولم ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألزمه دية ولا غيرها لمكان تأويله". كشف المشكل (٢٠/٤). وقال ابن بطلال: "وأما قتل أسامة الرجل؛ فإنه ظنه كافراً، وجعل ما سمع منه من الشهادة تعوداً من القتل، وأقل أحوال أسامة في ذلك أن يكون قد أخطأ في فعله؛ لأنه إنما قصد إلى قتل كافر عنده، ولم يكن عرف حكم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن أظهر الشهادة بلسانه أنها تحقن دمه، فسقط عنه القود، لأنه معذور بتأويله" شرح صحيح البخاري، لابن بطلال (٤٩٨/٨). وقوله: «أفلا شققت عن قلبه» معناه: إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان. وقال: أفلا شققت عن قلبه لتتظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب" شرح النووي (١٠٤/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنما أقطع له
قطعة من النار» ^(١).

وقوله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، أي:
وإن رأيت ما يخالفني.

وحين شرط الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألا يسأله عن شيء حتى يحدث
له منه ذكرًا، لم يكتب بذلك كتابًا، ولا أشهد شهودًا، وإنما يجب الإشهاد والكتاب في
الشروط التي يعم المسلمون نفعها، ويخاف أن يكون في انتقاضها والرجوع فيها خرم
وفساد، وكذلك ما كان في معناها مما يخص بعض الناس، واحتيج فيها إلى الكتاب
والإشهاد خوف ذلك..

قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه أن النسيان لا يعد ولا يؤخذ به.
وفيه دليل: أنه يجب الرفق بالعلماء، وألا يهجم عليهم بالسؤال عن معاني أقوالهم
في كل وقت إلا عند انبساط نفوسهم وانشراح صدورهم، لا سيما إذا شرط ذلك العالم
على المتعلم.

وفيه: أنه يجوز سؤال العالم عن معاني أفعال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقواله.
وفيه: تعلم الأدب والصبر في التعلم ^(٢).

(١) صحيح البخاري [٢٦٨٠، ٦٩٦٧، ٧١٦٨]، مسلم [١٧١٣].

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١١٦/٨-١١٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: "رجا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبراً، بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر. فوعده بالصبر معلّقاً بمشيئة الله عَزَّجَلَّ. علماً منه بشدّة الأمر وصعوبته، وإن الحميّة التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق. هذا مع علمه أن النبيّ المعصوم، الذي أمره الله عَزَّجَلَّ بالمسافرة إليه، واتباعه، واقتباسه العلم منه، بريء من أن يباشر ما فيه غميمة في الدين، وأنه لا بد، لما يستسمح ظاهره، من باطل حسن جميل. فكيف إذا لم يعلم؟" (١).

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، أي: إن أنكرته فلا تعجل بالسؤال إلى أن أبين لك الوجه فيه. وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع.

وقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ ساكنة اللام. وقرأ نافع رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿تَسْأَلْنِي﴾ مفتوحة اللام مشددة النون. وقرأ ابن عامر رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية: ﴿فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ بتحريك اللام من غير ياء، والنون مكسورة.

* وقوله في الحديث: «فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ»: أي: بغير أجرة.

(١) الكشاف (٢/٧٣٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

قال الإمام المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني: بغير جعل. والنَّوَل والنَّوَال: العطاء" (١).
وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "النَّوَل والنَّال: المنال، وأما النَّيْلُ والنَّوَال فإيهما العطاء ابتداءً
يقال: رجل نال: إذا كان كثير النَّوَال، ورجلان نالان، وقوم أنوال، كما قالوا رجلٌ مالٌ،
أي: كثير المال، وكبشٌ صافٌ: كثير الصُّوف. ويقال: ثلث الرجل أنوله نَوْلًا: [إذا نفعته،
وأنته حظًا]، ونلت الشيء أناله نَيْلًا" (٢).
وقال ابن السكيت رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقال: رجلٌ نال: كثير النَّوَال. ورجلان نالان، وقوم
أنوال. ورجل صاتٌ: شديد الصوت في معنى صَيَّت" (٣).
وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَنْظَلْنَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١].
﴿فَأَنْظَلْنَا﴾ على الساحل يطلبان السفينة، ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾،
أي: أخذ الخضر فأسًا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها.
﴿قَالَ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ﴾ فإن خرقها سبب لدخول
الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها.

(١) المُعَلِّم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله المازري (٢٣٦/٣).

(٢) غريب الحديث، لأبي سليمان الخطابي (١٨٩/١)، وانظر: جمهرة اللغة (١٢٧٥/٣)، الزاهر في معاني

كلمات الناس، لابن الأنباري (٤٥٦/١)، الصحاح، للجوهري، مادة: (نول) (١٨٣٧/٥).

(٣) إصلاح المنطق، لابن السكيت (ص: ٢٦٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي يروي

قرأ حمزة والكسائي رَحِمَهُمَا اللَّهُ: ﴿لِيَغْرَقَ﴾ بالياء وفتحها وفتح الراء على إسناده إلى الأهل. و﴿أَهْلُهَا﴾ بالرفع. وقرأ الآخرون: ﴿لِيُغْرِقَ﴾ بالتاء ورفعها وكسر الراء، و﴿أَهْلُهَا﴾ بالنصب على أن الفعل للخضر. وقرئ: «لِيُغْرِقَ» بالتشديد للتكثير.

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]: الإمر بالكسر: الأَمْرُ العَظِيمُ الشَّيْءُ؛ لأن فيه التسبب في قتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب، وفيه كفران نعمة الحمل بغير نول.

وقيل: الإمر: العجب.

وقال أبو إسحاق في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، "أي: جئت شيئًا عَظِيمًا من المنكر. قال: و﴿نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] أقلُّ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]؛ لأن تغريق مَنْ في السَّفِينَةِ أنكر من قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (١).

* وهل النُّكْرُ أبلغ من الإمر أو بالعكس؟

ف قيل: الإمرُّ أبلغ؛ لأنَّ قَتْلَ أَنْفُسٍ بسبب الحَرْقِ أعظم من قَتْلِ نَفْسٍ واحدة، ففيه هلاك كثيرين - كما تقدم -.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/٣٠٣)، وانظر: تهذيب اللغة (١٥/٢١٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (أمر) (١/٦٧)، الصحاح، للجوهري (٢/٥٨١)، مقاييس اللغة (١/١٣٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ربي

وقيل: بل النُّكر أبلغ؛ لأن معه القتل الحتم، بخلاف حرق السفينة؛ فإنه يمكن تدارُكه؛ ولذلك قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ [الكهف: ٧٥]، ولم يأتِ بـ: ﴿لَكَ﴾ [الكهف: ٧٥] مع ﴿إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] (١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "وفي خرقه السفينة، مخافة أخذ الغاصب لها حجة في النظر في المصالح للخلق في أخف الشرين، والإغضاء على بعض المناكر مخافة أن يتولد من تغييرها ما هو أشد وأكبر، وجواز فساد بعض المال؛ لصلاح بقيته. وفيه خصاء بعض الأنعام لسمنها، وقطع بعض آذانها، لتمييز. وفي قتل الغلام دليل على مراعاة الذرائع وقطع أسباب الشر" (٢).

وقول موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] قيل: معناه: بما تركت من عهدك، والنسيان يأتي بمعنى: التَّرك.

وقيل: إن اعتذر موسى عَلَيْهِ السَّلَام بالنسيان، بسبب ما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره. والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذه.

وقيل: إن هذا الكلام من موسى للخضر عَلَيْهِمَا السَّلَام معارضة، لا نسياناً؛ لأنه رأى ما ينكره، فيكون من قبيل (معارضة الكلام)، وقد فصلت القول في بيان المراد من (معارضة الكلام) في كتاب: (مجاري الكناية).

(١) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ص: ٣٠٤)، الدر المصون (٧/٥٣٠)، وانظر: إرشاد الساري (٧/٢٢٩).

(٢) إكمال المعلم، للقاضي عياض (٧/٣٧٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّيبِيَّيْنِ بُورِي

والقول الأول أولى لصريح الآية، ولما جاء في الحديث من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، أما المعارض فإن المعنى فيه أخفى من الكناية، وهو يفهم من عرض الكلام، أي: من جانبه، فإذا قلت قولاً له معنى وأنت تريد معنى آخر فكأنك أشرت بالكلام إلى جانب هو معناه الأصلي، وأنت تريد جانباً آخر هو المقصود الذي يفهم بالقرائن والسياق.

﴿وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] أي: لا تضيق عليّ، وتلطّف بي، وعاملني باليسر، فجمع بين الإقرار والتماس العذر.

قال في الحديث: «ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَأْسِهِ، فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُكْرَهُ﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٤-٧٥]، قال: وهذه أشدُّ مِنَ الْأُولَى».

قوله: «فإذا غلام يلعب مع الغلمان»، أي: غلاماً صغيراً، والغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ.

وقيل: إن الغلام كان بالغاً؛ لأن الصغير لا يوصف بكفر وإيمان حقيقيين.

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان شاباً يقطع الطريق.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (المفهم): "ويظهر من كلام ابن عباس هذا: أنه كان بالغاً، وأنه بلغ سن التكليف، وليس هذا معروفاً في إطلاق اسم الغلام في اللغة، ومساق



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّيْنِ ابْنِ بَوَيْهِ

وقال ابن بطل رَحِمَهُ اللهُ: "إن قول الخضر عَلَيْهِ السَّلَام: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا» هو باعتبار ما يؤول إليه أمره، من أنه لو عاش حتى يبلغ لكان كافرًا، ومثل هذا جائز في اللغة أن يسمى الشيء بما يؤول إليه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكَ أَنْعِمْ حَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وإنما يعصر العنب لا الخمر.

ووجه استباحة القتل لا يعلمه إلا الله عَزَّجَلَّ، والله جَلَّ وَعَلَا أن يميت من شاء من خلقه قبل البلوغ وبعده، ولا فرق بين قتله وموته، كل ذلك لا اعتراض عليه فيه، لا يُسأل عما يفعل.

وفي قصة الخضر عَلَيْهِ السَّلَام أصل عظيم من أصول الدين، وذلك أن ما تعبد الله عَزَّجَلَّ به خلقه من شريعته ودينه، يجب أن يكون حجة على العقول، ولا تكون العقول حجة عليه، وفيه أنه يجب التسليم لله عَزَّجَلَّ في دينه، ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك؛ فإن ذلك محنة من الله عَزَّجَلَّ لعباده، واختبار لهم؛ ل يتم البلوى عليهم. ولمخالفة هذا ضل أهل البدع حين حكموا عقولهم وَرَدُّوا إليها ما جهلوه من معاني القدر وشبهه، وهذا خطأ منهم؛ لأن عقول العباد لها نهاية، وعلم الله عَزَّجَلَّ لا نهاية له، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فما أخفاه عنهم فهو سرُّ الله عَزَّجَلَّ الذي استأثر به، فلا يحل تعاطيه، ولا يُكَلَّف طلبه؛ فإن المصلحة للعباد في إخفائه



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

وقيل: إن إنكار موسى عليه السلام لقتل الغلام لكونه جناية بغير موجب؛ ولذا قال: ﴿بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]، لا لكونه صغيراً لم يبلغ الحنث؛ لأن الآية لا تفيد، فقد يكون كبيراً، وقد قيل: الغلام: الطائر الشارب^(١).
قال الهروي: "وقد سمعت العرب تقول للمولود حين يولد ذكراً: غلام، وسمعتهم يقولون للكهل: غلام نجيب، وكل ذلك فاش في كلامهم"^(٢).
وفي (الصحيح): قال موسى عليه السلام: «أبكي؛ لأنَّ غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي»^(٣).

لكن ربما يشعر بصغره قوله في الحديث: «لِقِيَا غُلَمَانًا يَلْعَبُونَ»، قال: فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ»، وكل ذلك من الغيب، لا قاطع فيه وإنما بين العلماء ما ظهر لهم في كل احتمال، مع القول بالتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ العالم بشؤون خلقه، وأن عقول العباد قاصرة، وقدرة الله عزَّ وجلَّ عظيمة، وقضائه نافذ، لا راد لحكمة، وهو الحكيم الخبير.
وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَقَتَلَهُو﴾ [الكهف: ٧٤]، أي: قتله الخضر عليه السلام، فاشتد بموسى عليه السلام الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب.
وقوله: «فَذَعَرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَعْرَةً مُنْكَرَةً» أي: فَرَعَ فَرَعًا شَدِيدًا عند هذه الفعلة التي هي قتله الغلام، وعند ذلك لم يتمالك موسى عليه السلام أن بادر

(١) انظر: العين، مادة: (غلم) (٤/٤٢٢)، وانظر: المجموع المغيث (٢/٥٧٣).

(٢) تهذيب اللغة (٨/١٣٦).

(٣) صحيح البخاري [٣٨٨٧]، مسلم [١٦٤].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

بالإنكار، تاركًا للاعتذار، فكانت الأولى من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نسيانًا، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر.

وقوله: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ﴿زَاكِيَّةً﴾ بالألف، وقرأ الآخرون: ﴿زَكِيَّةً﴾ قال الكسائي والفراء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: معناهما واحد مثل: الْقَاسِيَةُ وَالْقَسِيَّةُ^(١). وقال أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: الزاكية: التي لم تذنّب قط والزاكية: التي أذنبت ثم تابت^(٢).
وقوله: «وهذه أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى» أي: أؤكد من الأولى، وقد تقدم وجه كونها أؤكد.

قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾^(٣) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ^(٤) [الكهف: ٧٦-٧٧]، يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعَمُونَا:»

(١) قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، ويُقرأ: ﴿قَسِيَّةً﴾ وقد قيل: القاسية: مأخوذة من القسوة، والقسيّة: التي ليست بخالصة الإيمان، وقد خالطها زيغ وشك. قال: وهو بمنزلة الدرهم القسي الذي قد خالطه غش من نحاس وغيره. الزاهر في معاني كلمات الناس، لابن الأنباري (٣٣٩/١)، معاني القراءات، للأزهري (٣٢٧/١)، الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري (١٩٥/٣)، وانظر: مادة: (قسا) في (غريب الحديث)، لأبي عبيد (٦٨/٤-٦٩).

(٢) انظر: معاني القراءات، للأزهري (١١٥/٢)، معالم التنزيل (١٩١/٥)، التفسير البسيط (١٩/١٤)، زاد المسير (٩٩/٣)، معاني القرآن، للفراء (١٥٥/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] أي: قد أعذرت في شأني بعد الذي تقدم.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقرئ من (لديني) بتخفيف النون^(١)، ويجوز من (لديني) بتسكين الدال، وأجودها بتشديد النون؛ لأن أصل (لدن) الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً؛ ليسلم سكون النون الأولى، تقول: (من لدن زيد) فتسكن النون، ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: (لديني)، كما تقول عن زيد: وعني، ومن حذف النون فلاّن

(١) "العامّة على ضم الدال، وتشديد النون. وذلك أنهم أدخلوا نون الوقاية على (لُدن)؛ لتَقْيِهَا من الكسر؛ محافظةً على سكونها، كما حُوْفِظَ على سكون نون (مِنْ) و(عَنْ)، فَأُلْحِقَتْ بهما نونُ الوقاية فيقولون: (مِنِّي) و(عَنِّي) بالتشديد. ونافع بتخفيف النون. والوجه فيه: أنه لم يُلْحَقْ نونُ الوقاية لـ: (لُدن). إلا أن سبويه منع من ذلك وقال: لا يجوزُ أَنْ تأتيَ بـ: (لُدن) مع ياء المتكلم دون نونِ وقاية اهـ. وهذه القراءةُ حجةٌ عليه. فإن قيل: لمْ لا يُقال: إن هذه النونَ نونُ الوقاية، وإنما اتصَلَتْ بـ: (لُدْ) لغةً في (لُدن) حتى يتوافق قولُ سبويه مع هذه القراءة؟ قيل: لا يَصِحُّ ذلك من وجهين: أحدهما: أَنَّ نونَ الوقاية إنما جِيءَ بها؛ لتَقْيِ الكلمة الكسر؛ محافظةً على سكونها. ودون النون لا يُسَكِّنُون؛ لأنَّ الدالَ مضمومة، فلا حاجة إلى النون. والثاني: أَنَّ سبويه يمنعُ أَنْ يُقال: (لُدن) بالتخفيف، وقد حُدِثَتِ النونُ مِنْ «عَنْ» و«مِنْ» في قوله: (أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِّي***) لستُ من قيسٍ ولا قيسٍ مِنِّي). ولكن تحتل هذه القراءة أن تكون النون فيها أصلية، وأن تكون للوقاية على أنها دخلت على (لُدْ) الساكنة الدال، لغة في (لدن)، فالتقى ساكنان فكسرت نون الوقاية على أصلها. وإذا قلنا بأنَّ النونَ أصلية فالسكونُ تخفيف، كتسكين ضاد (عَضَد) وبابه. وقرأ أبو بكرٍ بسكون الدال وتخفيف النون أيضاً، ولكنه أَشَمَّ الدالَ الضَّمَّ؛ مُنَبِّهَةً على الأصل... الخ" الدر المصون (٧/٥٣٠-٥٣٢)، وانظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١٦٠-١٦٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

(لذن) اسم غير متمكن، والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم: قديني في معنى حسبي، ويجوز قدي بحذف النون لأن قد اسم غير متمكن^(١).
و"لذن" بمعنى: عند، وتقول: (وقفوا له من لذن كذا إلى المسجد)، ونحو ذلك: إذا اتصل ما بين الشيئين، وكذلك في الزمان: من لذن طلوع الشمس إلى غروبها^(٢).
قال الجوهري رحمه الله: "لذن: الموضع الذي هو الغاية، وهو ظرف غير متمكن بمنزلة: (عند)، وقد أدخلوا عليها: (من) وحدها من بين حروف الجر. قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْ لَذْنًا﴾ [النساء: ٦٧]. وجاءت مضافة تخفُّض ما بعدها. وفي (لذن) ثلاث لغات: لذن، ولدى، ولذو. وقالوا: لذن غدوة. ولم ينصبوا بها إلا غدوة خاصة^(٣).
و(لدى) لغة في (لذن)، قال الله عز وجل: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، واتصاله بالمضمرات كاتصال (عليك).

قال ابن مالك رحمه الله في بيان لزوم (لذن) للإضافة:

وألزموا إضافة (لذن) فجر ونصب غدوة بها عنهم ندر
ومع (مع) فيها قليل ونقل فتح وكسر لسكون يتصل^(٤)

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣٠٣/٣-٣٠٤)، تهذيب اللغة (٨٧/١٤)، وانظر: تفسير الطبري (٧٦/١٨)، التفسير البسيط (٩٤/١٤)، الحجة للقراء السبعة (١٦٠/٥-١٦٢)، الحجة في القراءات السبع (ص: ٢٢٨).

(٢) العين، مادة: (لذن) (٤٠/٨).

(٣) الصحاح، للجوهري، مادة: (لذن) (٢١٩٤/٦).

(٤) ألفية ابن مالك (ص: ٣٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

من الأسماء الملازمة للإضافة (لدن) و(مع).

فأما (لدن) فلا بتداء غاية زمان أو مكان، وهي مبنية عند أكثر العرب؛ لشبهها بالحرف في لزوم استعمال واحد، وهو الظرفية، وابتداء الغاية، وعدم جواز الإخبار بها. ولا تخرج عن الظرفية إلا بجرها بـ: (من)، وهو الكثير فيها؛ ولذلك لم ترد في القرآن إلا بـ: (من)، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ﴾ [الكهف: ٦٥]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]. وقيس تعربها ^(١)، ومنه: قراءة أبي بكر عن عاصم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾، لكنه أسكن الدال، وأشتمها الضم ^(٢).

ويجر ما ولي (لدن) بالإضافة، إلا (غدوة)؛ فإنهم نصبوها بعد (لدن)، كقوله:

وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غَدَوَةٍ حَتَّى دَنْتَ لِعُرُوبٍ ^(٣)

(١) أي: تشبهها بـ: عند، وإعرابها عندهم مخصوص بلغتها المشهورة، وهي كـ: (عضد)، فتحرك النون بالإعراب

كما في (التسهيل) و(الهمع). حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (٥١/٢).

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٦٧/٣).

(٣) قال البدر العيني: "لم أقف على اسم قائله" المقاصد النحوية (١٣٤٣/٣). والبيت من شواهد: (العين)

(٤٠/٨)، وانظر: حروف المعاني، للزجاجي (ص: ٢٦)، شرح ابن عقيل (٦٨/٣)، شرح الأشموني

(١٦١/٢)، شرح التصريح على التوضيح (٧١٣/١)، همع الهوامع (٢٢١/٢)، شرح تسهيل الفوائد

(٢٣٨/٢). والبيت ينسب لأبي سفيان بن حرب كما في (الحيوان) (٢٠٩/١)، واللمحة (٢٨٢/١) -

(٢٨٣)، وثمار القلوب، للثعالبي (ص: ٣٩٥)، وربع الأبرار، للزحشري (٣٤١/٢). والشاهد فيه: قوله:

(لدن غدوة) حيث نصب (غدوة) على التمييز.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وهي منصوبة على التمييز، وهو اختيار ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ؛ ولهذا قال: (***) ونصب غدوة بها عنهم ندر).

وقيل: هي خبر لكان المحذوفة، والتقدير: لدن كانت الساعة غدوة. ويجوز في (غدوة) الجر، وهو القياس، ونصبها نادر في القياس، فلو عطفت على غدوة المنصوبة بعد (لدن) جاز النصب عطفاً على اللفظ، والجر مراعاة للأصل، فتقول: (لدن غدوة وعشية وعشية)، ذكر ذلك الأخفش. وحكى الكوفيون الرفع في (غدوة) بعد (لدن) وهو مرفوع بكان المحذوفة، والتقدير: لدن كانت غدوة، وكان تامة. وذكر ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ أن (لدن) بمعنى: (عند)، إلا أنها تختص بستة أمور: أحدها: أنها ملازمة لمبدأ الغايات، فمن ثم يتعاقبان في نحو: (جئت من عنده، ومن لدنه)، وفي التنزيل: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]، بخلاف نحو: (جلست عنده)؛ فلا يجوز فيه: (جلست لدنه)؛ لعدم معنى الابتداء هنا. الثاني: أن الغالب استعمالها مجرورة بـ: (من) ^(١).

الثالث: أنها مبنية إلا في لغة قيس، وبلغتهم قرئ: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ [النساء: ٤٠] - بإسكان الدال - ^(٢).

(١) فتكون مبنية على السكون في محل جر، ولم ترد في القرآن الكريم إلا كذلك.

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ [النساء: ٤٠] بإسكان الدال وإشمامها الضم، وكسر النون والهاء، ووصلها بياء في الوصل. وفي (شرح التصريح) (٧١٢/١): "الغالب في (لدن) استعمالها مجرورة بـ: (من)، ونصبها قليل، حتى إنها لم تأت في التنزيل منصوبة. وجر (عند) بـ: (من) دون جر (لدن) في الكثرة. =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة

الرابع: جواز إضافتها إلى الجمل؛ كقوله:

*** لدن شب حتى شاب سود الذوائب^(١).

الخامس: جواز إفرادها قبل: (غدوة)^(٢)، فتنصبها: إما على التمييز، أو على التشبيه بالمفعول به، أو على إضمار (كان) واسمها. وحكى الكوفيون رفعها على إضمار (كان) تامة. والجر القياس، والغالب في الاستعمال.

=و(لدن) مبنية على السكون، وعلة بنائها: شبهها بالحرف في لزوم استعمال واحد، وهو الظرفية، وعدم التصرف، إلا في لغة قيس؛ فإنها معربة عندهم؛ تشبيهاً بـ: (عند)، و"بلغتهم قرئ: ﴿من لَدْنِه﴾ [النساء: ٤٠] بإسكان الدال وإشمامها الضم، وكسر النون والهاء، ووصلها بياء في الوصل، وهي قراءة أبي بكر بن عاصم". في (أمالى ابن الشجري) (٣٤٠/١-٣٤١): "فأما ما روي عن عاصم من قراءته: ﴿من لَدْنِه﴾ [النساء: ٤٠] بكسر النون، فالكسرة فيه ليست كسرة جرٍّ، وإنما هي كسرة التقاء الساكنين، وذلك أن الدال أسكنت كما أسكنت الباء، من سبع، والنون ساكنة، فلما التقيا كسر الثاني منهما اهـ". فظهر بهذا أن (لدن) مبنية دائماً، بخلاف (عند)؛ فإنها معربة دائماً.

- (١) قائله: هو القطامي، واسمه: عمير بن شبيب. وصدرة: (صريعٌ غَوَانٍ راقَهُنَّ وَرُقْنُهُ***)، وهو في (ديوانه) (ص: ٤٤)، انظر: المقاصد النحوية (شرح الشواهد الكبرى)، للعيني (١٣٤١/٣)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١٨١/١)، شرح شواهد المغني، للسيوطي (٤٥٥/١)، أمالى ابن الشجري (٣٤٠/١). والشاهد من شواهد: مغني اللبيب (ص: ٢٠٨)، وأوضح المسالك (١٢٤/٣)، وشرح تسهيل الفوائد (٢٣٧/٢)، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٢٠٣/٣)، وشرح التصريح (٧١٢/١)، وشرح الأشموني (١٦٠/٢)، وجمع الهوامع (٢٢٠/٢). والشاهد: (لدن شب). حيث أضاف (لدن) إلى جملة: (شب..)؛ وقد دلت على بداية الغاية الزمانية. وحكم إضافتها إلى الجمل الجواز.
- (٢) أي: قطعها عن الإضافة لفظاً ومعنى، من غير أن يفصل بينهما فاصل؛ ومن ذلك ما تقدم من قول أبي سفيان: (وما زال مُهْرِي مُرْجَرِ الكَلْبِ مِنْهُمْ*** لَدُنْ غَدَوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

السادس: أنها لا تقع إلا فضلة، تقول: (السفر من عند البصرة)، ولا تقول: (من لدن البصرة)"^(١).

وقوله جَلَّوَعًا: ﴿فَأَنْظَلْنَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧]: القرية قيل: هي أنطاكية، وقيل: قرية من قرى الروم، وقيل: إنها برقة، وقيل غير ذلك. ولم يذكر في القرآن اسم هذه القرية، ولم يحدد مكانها؛ لأن القرآن الكريم لا يعنى غالبًا بذكر أشخاص ولا أماكن ولا تحديد أزمنة، ولا ذكر مسافات؛ لأن ذلك لا علاقة له بالحدث، وإنما يعنى بموضع العبرة. وإذا نصَّ القرآن الكريم في القليل النادر على ذلك فإنما يكون لقصد عظيم. وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الزَّمان والهداية والاعتبار في قصص القرآن والأحاديث والأخبار).

* وجاء في الحديث وصف أهل القرية: بأنهم كانوا «لِنَامًا فَطَافًا فِي الْمَجَالِسِ»^(٢)، أي: فذهبوا يطوفان في مجالس القوم، وأماكن اجتماعهم، فكان القوم «لِنَامًا فَطَافًا»، واللؤم في الأصل: هو البخل مع دناءة الآباء. قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: "اللئيم: الدينء الأصل الشحيح النفس"^(٣). وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ: "اللئيم عند العرب: الشحيح، المهين النفس، الخسيس الآباء. فإن كان الرجل شحيحًا، ولم تجتمع

(١) أوضح المسالك (١٢٢/٣-١٢٦)، وانظر: شرح الأشموني (١٦١/٢-١٦٢).

(٢) انظر كذلك: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله الأزدي الميورقي الحميدي (٤٠٤/١)، السنن الكبرى، للنسائي [٥٨١٣]، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، لمحمد بن محمد الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي (١٦٠/٣)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٢٥/٨).

(٣) الصحاح، للجوهري، مادة: (لَأَم) (٢٠٢٥/٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

فيه هذه الخصال، قيل له: بخيل، فيقال لكل لئيم: بخيل، ولا يقال لكل بخيل: لئيم. والعامّة تخطئ فيهما فتسوي بينهما" (١).

* وقوله: «فَطَافًا» أي: كانوا لئامًا مقطوعين عن فعل الخير؛ فإن أصل الفطم: القطع يقال "فطم الصبي فصله عن ثدي أمه ورضاعها، وتسمى المرأة: فاطمة وفطام وفطيمة. قال في (العين): "فَطَمَتِ الصَّبِيَّ أُمُّهُ تَفْطِمُهُ، أي: تَقْطَعُهُ عن الرِّضَاع والغَلَامِ فَطِيمٌ مفطومٌ، والجارية: فَطِيمَةٌ مَفْطُومَةٌ، وَفَطَمْتُ فُلَانًا عن عادته" (٢).

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧] الاستطعام: سؤال الطعام. والمراد به هنا: أنهما سألا الضيافة بدليل قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فاستحق أهل القرية أن يُذْمُوا، وينسبوا إلى اللؤم. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "ويظهر من ذلك: أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إنما سألا ما يجب لهما من الضيافة. وهذا هو الأليق بحال الأنبياء والفضلاء، وبعيد أن يذم من ترك المندوب هذا الدم، مع أنه يحتمل أن يقال: إن الضيافة لما كانت من المكارم المعروفة المعتادة عند أهل البوادي، ذم المتخلف عنها عادة، كما قد قالوا: (شَرُّ الثُّرَى التي تبخل بالقرى).

ويحتمل أن يكون سؤالهما الضيافة عند حاجتهما إلى ذلك، وقد بَيَّنَّا: أن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد به جوعه، ففيه ما يدل: على جواز المطالبة بالضيافة،

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (٧١/٢).

(٢) العين، مادة: (فطم) (٤٤٢/٧)، وانظر: تهذيب اللغة (٢٥٤/١٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأَمِّرْ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»^(١).

قال: ويعفو الله عن الحريري؛ فإنه تسخّف في هذه الآية وتمجّن، فاستدل بها على الكُدَيَةِ والإلحاح فيها^(٢)، وأن ذلك ليس بعيب على فاعله، ولا منقصة عليه فقال: فإنّ رُدَدَت فما بالردّ منقصةٌ عليك قد رُدَّ موسى قبلُ والحَضِرُ^(٣) وهذا لعبٌ بالدّين، وانسلاّل عن احترام النّبيين، فهي: شنشنة أدبية^(٤)، وهفوة سخافية، ويرحم الله السّلف الصّالح فإتّهم بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح، فقالوا: مهما كنت لاعباً بشيء، فإياك أن تلعب بدينك^(٥).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي خبرهما: جواز الاستطعام، والسؤال عند الحاجة"^(٦).

والحاصل أنّهم لم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرىً ولا مأوى، وكانت ليلة باردة فالتجفّوا إلى حائط على شارع ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ أي: يقرب أن يسقط؛ لميلانه،

(١) صحيح البخاري [٢٤٦١، ٦١٣٧]، مسلم [١٧٢٧].

(٢) الكُدَيَةُ: حرفة السائل الملحّ، وهي في معنى: الشحاذة والإلحاح في سؤال الناس. يقال: أكّدى الرجل: بخل، أو قلّ خَيْرُهُ أو قلّ عَطَاءُهُ.

(٣) مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ص: ٣٩٣).

(٤) أي: إنها عادة غالبية أو طبيعة أو خلق عند كثير من الأدباء.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٠٨/٦).

(٦) إكمال المعلم (٣٦٨/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ولم يزل أهل القرية وغيرهم من الناس يمر تحتها على خوف منه، وكان قد بناه رجل صالح، فأقامه الخضر عَلَيْهِ السَّلَام، ومعنى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ﴾ [الكهف: ٧٧]، الجدار لا يريد إرادة حقيقية، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت عليه كما تظهر أفعال المريد القاصدين. فلا إرادة للجدار حقيقة، ولكنه من توسع العرب في المجاز والاستعارة، ومن سُنن العرب: إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلاً في الحقيقة (١).

وقد استعيرت الإرادة هنا للمدانة والمشاركة؛ لما فيها من الميل؛ تشبيهاً للجدار بالأحياء، كما استعير الهمُّ والعزم لذلك. يقال: (عزم السراج أن يطفأ): إذا قرب. فشبه الجدار بإنسان عاقل له إرادة، وحذف المشبه به، وهو (الإنسان)، وبقي شيء من لوازمه وصفاته، وهو كلمة: (يريد) بطريقة: الاستعارة المكنية.

والحاصل أن قوله جَلَّوَعًا: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾، أي: ينهدم بقرب، من (انقض الطائر): إذا أسرع سقوطه. والإرادة مستعارة للمدانة والمشاركة؛ لما فيها من الميل، استعارة تصريحية أو مكنية وتخيلية، أو هي مجاز لغوي مرسل بعلاقة سبب الإرادة؛ لقرب الوقوع.

وقيل: مجاز عقلي؛ لأن الإرادة من صفات العقلاء، ولا يخفى أن إسنادها إلى الجدار من لطيف الاستعارة، وبلغ المجاز.

(١) انظر: فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي (ص: ٢٥٤)، الصاحبي في فقه اللغة العربية (ص: ١٦٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي نسب أبو ي

والخلاف مطرد في كل ما كان من هذا القبيل: (أعني: من نسبة الأفعال إلى ما لا يعقل تجوُّزاً، بطريق المشابهة في الصورة، ولنكتة مبينة) ^(١).
وهنا: شبه ميلان الجدار للسقوط بانحراف الحي، فأثبت له الإرادة التي هي من خواص العقلاء؛ تشبيهاً لميله للوقوع بإرادته.
قال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: "المراد من إرادة السقوط: قربه من ذلك على سبيل المجاز المرسل، بعلاقة: تسبب إرادة السقوط؛ لقربه أو على سبيل الاستعارة، بأن يشبه قرب السقوط بالإرادة؛ لما فيهما من الميل.
ويجوز أن يعتبر في الكلام استعارة مكنية وتخيلية.
وقد كثر في كلامهم: إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم مجازاً، ومن ذلك قوله:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْعُبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ ^(٢)
وقول الآخر:

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِحَمَلٍ لَزِمَانِ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ ^(٣)

(١) ونحوه: قوله جَلَدَ عَلَا: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ [محمد: ٢١]، وقوله: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ونظائره كثيرة.
(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة (معمر بن المثنى) في (مجاز القرآن)، قال: "وليس للحائط إرادة، ولا للموات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادته" مجاز القرآن (١/٤١٠-٤١١).
(٣) روح المعاني (٨/٣٢٩). قال الشيخ ناصر الدين: "لفت الشيء: طويته وأدرجته، من باب: رد. و(الشمل): المتفرق، ويطلق على المجتمع من الأمور. وجمل: اسم محبته. ويروى: بسعدى. يقول: إن الدهر الذي =



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

وقال الإمام ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "ومعنى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾: أشرف على الانقضاء، أي: السقوط، أي: يكاد يسقط، وذلك بأن مال، فعبر عن إشرافه على الانقضاء بإرادة الانقضاء على طريقة الاستعارة المصروفة التبعية، بتشبيه قرب انقضائه بإرادة من يعقل فعل شيء فهو يوشك أن يفعله حيث أراد؛ لأن الإرادة طلب النفس حصول شيء، وميل القلب إليه" (١).

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "شبهت مشاركة الجدار للانقضاء بإرادة من هم بالانحطاط بعد أن كان منتصبًا، والوجه: الميلان، ثم استعير لجانب المشبه: الإرادة، ثم سرى من المصدر إلى الفعل، فهو استعارة مصروفة تبعية، ويجوز أن تكون مكنية" (٢).

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: "اختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾، فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة، ولا للموات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته.

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون. قال: وذلك لما دنا من الانقضاء، جاز أن يقول: يريد أن ينقض، قال: ومثله: ﴿تَكَاذُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ [مریم: ٩٠]، وقولهم:

=يجمع شملي بمحبوبي لدهر يهم بالإحسان ويريده، وهم من باب: (رد) أيضًا، أي: دهر يريد الإحسان لا الاساءة كعادة الدهر، فشبّه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق المكنية، والهم: تخيل. ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف، وهما في الحقيقة لله جَلَّوَعَلَا حاشية ناصر الدين بن المنير (٧٣٧/٢).

(١) التحرير والتنوير (٨/١٦).

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف (٥٢٦/٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تم به، ولكن لعظيم الأمر عندك.

وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط..^(١).

وقد وقع الخلاف بين العلماء في مسألة وجود المجاز في القرآن، فقال جماهير أهل العلم بوجود المجاز في اللغة، وفي القرآن، والسنة.

وذهب بعضهم إلى نفيه. قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في (المستصفى): "فالقرآن يشتمل على المجاز، خلافاً لبعضهم، فنقول: المجاز اسم مشترك قد يطلق على الباطل الذي لا حقيقة له، والقرآن منزّه عن ذلك، ولعله الذي أراده من أنكر اشتمال القرآن على المجاز.

وقد يطلق على اللفظ الذي تجوز به عن موضوعه، وذلك لا ينكر في القرآن مع قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَّئِلِ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوله: ﴿لَهْدَمْتَ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتُ﴾ [الحج: ٤٠]، فالصلوات كيف تهدم؟

(١) تفسير الطبري (١٨/٧٨-٧٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وهو يريد: رسوله ^(١)، ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والقصاص حق، فكيف يكون عدواناً؟ ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وذلك ما لا يحصى، وكل ذلك مجاز ^(٢).

وقال الإمام النووي رحمه الله: "قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، هذا من المجاز؛ لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة، ومعناه: قرب من الانقضاء، وهو السقوط. واستدل الأصوليون بهذا على وجود المجاز في القرآن الكريم، وله نظائر معروفة" ^(٣).

وفي (المفهم)، لأبي العباس القرطبي رحمه الله: "الجدار: الحائط. وينقض: يسقط. ووصفه بالإرادة مجاز مستعمل، وقد فسر في الحديث بقوله: «يقول: مائل» ^(٤)، فكان

(١) قال العلامة الطيبي: "قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، أي: يؤذون رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فالله عَزَّوَجَلَّ الغالب أبداً" حاشية الطيبي على الكشف (٢٩٨/١٥).

(٢) المستصفى (ص: ٨٤).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤١/١٥).

(٤) وهو في (الصحيحين). انظر: صحيح البخاري [٤٧٢٥]، مسلم [٢٣٨٠].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

فيه دليل على وجود المجاز في القرآن، وهو مذهب الجمهور". ونحوه قول أبي عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) (١).

وقد فصلت القول في ذلك في كل من كتاب: (تذكرة وبيان من علوم القرآن)، وكتاب: (مجاري الكناية).

* وفي رواية البخاري: «قال سعيد [بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ] بيده هكذا، ورفع يده فاستقام، قال يعلى [بن مسلم]: حسبت أن سعيداً رَحِمَهُ اللَّهُ قال: فمسحه بيده فاستقام، ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، قال سعيد: أجراً نأكله» (٢). وكذا عند الإمام أحمد، وابن أبي حاتم رَحِمَهُمَا اللَّهُ (٣)، أي أقامه الخضر عَلَيْهِ السَّلَام بيده. وقيل: دعمه بدعامة تمنعه من السقوط، أو هدمه وبل طيناً وأخذ في بنائه إلى أن كمل وعاد كما كان. وفي (إرشاد الساري): "وكلها حكايات حال لا تثبت إلا بنقل صحيح، والذي دلَّ عليه القرآن: الإقامة، لا الكيفية، وأحسن هذه الأقوال أنه مسحه أو دفعه بيده فاعتدل؛ لأن ذلك أليق بحال الأنبياء وكرامات الأولياء، إلا أن يصح عن الشارع أنه هدمه وبناه فيصار إليه" (٤).

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (٢٠٨/٦-٢٠٩)، تفسير القرطبي

(٢٥/١١)، وانظر: قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر السمعاني (٢٦٦/١).

(٢) صحيح البخاري [٤٧٢٦].

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل [٢١١١٩]، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٧٢/٧).

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٢٥/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي حنيفة

فقال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أقام الجدار وأصلحه: قوم استضيفناهم فلم يضيفونا مع شدة احتياجنا إلى الطعام فأصلحت جدارهم بلا ضيافة منهم. ﴿لَوْ شِئْتُ لَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، أي: لآخذت على ذلك أجرة؛ لتكون لنا قوة وبلغة على سفرنا. قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي الحديث: جواز الاستئجار على البناء، وأكل مثل ذلك لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَوْ شِئْتُ لَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [٧٧]، وجواز استئجار السفن لقوله: «فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ»، فدل على جواز النول" (١).

قوله: «فَحَمَلُوهُمَا» مع أنهم كانوا ثلاثة الخضر وموسى ويوشع؛ لأن يوشع كان تابعًا، فاكتفي بذكر الأصل عن الفرع، ونظير هذا قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، ولم يقل فتشقيان، بل ثنى ثم أفرد؛ لأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الأصل، فأفرد بالذكر، وحواء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تابعة فلم تذكر اكتفاءً بذكر الأصل عن الفرع.

فقال له الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] أي: لهذا الاعتراض الثالث علي سبب للفراق بيني وبينك. ثم قال له: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] أي: سأخبرك عن سبب خرق السفينة، وقتل الغلام، وإصلاح الجدار، لتعلم أنه لا إنكار علي، وأن ذلك لم عن أمري، وإنما هو قضاء الله عَزَّ وَجَلَّ وإرادته.

(١) إكمال المعلم (٧/٣٦٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

* وقد اختلف في الخضر عَلَيْهِ السَّلَام هل هو نبي أم أنه وليٌّ من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ؟
ومحصل القول في ذلك: ما ذكره الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ من أن الظاهر من مساق
قصته واستقراء أحواله، مع قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] أنه نبي يوحى إليه
بالتكاليف والأحكام، كما أوحى إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام، غير أنه ليس برسول^(١).
وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] "يدل أنه فعله بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ
بذلك إليه، ويشهد لهذا وجوه من نفس القصة:
منها: أنه لا يجوز لأحد أن يقتل نفساً؛ لما يتوقع وقوعه منها بعد حين مما يوجب
عليها القتل؛ لأن الحدود لا تجب إلا بعد وقوعها.
وأيضاً: فإنه لا يقطع على فعل أحد قبل بلوغه، ولا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن
ذلك إخبار عن الغيب. وكذلك الإخبار عن أخذ الملك السفينة غصباً، والإخبار أيضاً
عن بنيانه الجدار من أجل الكنز الذي تحته؛ ليكون سبباً إلى استخراج الغلامين له إذا
احتاجا إليه؛ مراعاة لصلاح أبيهما، وهذا كله لا يدرك إلا بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ"^(٢).
قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا
مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، وفي الرواية الأخرى: «رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَلَ
لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ دِمَامَةٌ»، ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٠٩/٦).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٩٩/١-٢٠٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

تُصَحِّبُنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ [الكهف: ٧٦]، وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ»: دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرحمة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتمنى أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صبر على الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حتى يستمر في سرد القصص والأخبار، والغرائب التي كانت ستصاحبهما في رحلتهما.

* وقوله: «وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذِمَامَةً» أي: استحياء؛ لتكرار مخالفته. وقيل: ملامة والأول هو المشهور.

* قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ»:

* قوله: «عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ»، أي: على طرفها. وحرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده. ومنه حَرْفُ الجبل، وهو أعلاه الْمُحَدَّدُ. والحَرْفُ: واحد حُرُوفِ التهجِّي. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَلْتَابِيسَ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، قالوا: على وَجْهِ واحد، وهو أن يعبد على السَّراء دون الضَّراء..^(١).

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "نسبة ذلك القدر القليل الذي أخذه ذلك العصفور من ذلك الماء إلى كلية ماء البحر نسبة متناه إلى متناه، ونسبة معلومات جميع المخلوقات

(١) (الصحاح، للجوهري، مادة: (حرف) (١٣٤٢/٤)).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

إلى معلومات الله عزَّجَلَّ نسبة متناه إلى غير متناه، فأين إحدى النسبتين من الأخرى؟! والله العالم بحقائق الأمور" (١).

فلا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي أصلاً، ولكنه من قبيل التشبيه والتقريب؛ فإنه لا نسبة في الحقيقة لعلم أحد من علمه عزَّجَلَّ، ولكنه شبه ما ليس بمُتناه بما هو متناه؛ لأن البحر متناه، فالنقص فيه معقول، وليس المراد حقيقة النقص، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله عزَّجَلَّ كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر، وهذا على التقريب إلى الأفهام، وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "والعلم هاهنا: بمعنى: المعلوم، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: من معلوماته. وهذا من الخضر عَلَيْهِ السَّلَام تمثيل، أي: معلوماتي ومعلوماتك في علم الله عزَّجَلَّ لا أثر لها، كما أن ما أخذ هذا العصفور من البحر لا أثر له بالنسبة إلى ماء البحر. وإنما مثل له ذلك بالبحر؛ لأنه أكبر ما نشاهده مما بين أيدينا. وهذا نحو مما قاله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وإطلاق لفظ النقص هنا تجوُّز قصد به التمثيل، والتفهم، إذ لا نقص في علم الله عزَّجَلَّ ولا نهاية لمعلوماته. وقد أورد البخاري رحمه الله هذا اللفظ من رواية: ابن جريج على لفظ أحسن مساقاً من هذا، وأبعد عن الإشكال، فقال: «ما علمي وما علمك في جنب علم الله

(١) مفاتيح الغيب (٢١/٤٧٨ - ٤٧٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر» ^(١) وهو مفسر لفظ كتاب مسلم - والله تعالى أعلم - ^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "ويكفي أن ما يتكلم به من علمه لو قدر أن البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر، مداد وأشجار الأرض كلها من أول الدهر إلى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به مما يعلمه لنفدت البحار، وفنيت الأقلام، ولم تنفذ كلماته، فنسبة علوم الخلائق إلى علمه جَلَّ وَعَلَا كنسبة قدرتهم إلى قدرته، وغناهم إلى غناه، وحكمتهم إلى حكمته، وإذا كان أعلم الخلق به على الإطلاق يقول: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» ^(٣)، ويقول في دعاء الاستخارة: «فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» ^(٤)، ويقول جَلَّ وَعَلَا للملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ويقول جَلَّ وَعَلَا لأعلم الأمم وهم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ويقول لأهل الكتاب: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ونقول رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوم القيامة حين يسألهم: ﴿مَاذَا أُحْبِطْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وهذا هو الأدب

(١) صحيح البخاري [٤٧٢٦].

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٢١٥-٢١٦).

(٣) صحيح مسلم [٤٨٦].

(٤) صحيح البخاري [٦٣٨٢، ٧٣٩٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

المطابق للحق في نفس الأمر؛ فإن علومهم وعلوم الخلائق تضمحل وتتلاشى في علمه جَلَّوَعَلَا كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس، فمن أظلم الظلم، وأبين الجهل، وأقبح القبيح، وأعظم الوقاحة والجرأة: أن يعترض من لا نسبة لعلمه إلى علوم الناس، التي لا نسبة لها إلى علوم الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، التي لا نسبة لها إلى علم رب العالمين جَلَّوَعَلَا عليه، ويقدح في حكمته، ويظن أن الصواب والأولى: أن يكون غير ما جرى به قلمه، وسبق به علمه، وأن يكون الأمر بخلاف ذلك، فسبحان الله رب العالمين؛ تنزيهاً لربوبيته، وإلهيته، وعظمته، وجلاله، عما لا يليق به من كل ما نسبه إليه الجاهلون الظالمون.. " (١).

*قوله: قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا»، وكان يَقْرَأُ: «وَأَمَّا الْعَلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»:

أما قراءة: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا» فقد قرأها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهي قراءة شاذة مخالفة للمصحف، وألفاظ القرآن الكريم هي التي ثبتت بالعرضة الأخيرة، وإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى المصحف العثماني، واتفاق الأمة على ذلك من غير مخالفة ولا نكير بعد العرضة الأخيرة.

ومع ذلك فقد ذكر العلماء المعنى المراد من رواية: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا»: فقيل: إن ﴿وَرَأَوْهُمْ﴾ [الكهف: ٧٩]: لفظ يطلق على الخلف، وعلى الأمام، ومعناها هنا: أمامهم، قالوا: ولا خلاف بين أهل اللغة أن (وراء) يكون بمعنى:

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

(قدام)، وجاء ذلك في التنزيل والشعر، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦]،
﴿وَمَنْ وَرَّأَيْهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].
وقال لبيد:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِّي
لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(١)
وقول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ^(٢)
فقوله: (وليس وراء الله للمرء مذهب) أي: بعد الله عَزَّجَلَّ.
إلى غير ذلك.

ونقل قطرب وأبي عبيدة وابن السكيت وغيرهم أنه من الأضداد؛ لأن كل ما كان
خلقاً فإنه يجوز أن ينقلب قداماً وبالعكس، وأنكره آخرون.

قال أبو إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَرَأَاهُمْ﴾ [الكهف: ٧٩]: خلفهم. وقيل: ﴿وَكَانَ
وَرَأَاهُمْ﴾ [الكهف: ٧٩] معناه: كان قدامهم. وهذا جاء في العربية؛ لأنه ما بين يديك وما
قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك" (٣).

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ٥٧).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (ص: ٧٢)، دار المعارف.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ النَّيَّسَابُورِيِّ

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "الوراء اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلف أو قدام" (١).

وسئل ثعلب رَحِمَهُ اللهُ: لم قيل: الوراء للأمام؟ فقال: الوراء: اسم لما توارى عن عينك، سواء أكان أمامك أو خلفك.

وقال الفراء رَحِمَهُ اللهُ: لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك، وكذا في سائر الأجسام، وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام (٢).

وقال أبو علي رَحِمَهُ اللهُ: "إنما جاز استعمال (وراء) بمعنى: (أمام) على الاتساع؛ لأنها جهة مقابلة لجهة، فكأن كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى، إذا لم يرد معنى المواجهة، ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرتين متقابلتين، كل واحد منهما وراء الآخر، وأكثر أهل اللغة على أن (وراء) من الأضداد اهـ" (٣).

وأما قراءة: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا» فقد تقدم بيانها، كما تقدم أنها قراءة شاذة لا حجة فيها.

(١) الكشف (٢٨٧/٤).

(٢) انظر: معاني القرآن، للفراء (١٥٧/٢).

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير (٢١٤/٧)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (١٢٦/٦)،

روح المعاني (٣٣٢/٨)، تهذيب اللغة (٢١٩/١٥)، غريب الحديث، لإبراهيم الحربي (٧٦٠/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

* إجمال بعض ما يستفاد من الحديث:

١ - فضل طلب العلم، والسعي في تحصيله، والرحلة في سبيله، وأنه يجب على من سئل عما لا يعلم، أن يقول: لا أعلم:

قال القاضي البيضاوي: "ولا ينافي نبوة موسى عليه السلام، وكونه صاحب شريعة: أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين؛ فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به من أصول الدين وفروعه، لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله به عليه" (١).

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن العلم بالتعلم فقال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم»، وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو وضعت المصمامة (٢) على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن

(١) تفسير البيضاوي (٣/٢٨٧).

(٢) بالمهملتين الأولى مفتوحة، أي: السيف الصارم الذي لا ينثني أو الذي له حد واحد. «وأشار إلى قفاه» وفي رواية: «إلى القفا» وهو مقصور: مؤخر العنق يذكر ويؤنث. «ثم ظننت أنني أنفذ» بضم الهمة وكسر الفاء؛ أي: أمضي «كلمة» نكرها؛ لتشمل القليل والكثير. «سمعتها من النبي». وفي رواية: «من رسول الله صلى الله عليه وسلم» أي: ظننت أنني أقدر على إنفاذها وتبليغها، «قبل أن تجيزوا» بضم التاء المثناة التحتية وكسر الجيم، أي: الصمصامة «علي» أي: على قفائي، أراد به قبل أن تقطعوا رأسي، «لأنفذتها» أي: لأمضيت تلك الكلمة.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي نسب أبو ربي

تجزوا علي لأنفذتها»، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كُونُوا رَبَّنِينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]: حلماء فقهاء. ويقال: الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره^(١).

قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها. وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده.

وقال ابن الأعرابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً^(٢). ولا بد من التدرج في طلب العلم، وأخذه عن أهله. وإن العالم الرباني قائم على أمور الناس، مصلح لأحوالهم، ومرشد لهم إلى ما فيه صلاحهم.

وفي الحديث: «إنما العلم بالتعلم»^(٣).

وقوله: «إنما العلم» أي: تحصيله، «بالتعلم» - بضم اللام - على الصواب. وفي بعض النسخ: «بالتعليم»، والمعنى: ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وورثتهم على سبيل التعلم^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري (٢٤/١)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٥١/١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٦٢/١).

(٣) رواه البخاري في (الصحيح) معلماً (٢٤/١). قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن؛ لاعتضاده بالجيء من وجه آخر. انظر: فيض القدير (٥٦٩/٢)، (٢٤٢/٦)، تغليق التعليق على صحيح البخاري (٧٨/٢).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٦١/١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٢/٢)، فيض القدير (٥٦٩/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

وقال الشيخ محمد الشنواني رَحِمَهُ اللهُ فِي (حاشيته على مختصر ابن أبي جمرة): «إنما العلم بالتعلم»، "أي: بكون الإنسان يتعلم العلم من غيره من العارفين، وليس العلم بالمطالعة في الكتب" (١).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "اعلم أَنَّ الإفتاء عظيمُ الخطر، كبيرُ الموقع، كثيرُ الفضل؛ لأنَّ المفتي وارثُ الأنبياءِ صلوات الله وسلامه عليهم، وقائمُ بفرض الكفاية، لكنه معرض للخطأ؛ ولهذا قالوا: المفتي موقَّعٌ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وروينا عن ابن المنكدر قال: العالمُ بينَ الله جَلَّوَعَلَا وَخَلْقِهِ، فليَنظُرْ كيف يدخُلُ بينهم، وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقُّف عن الفُتيا أشياء كثيرة معروفة نذكر منها أحرفاً تبرَّكاً. وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

وفي رواية: ما منهم من يُحدِّث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه إِيَّاه، ولا يُستفتَى عن شيءٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفُتيا.

وعن ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «من أفتى في كُلِّ ما يُسأل فهو مجنون». وعن الشعبي والحسن وأبي حُصَيْن التابعيين قالوا: «إنَّ أحدكم لُيفتي في المسألة، ولو وَرَدَتْ على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر».

(١) حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة (ص: ٤٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي نسب لأبوي

وعن عطاء بن السائب التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركتُ أقوامًا يُسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يَرْعَدُ». وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان: «إذا أغفلَ العالمُ (لا أدري) أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ». وعن سُفْيَان بن عيينة وسَحْنُون: «أَجَسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا». وعن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ - وقد سُئِلَ عن مسألة فلم يُجِبْ - فَقِيلَ له فقال: «حتى أدري أَنَّ الفضلَ في السكوتِ أو في الجواب».

وعن الأثرم: سمعتُ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يُكْثِرُ أن يقول: لا أدري، وذلك فيما عَرَفَ الأقاويلَ فيه.

وعن الهيثم بن جميل: شهدتُ مالكا رَحِمَهُ اللَّهُ سُئِلَ عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في ثنتين وثلاثين منها: لا أدري. وعن مالك أيضا أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يُجيب في واحدةٍ منها، وكان يقول: مَنْ أجاب في مسألةٍ فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف خلاصته، ثُمَّ يُجيب، وسُئِلَ عن مسألة، فقال: لا أدري، فقيل: هي مسألةٌ خفيفة سهلة، فغضب وقال: ليس في العلم شيءٌ خفيفٌ. وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رأيتُ أحداً جمعَ الله عَزَّوَجَلَّ فيه من آلةِ الفُتْيَا ما جَمَعَ في ابن عُيَيْنَةَ، [وما رأيتُ] أسكتَ منه على الفُتْيَا ^(١). وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: لولا الفرق (وهو الخوف) من الله جَلَّوَعَلَا أن يَضِيعَ العلم ما أفْتِيت، يكون لهم المهنة وعليَّ الوزر، وأقوالهم في هذا كثيرةٌ معروفة ^(٢).

(١) وفي (الكامل): "وما رأيت أوقف أو أجبن عن الفتيا منه" الكامل في ضعفاء الرجال (١/١٨٣).

(٢) آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، للإمام النووي (ص: ١٣-١٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سألني

وفي الحديث: استحباب الحرص على لقاء العلماء، وتحشم المشاق في ذلك. وفيه: ترغيب للعلماء أن يتعلموا ما لم يعلموا إلى اللحد، وفيه تحمل مشاق السفر في سبيل كسب العلم، وفيه العكوف على التواضع وكمال الأدب مع المعلم، وفيه: إكرام الفاضل، والعالم وخدمته.

قال القاضي عياض رحمه الله: "وفي شرط الخضر عليه السلام عليه ألا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، الأدب مع العالم، وترك سؤاله؛ إذا نهاه عنه؛ لسبب يقتضيه، وأخذ العفو منه، والوقوف عند حده" (١).

٢ - في الحديث أن طالب الحق لا يفتأ يطلب العلم، ويأخذه عن أهله ما دام به نفس - كما تقدم -.

٣ - تعلم الأدب والصبر في التعلم، والاعتذار عند المخالفة.

٤ - تسليم الماشي والمجتاز على المقيم، والقاعد والمضطجع

٥ - أن النسيان لا يعد ولا يؤخذ به.

٦ - يستفاد من قصة موسى والخضر عليهما السلام: إعمال القاعدة الشرعية في

(مراعاة المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها)، وقاعدة: (احتمال أخف

الضررين)، فإذا تعارضت مفسدتان يجوز دفع أعظمهما بارتكاب أحقهما.

ولكن ذلك لا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة،

وإنما قتل الخضر عليه السلام الغلام لأمر غيبي أطلعه الله عز وجل عليه، وهو أمر خاص من

(١) إكمال المعلم (٣٦٧/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

الله عَزَّجَلَّ له، وليس من التشريع؛ ولذلك أنكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ظهر له؛ لأنَّ الحكم في الشرائع إنما هو على الظاهر - كما بينا غير مرة-؛ إذ لا يجوز في شرائع الله عَزَّجَلَّ قتل نفس من غير موجب، بل إن ذلك من أعظم الموبقات، وأن ما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو تنفيذ لقضاء الله عَزَّجَلَّ في عبادته، وليس له ولا لغيره من الأمر شيء، والله عَزَّجَلَّ هو المتصرف بالعباد، فيقضي على من شاء بالموت صغيراً كان أم كبيراً، وله في ذلك الحكمة البالغة، علمها الناس أو جهلوها؛ إذ لا إحاطة لهم بعلمه.

٧ - الإغضاء على بعض المناكر مخافة أن يتولد من تغييرها ما هو أشد وأكبر - كما تقدم.

٨ - في الحديث: أصلٌ عَظِيمٌ من الأصولِ الشَّرْعِيَّةِ، وهو أَنَّهُ لا اعتراضَ بالعقل على ما لا يُفْهَمُ مِنَ الشَّرْعِ، وأنَّ لا تحسين ولا تقبيحَ إِلَّا بالشَّرْعِ. فما تعبَّد الله عَزَّجَلَّ به خلقه من شريعته ودينه، يجب أن يكون حجة على العقول، ولا تكون العقول حجةً عليه، وفيه أنه يجب التسليم لله عَزَّجَلَّ في دينه، ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك.

٩ - حسن الأدب مع الله عَزَّجَلَّ، وألا يضاف إليه ما يستهجن لفظه.

١٠ - الاستطعام، والسؤال عند الحاجة، والاستئجار على البناء، وجواز استئجار السفن - كما تقدم -.

١١ - إن من الأخلاق الذميمة: رد المحتاج عند الحاجة مع القدرة على إعانته.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

١٢ - إن الله عَزَّجَلَّ محيط بكل شيء علمًا، وإن العباد لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

١٣ - الحكم بالظاهر في الأمور حتى يتبين خلافها.

١٤ - إنكار المنكر والشدة فيه، والغلظة على فاعله

١٥ - استقباح الإساءة للمحسن؛ لقوله في أصحاب السفينة إذ خرقها: «فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ»^(١).

١٦ - قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "في قول الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ [الكهف: ٧٢]، وفي الثانية: ﴿* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ [الكهف: ٧٥]، وفي الثالثة: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] لين الكلمة، والإغضاء للمتعلم أولًا وإن خالفه واعترض، وكذلك الصفح عن ذي المظلمة ممن لم يعرف منه قبل، فإن عاد زجر وأغلظ له القول، وهو كقوله له في الثانية: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ [الكهف: ٧٥]، قال في الحديث: «وهذه أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى»، فإن عاد الثالثة عوقب بالهجر والإبعاد أو غيره من العقاب»^(٢).

١٧ - يجب الرفق بالعلماء، وألا يهجم عليهم بالسؤال عن معاني أقوالهم في كل وقت إلا عند انبساط نفوسهم وانشراح صدورهم، لا سيما إذا شرط ذلك العالم على المتعلم.

(١) إكمال المعلم (٣٦٨/٧).

(٢) المصدر السابق (٣٦٩/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحافظ بن مسعود القشيري الذي ينسب إلى

١٨ - إطلاق (القربة) على (المدينة)؛ لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧]، ثم

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢].

١٩ - الإشارة في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] إلى العلم

اللذي الذي يخص الله عَزَّجَلَّ به من شاء من عباده، وأن مثله لا ينال بالكسب.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (الإكليل): "في هذه الآيات أنه لا بأس بالاستخدام، واتخاذ الرفيق والخادم في السفر، واستحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العالم من العلم، واتخاذ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل، ونسبة النسيان، ونحوه من الأمور المكروهة، إلى الشيطان مجازًا، وتأديبًا عن نسبتها إلى الله عَزَّجَلَّ وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه، ولو كان دونه في المرتبة، واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه مما لا يحتمله طبعه، وتقديم المشيئة في الأمر، واشتراط المتبوع على التابع، وأنه يلزم الوفاء بالشروط، وأن النسيان غير مؤاخذ به، وأن للثلاث اعتبارًا في التكرار ونحوه، وأنه لا بأس بطلب الغريب الطعام والضيافة، وأن صنع الجميل لا يترك ولو مع اللثام، وجواز أخذ الأجر على الأعمال، وأن المسكين لا يخرج عن المسكنة بكونه له سفينة أو آلة يكتسب بها، أو شيء لا يكفيه. وأن الغصب حرام، وأنه يجوز إتلاف بعض مال الغير، أو تعييبه؛ لوقاية باقيه، كمال المودع واليتيم، وإذا تعارض مفسدتان ارتكب الأخف، وأن الولد يحفظ بصلاح أبيه، وأنه تجب عمارة ما يخاف من دوره، ويحرم إهمالها إلى أن تحرب، وأنه يجوز دفن المال في الأرض، وهذه القصة أصل في علم الحقيقة وأن المشرع



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسيد بن الحاج بن مسيد القشيري الذي سبأوري

لا ينكر ما جرى على مقتضاها، واستدل بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] ^(١).

وقال القاضي البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن فوائد هذه القصة: أن لا يعجب المرء بعلمه. ولا يبادر إنكار ما لم يستحسنه؛ فلعل فيه سرًّا لا يعرفه، وأن يداوم على التعلم، ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقال، وأن ينبه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره، ثم يهاجر عنه" ^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: استحباب الحرص على الازدياد من العلم، والرحلة فيه، ولقاء المشايخ، وتحشم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالأتباع، وإطلاق الفتى على التابع، واستخدام الحر، وطوعية الخادم لمخدومه، وعذر الناسي، وقبول الهبة من غير المسلم.. ^(٣).. إلى غير ذلك.

(١) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٧١-١٧٢).

(٢) تفسير البيضاوي (٣/٢٩١).

(٣) فتح الباري (٨/٤٢٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

ض ن

[٣] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ. وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير)، وقال في (التلخيص): "وقد تقدمت قصة موسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في كتاب: (الأنبياء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)"^(٢).

(١) صحيح مسلم (١٨) [٢٧٨٥].

(٢) انظر: تلخيص كتاب مسلم (ص: ١١٩١)، طبعة دار ابن كثير.



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النخعي القشيري الذي تيسر لأبوري

وقال في (المفهم): و"قراءة عشر آيات من أول سورة الكهف في كتاب: (الصلاة)" (١).

وقد تقدم حديث: موسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في موضعه.
كما تقدم حديث: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»، وفي رواية: «مَنْ آخِرِ الْكَهْفِ».
وحديث: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..» الحديث. أخرجه أيضاً: البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ» الآية [الكهف: ١٠٥] (٢).
والحديث فيه مسألتان:

(١) المفهم (٣٦٠/٧).

(٢) صحيح البخاري [٤٧٢٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

المسألة الأولى: بيان المراد من الحديث:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، أي: لا قيمة له ولا قدر؛ إذ لا عمل له يوزن؛ فإنَّ الأعمال هي التي توزن، أي: صحتها، لا أشخاص العاملين.
وقد قال صلى الله عليه وسلم في عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ حُمُوشَةٍ سَاقِيَةٍ؟ هِيَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»، أو كما قال ^(١) أي: الأعمال التي عمل بها أثقل في الميزان، لا أن ساقية توضعان في الميزان ولا شخصه.
قال: وحاصل هذا الحديث يرجع إلى قوله في الحديث الآخر: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» ^(٢) ^(٣).

(١) ونص الحديث - كما في (مسند الإمام أحمد) -: عن أم موسى، قالت: سمعت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة، فضحكوا من حموشة ساقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد». والحديث أخرجه ابن أبي شيبة [٣٢٢٣٢]، وأحمد [٩٢٠]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٢٣٧]، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [٢٣٩]، وأبو يعلى [٥٣٩]، والطبراني [٨٥١٦]، والضياء [٨٠٨] وحسنه. قال الهيثمي (٢٨٨/٩) - (٢٨٩): "رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى، وهي ثقة". و«حموشة ساقية»، أي: دقتها.

(٢) صحيح مسلم (٣٤) [٢٥٦٤].

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٩/٧-٣٦٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي نسب أبو ربي

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "الإشارة بهذا إلى أن القدر إنما يكون بالإيمان والتقوى، وكم من عظيم الجنة لا وقع له؛ لأن الوقع إنما يكون بالمعاني لا بالصور. قال ابن الأعرابي في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ما لفلان عندنا وزن: أي قدر، لخسته. والمعنى: لا يعتد بهم، ولا يكون لهم عند الله عَزَّجَلَّ قدر ولا منزلة" (١).
فالمعنى: لا نقيم للكفار يوم القيامة مقداراً واعتباراً.
وقيل: ميزاناً، فالتقدير: آلة الوزن؛ إذ لا إعمال لهم فيدخلون النار من غير أن يقام لهم ميزان.

المسألة الثانية: بيان ما يرشد إليه الحديث من إصلاح الباطن:
تقدم أن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» الحديث. يرجع إلى ما جاء في الحديث الآخر من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»، وأشار بأصابعه إلى صدره (٢).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٤٣٠)، وانظر: تهذيب اللغة (١٣/١٧٥)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص: ٣٣١-٣٣٢).
(٢) صحيح مسلم (٣٣) [٢٥٦٤]، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي تيسر لبوري

وفي رواية: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١).

وإن من عيوب النفس: اشتغالها بإصلاح الظاهر الذي هو موضع نظر الخلق، وغفلتها عن إصلاح الباطن الذي هو موضع نظر الله عز وجل، والذي هو أولى بالإصلاح من الظاهر. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: ١]، وقال جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ ۝﴾ [الحجرات: ١١].

قال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "ويستفاد من هذا الحديث فوائد: أحداها: صرف الهمّة إلى الاعتناء بأحوال القلب وصفاته، بتحقيق علومه، وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن مذموم الصفات، واتصافه بمحمودها، فإنه لما كان القلب هو محل نظر الله عز وجل، فحق العالم بقدر اطلاع الله عز وجل على قلبه أن يفتش عن صفات قلبه وأحوالها؛ لإمكان أن يكون في قلبه وصف مذموم يمقته الله عز وجل بسببه.

الثانية: أن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدم على الأعمال بالجوارح؛ لتخصيص القلب بالذكر مقدماً على الأعمال، وإثماً كان ذلك لأن أعمال القلوب هي المصححة للأعمال؛ إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلفه، مخلص له فيما يعمل، ثم لا يكمل ذلك إلا بمراقبة الحق فيه، وهو الذي عبر عنه بالإحسان،

(١) صحيح مسلم (٣٤) [٢٥٦٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي حنيفة

حيث قال: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(١)، وقد تقدّم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(٢).

الثالثة: أنه لما كانت القلوب هي المصححة للأعمال الظاهرة، وأعمال القلب غيب عنا، فلا يقطع بمغيب أحد؛ لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة، فعمل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله عَزَّجَلَّ من قلبه وصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الأعمال، ولعل من رأينا عليه تفريطاً أو معصية يعلم الله من قلبه وصفاً محموداً يغفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية، ويترتب عليها: عدم الغلو في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة، بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات المسيئة، فتدبر هذا؛ فإنه نظر دقيق^(٣).
"فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القدر والدنس، ويزينه بما أمكن؛ لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محلُّ نظر الخالق جَلَّوَعَلَا، فيطهره ويزينه؛ لئلا يطلع ربه جَلَّوَعَلَا على دنس أو غيره فيه"^(٤).

(١) صحيح البخاري [٥٠، ٤٧٧٧]، مسلم [٨، ٩، ١٠].

(٢) صحيح البخاري [٥٢]، مسلم [١٥٩٩]، وقد تقدم.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٣٨/٦-٥٣٩)، وانظر: تفسير أبي عبد الله القرطبي (٣٢٦/١٦-٣٢٧).

(٤) انظر: فيض القدير (٢٧٧/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ» أي: نظر الرحمة. «إلى صوركم» المجردة عن السيرة المرضية. «وأموالكم» العارية عن الخيرات والإنفاق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. «ولكن ينظر إلى قلوبكم» التي هي محل التقوى. «وأعمالكم» التي يتقرب بها إليه جَلَّوَعَلَا. قال الإمام النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: "نظر الله عَزَّوَجَلَّ: مجازاته ومحاسبتها، فلا يكون إلا على القلوب دون الصور الظاهرة (١)." .

ومما يدل كذلك على أنه لا ينبغي أن يُقَطَّعَ بعيب أحد؛ لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة الظاهرة، أو المخالفة الظاهرة: حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ» (٢). وفي رواية: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرِ ذِي طَمْرَيْنٍ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ مِنْهُمْ: الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» (٣).

و(الأشعث) يعني: مغبر الرأس، ومتفرق الشعر. قال الإمام النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: هو "المُكَبَّدُ الشَّعْرُ، الْمُغْبَرُّ، غير مدهون ولا مرجل."

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢١).

(٢) صحيح مسلم [٢٦٢٢، ٢٨٥٤].

(٣) أخرجه الترمذي [٣٨٥٤]، وقال: "حسن غريب من هذا الوجه". و«ذي طمرين» - بكسر فسكون - تشية: طمر، وهو الثوب الخلق. و«لا يؤبهُ لَهُ»، أي: لا يبالي به، ولا يلتفت إليه لحقارته.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي يسنن أبو ي

و«مدفوع بالأبواب» أي: لا قَدَر له عند الناس، فهم يدفعونه عن أبوابهم، ويطردونه عنهم؛ احتقاراً له.

«لو أقسم على الله لأبره» أي: لو حلف على وقوع شيء أوفعه الله عز وجل؛ إكراماً له بإجابة سؤاله، وصيانتاً من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله عز وجل، وإن كان حقيراً عند الناس. وقيل: معنى القسم هنا: الدعاء، وإبراره: إجابته " (١).

وقد قال الله عز وجل عمن زين ظاهره وأهمل باطنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، فهؤلاء زينوا ظواهرهم، وأهملوا بواطنهم، فتعهدوا الأعمال الظاهرة، وما تعهدوا القلوب، مع أن القلب هو الأصل؛ إذ لا ينجو يوم القيامة ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

فالقلوب هي محلُّ التقوى، وأوعية الجواهر، وكنوز المعرفة، وميزان التفاضل بين الخلق، قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وعمارة القلب هي العمارة النافعة، والميت في قبره كذلك، ليست بزخرفة القبر، ولا التربة، ولا تزويقها، وإنما العمارة بالصدقة عن ساكنها، وأفعال القرب عنه (٢).

فالتقوى محلُّها القلب، وتظهر آثارها على الجوارح بعمل الطاعات، والانكفاف عن المحرمات.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٤/١٦-١٧٥)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٤٩/٨).

(٢) تسليمة أهل المصائب (ص: ١٩٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحافظ بن مسعود القشيري الذي ينسب لأبوي

وفي الحديث: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات (١).

فإذا برَّ القلب واتقى برَّت الجوارح، وإذا فجر القلب، فجرت الجوارح. وفي ذلك ما يدل على أنَّ ميزان التفاضل بين الخلق، وما يحدد مدى قربهم من الله عزَّ وجلَّ، وإكرام الله عزَّ وجلَّ لهم إنما هو بحسب تقواهم، فربَّ من يحتقره الناس لضعفه، وقلة حظِّه من الدُّنيا هو أعظم قدرًا عند الله عزَّ وجلَّ ممن له قدر في الدنيا، فإنما الناس يتفاوتون بحسب التقوى.

وصلاح القلب إنما يكون بالعقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، وسلوك طريق الاستقامة، والسلامة من الزيف.

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللهُ: "ليس المقصود من القلب: مادته وصورته، وإنما المقصود: النفس الإنسانية المرتبطة به.

وللنفس ارتباط بالبدن كله، ولكن القلب عضو رئيسي في البدن، ومبعث دورته الدموية، وعلى قيامه بوظيفته تتوقف صلوحية البدن، لارتباط النفس به، فكان حقيقاً لأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز.

وصلاح القلب -بمعنى: النفس- بالعقائد الحقَّة، والأخلاق الفاضلة، وإنما يكونان بصحة العلم، وصحة الإرادة، فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله، بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة. وإذا فسدت النفس من ناحية العقد، أو ناحية

(١) صحيح مسلم (٣٢) [٢٥٦٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي نسب أبو ي

الخلق، أو ناحية العلم، أو ناحية الإرادة، فسد البدن، وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد.

فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس، إما مباشرة وإما بواسطة. فما من شيء مما شرعه الله عَزَّجَلَّ لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع عليها بالصلاح. وما من شيء نهى الله عَزَّجَلَّ عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد.

فتكامل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب، وإرسال الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وشرع الشرائع^(١).

فينبغي على الإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وبباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر الله عَزَّجَلَّ منه، فلا عبرة بحسن الظاهر، وزخرف اللسان، مع خبث الجنان.

إن أعمال القلوب لها منزلة عظيمة، وثواب جزيل، وهي مقدمة على أعمال الجوارح؛ وأعمال الجوارح تابعة لها، ومبنية عليها، ولهذا يُقال: القلبُ ملكُ الأعضاء، وبقيةُ الأعضاء جنوده.

(١) آثار ابن باديس (١/٢٣٢-٢٣٣)، تفسير ابن باديس (ص: ٧٣-٧٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي سأل بوري

فإذا كان يجب على المؤمن أن يطهر ظاهره، فباطنه أحق بذلك وأولى، كما دلت على ذلك النصوص، نحو قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١١].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ يعني: من الذنوب. و﴿يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: من الأقدار، فالتطهر شامل للطهارتين الحسية والمعنوية، أي: المتطهرين من الأقدار والأحداث، ومن الفواحش والمنكرات.

وإن أعمال القلوب هي التي تبعث على الأعمال الصالحة، وتُرغِّب في الدار الآخرة، وتزجر عن الأعمال السيئة، وتُرْهِدُ في الدنيا، وتكبح جماح النفس العاتية. ومعنى استقامة القلب: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيمه، ومحبته، وخوفه ورجاؤه، ومحبة طاعته، وبُغض معصيته.

فأعمال القلوب - كما تقرَّر في غير موضع - أشرف عند الله عَزَّوَجَلَّ من أعمال الجوارح؛ لأن القلب محلُّ نظر الحقِّ جَلَّوَعَلَا من العبد، ولأن العبادات القلبية هي الأساس لما بعدها من أعمال الجوارح.

والإسلام ليس مجرد ادِّعاء يدعيه الإنسان بلسانه فقط، ولكنه اعتقاد وقول وعمل.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وإذا أخلص المسلم القصد والنية، وصدق في إسلامه وتوجهه إلى الله عز وجل، أسلمت جوارحه وأذعنت وانقادت، ورق قلبه وانشرح صدره، فجملت أخلاقه، وحسن تعامله، واستقامت حياته.

وإن الأعضاء والجوارح في هذا الجسد، رعية تتبع ملكًا وقائدًا، ذلكم الملك والقائد هو القلب، فهو سيد الجوارح وأمرها وناهيها، فإذا أسلم وصدق في توجهه إلى الله عز وجل أذعنت الجوارح وانقادت لله عز وجل، وإذا استعصى القلب وتكبر وتعالى جمحت الأعضاء وفسدت وأفسدت، فبصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الإرشاد إلى أسباب النجاة، والوسائل الناجعة لحياة طيبة نافعة).

(١) صحيح البخاري [٥٢]، مسلم [١٥٩٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

[ومن سورة مريم]

ض ن

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن حَبَّابٍ، قال: «كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ»، فقال لي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قال: فقلتُ له: «إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ»، قال: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوَفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قال وَكِيعٌ: كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠] (١).

قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، ح وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، ح وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، كلهم عن الأعمش بهذا الإسناد، نحو حديث وكيع، وفي حديث جرير قال: «كنت قيناً، في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل، عملاً فأتيته أتقاضاه» (٢).

(١) صحيح مسلم (٣٥) [٢٧٩٥].

(٢) صحيح مسلم (٣٦) [٢٧٩٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب: سؤال اليهود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الروح، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية [الإسراء: ٨٥]. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير).

وأخرجه البخاري في كتاب: (البيوع)، باب: ذِكْرُ الْقَيْنِ وَالْحَدَّادِ (١).

في كتاب: (الإجارة)، باب: هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب (٢).

وفي كتاب: (الخصومات)، باب: التقاضي (٣).

وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مریم: ٧٧] (٤).

وباب: قوله: ﴿أَظْلَعَ الْعَيْبَ أَمْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مریم: ٧٨] (٥).

(١) صحيح البخاري [٢٠٩١].

(٢) صحيح البخاري [٢٢٧٥].

(٣) صحيح البخاري [٢٤٢٥].

(٤) صحيح البخاري [٤٧٣٢].

(٥) صحيح البخاري [٤٧٣٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وباب: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩] ^(١).

وباب قوله جلَّ وعلا: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠] ^(٢).

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: بيان المناسبة:

لما ذكر الله عزَّ وجلَّ الدلائل على صحة البعث، ثم أورد شبهة المنكرين، وأجاب عنها بما فيه مقنع لكل متأمل ومتدبر، أعقب ذلك بما قالوه على سبيل الاستهزاء؛ طعنًا في القول بالحق والبعث، فقال جلَّ وعلا: ﴿أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، إلى قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠].

المسألة الثانية: بيان سبب النزول:

نزلت الآيات في العاص بن وائل السهمي، قاله جمهور المفسرين، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمرو هو والد عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العبادلة المشهورة. وكان من أمره ما جاء في حديث خباب بن الارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بدري من فقهاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) صحيح البخاري [٤٧٣٤].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٣٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قوله: وفي حديث جرير قال: «كنت قَيْنًا» بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هو الحداد. وهذا أصل هذا اللفظ، وقد يقال على كل صانع.

وفي رواية الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: عن حَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت قَيْنًا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: «لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث»، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتني مالا وولدا فأقضيك، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۚ أَظَلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أُنْخِذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝﴾ [مریم: ٧٧-٧٨] ^(١).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي ^(٢)، وقد كانت للوليد أيضًا أقوال تشبه هذا الغرض.

والمشهور عند جمهور المفسرين أنها في العاص بن وائل. قال أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والأول أصح؛ لأنه مدون في الصحاح" ^(٣).

(١) صحيح البخاري [٢٠٩١، ٢٤٢٥، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤].

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٣/٣٨٧)، الكشف (٣/٣٩)، تفسير الماتريدي (٧/٢٥٦)، المحرر الوجيز

(٣/٤)، مفاتيح الغيب (٢١/٥٦٢)، البحر المحيط في التفسير (٧/٢٩٣)،

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/١٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

المسألة الثالثة: تفسير الآيات:

قوله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾** [مرم: ٧٧]، الاستفهام مستعمل هنا في التعجب، أي: انظر إلى حال هذا الكافر، وتعجب من مقالته الشنيعة، وجرأته على الله عز وجل في قوله: **﴿لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾** [مرم: ٧٧]، قال جار الله الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "لما كان مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخير عنها استعملوا: رأيت في معنى: (أخبر)" (١).

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "ومعنى التعجب فيها: أن إجراءه على ظاهره لا يجوز؛ لأن الاستخبار على عالم الغيب والشهادة محال، فهو تنبيه للمخاطب على ما شاهده وأحاط به علماً، إظهاراً لمعنى الغرابة فيه وإيجاباً عليه إبداء ما لا يجوز إخفاؤه" (٢). قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "والاستفهام في **﴿أَفَرَأَيْتَ﴾** مستعمل في التعجب من كفر هذا الكافر.

والرؤية مستعارة للعلم بقصته العجيبة. نزلت القصة منزلة الشيء المشاهد بالبصر؛ لأنه من أقوى طرق العلم. وعبر عنه بالموصول لما في الصلة من منشأ العجب ولا سيما قوله: **﴿لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾** [مرم: ٧٧]. والمقصود من الاستفهام: لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة، أو إلى تذكرها إن كان عالماً بها.

(١) الكشف (٣/٣٩).

(٢) حاشية الطيبي على الكشف (٣/٥٠٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

والخطاب لكل من يصلح للخطاب فلم يرد به معين.

ويجوز أن يكون خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم^(١).

وقوله جل وعلا: ﴿كَفَرْنَا بِكَ يَا نَبِيَّنا﴾ [مريم: ٧٧]، أي: بآيات القرآن، ومن جملتها: آيات

البعث.

و﴿أَطْلَعَ﴾ همزته استفهام، وأصله: أطلع حذف همزة الوصل، وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة، من قولهم: (اطلع الجبل): إذا ارتقى إلى أعلاه، وطلع الشية. والمعنى أقد بلغ به الأمر إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توخّد به العليم الخبير حتى ادعى أنه يؤتى في الآخرة مالا وولداً وأقسم عليه. واطلع يتعدى بنفسه وبحرف الجر، يقال: اطلع الأمر وعليه: علمه. قال الجوهري رحمه الله: "والطَّلُع بالكسر: الاسم من الإطْلَاع. تقول منه: اطلَّع طُلُع العدو. ويقال أيضاً: كُنْ بَطْلُع الوادي. وطلع الوادي، بالفتح والكسر، كلاهما صواب" (٢).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: " (أطلع) افتعل من طلع للمبالغة في حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء، ولذلك يقال لمكان الطلوع: مَطْلَعٌ - بالتخفيف - ومُطْلَعٌ - بالتشديد -. ومن أجل هذا أطلق الإطْلَاع على الإشراف على الشيء؛ لأن الذي يروم الإشراف على مكان محبوب عنه يرتقي إليه من علوٍّ، فالأصل أن فعل (اطْلَعَ) قاصر غير محتاج إلى التعدية، قال جل وعلا: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ ٥ فَاطْلَعَ فَرَاءَهُ

(١) التحرير والتنوير (١٥٩/١٦).

(٢) الصحاح، للجوهري، مادة: (طلع) (١٢٥٤/٣).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي حنيفة

في سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ [الصفات: ٥٤-٥٥]، فإذا ضُمَّنَ أَطْلَعَ معنى: أشرف عدي بحرف الاستعلاء، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الكهف: ١٨].
فانتصب ﴿الْغَيْبِ﴾ [مرم: ٧٨] في هذه الآية على المفعولية، لا على نزع الخافض كما توهمه بعض المفسرين. قال في (الكشاف): ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب اهـ. فالغيب: هو ما غاب عن الأبصار.

والمعنى: أشرف على عالم الغيب فرأى مالا وولداً معدين له حين يأتي يوم القيامة، أو فرأى ماله وولده صائرين معه في الآخرة؛ لأنه لما قال: فسيكون لي مال وولد عني أن ماله وولده راجعان إليه يومئذ، أم عهد الله إليه بأنه معطيه ذلك فأيقن بحصوله؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ما أعد له يوم القيامة إلا أحد هذين: إما مكاشفة ذلك ومشاهدته، وإما إخبار الله عَزَّوَجَلَّ بأنه يعطيه إياه.

ومتعلق العهد محذوف يدل عليه السياق. تقديره: بأن يعطيه مالا وولداً.
و﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان، وهو استعارة بالكناية، بتشبيه الوعد بصحيفة مكتوبة بها تعاهد وتعاهد بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، موضوعة عند الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الناس كانوا إذا أرادوا توثيق ما يتعاهدون عليه كتبوه في صحيفة ووضعوها في مكان حصين مشهور^(١).
ولما كان ما ادعاه وتألَّى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين:

(١) التحرير والتنوير (١٦٠/١٦-١٦١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَوْرِيِّ

الأول: الاطلاع على الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

والثاني: اتخاذ العهد الموثق من عالم الغيب والشهادة، بأن ذلك كائن لا محالة. ولم يحصل له واحد منهما، فتكون دعوى لا برهان عليها، وهذا ما عناه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَظْلَعَ الْغَيْبِ أَمْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مریم: ٧٨]، أي: هل علم ذلك غيبًا أم أعطي عهدًا، وهو مثل الذي قال: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

وقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ﴿وَوَلَدًا﴾ (٧٧) بفتح الواو واللام على معنى: اسم الجنس الإفرادي، وهو الذي يصدق على القليل والكثير.

وقرأ حمزة والكسائي رَحِمَهُمُ اللَّهُ ﴿وَوَلَدًا﴾ (٧٧) بضم الواو وسكون اللام. قال الفراء رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهم لغتان، كالعُدم، والعَدَم، والوُلْد والوَلَد، وهما واحد. وليس بجمع، وقيس تجعل الوُلْد - بضم الواو - جمعًا، والوَلَد، بفتح الواو، واحدًا" (١).

واختير هنا من أسمائه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [مریم: ٧٨]، لأن استحضار مدلوله أجدر بالوفاء بالعهد، وشكر المنعم على نعمه، ولأنه أمهل مع تماديه في الضلال، وجراته على الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) انظر: معاني القرآن، للفراء (١٧٣/٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً بن الحاج بن مسن القشيري الذي سبأوري

ثم زاد في ذكر ضلاله وزيعه، وبين عاقبته بقوله: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مریم: ٧٩-٨٠].

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّا﴾ هي حرف رَدْعٍ وَزَجْرٍ لما قبلها، وتأکید لما بعدها.

وإن للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب:

أحدها: وهو مذهب جمهور البصريين: أنها حرف رَدْعٍ وَزَجْرٍ، وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن.

وقيل: حرف تصديق بمعنى: نعم، فتكون جواباً، ولا بُدَّ حينئذٍ من أن يتقدمها شيء لفظاً أو تقديرًا، وقد تُستعمل في القسم.

وقيل: هي بمعنى: حقًا.

وقيل: إنها رَدٌّ لما قبلها وهذا قريبٌ من معنى: الرَدْع.

وقيل: صلةٌ في الكلام بمعنى: (إي)، وفيه نظر؛ فإنَّ (إي) حرفٌ جوابٍ، ولكنه مختصٌ بالقسم.

وقيل: هي حرفٌ استفتاح^(١).

والكلام على هذه المذاهب المذكور في النحو.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "وكلا حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق من متكلم واحد، أو من كلام يحكى عن متكلم آخر أو مسموع منه،

(١) انظر: الدر المصون (٦٣٧/٧)، البحر المحيط في التفسير (٢٧٣/٧)،



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

كقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ ٦١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء: ٦١-٦٢].

والأكثر أن تكون عقب آخر الكلام المبطل بها، وقد تقدم على الكلام المبطل للاهتمام بالإبطال وتعجيله والتشويق إلى سماع الكلام الذي سيرد بعدها.. ولكونها حرف ردع أفادت معنى تأملاً يحسن السكوت عليه؛ فلذلك جاز الوقف عليها عند الجمهور..^(١) وتفصيل ذلك في مظهره.

ومد العذاب: إطالته وتعظيمه.

وقوله: ﴿لَأُوتِيَنَّ﴾ جواب قسم مضمّر، ونائب الفاعل مضمّر تقديره: أنا، و﴿مَالًا﴾ مفعول به ثانٍ لأوتين.

وقد كان قد قال: لئن بعثت كما يزعم محمد ليكون لي هناك مال وولد، وهو الوجه الذي يتوافق مع حديث: حديث: العاص بن وائل، والمعنى: أننا نزوى عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة.

قال الزمخشري رحمه الله: "ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله عز وجل في الدنيا مالاً وولداً، وبلغت به أشعبيته، أي: طمعه إلى أن تألى على ذلك في قوله: ﴿لَأُوتِيَنَّ﴾؛ لأنه جواب قسم مضمّر، ومن يتألى على الله يكذبه، فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناك ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠] في الآخرة فرداً لا يصحبه

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٦١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

مال ولا ولد، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية [الأنعام: ٩٤]، فما يجدي عليه تمنيه وتأليه؟!".

ولا يخفى أنه احتمال بعيد جدًا في نفسه ومن جهة سبب النزول - كما ذكر الألويسي رَحِمَهُ اللَّهُ - (١).

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيًّا، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضًا له، منفردًا عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبتته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيه به. ﴿وَيَأْتِينَا﴾ على فقره ومسكنته. ﴿فَرَدًا﴾ من المال والولد، لم نوله سؤاله، ولم نؤته متمناه، فيجتمع عليه الخطبان: تبعة قوله ووباله، وفقد المطموع فيه" (٢).

ولما كان الوجه الأول هو الوجه، لما سبق من حديث العاص بن وائل، قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ فيما بعده من الوجهين الآخرين: "ويحتمل".

وإنما يذكر؛ للتوسع في الاستنباط على سبيل الفرض والتقدير، للعاص ولمن شابهه؛ فإن المشابهة حاصلة في تماديهم في الزبغ والضلال في جميع أحوالهم.

وقال أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأصح ما قيل في هذا أن معنى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ [مریم: ٨٠] معناه: نحفظ عليه ما يقول حتى نوفيهِ عقوبته عليه، ومن هذا حديث

(١) انظر: روح المعاني (٤٤٨/٨).

(٢) الكشف (٤٠/٣ - ٤١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العلماء ورثة الأنبياء» ^(١)، ومنه وأورثكم أرضهم وديارهم" ^(٢).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "الإرث: مستعمل مجازاً في السلب والأخذ، أو كناية عن لازمه وهو الهلاك.

والمقصود: تذكيره بالموت، أو تهديده بقرب هلاكه.

ومعنى إرث أولاده أنهم يصيرون مسلمين فيدخلون في حزب الله جَلَّ وَعَلَا؛ فإن العاصي ولد عمروا الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهشاماً الصحابي الشهيد يوم أجنادين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهنا بشارة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونكاية وكمد للعاصي بن وائل.

والفرد: الذي ليس معه ما يصير به عدداً، إشارة إلى أنه يحشر كافراً وحده دون ولده، ولا مال له، وفرداً حال" ^(٣).

(١) جاء في الحديث: «من سلك طريقاً يتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها؛ رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيثان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» أخرجه أحمد [٢١٧١٥]، والدارمي [٣٥٤]، وابن ماجه [٢٢٣]، وأبو داود [٣٦٤١]، والترمذي [٢٦٨٢] وقال: "لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل. ثم أورد له إسناداً، وقال: هذا أصح". وأخرجه أيضاً: ابن الأعرابي [١٥٦٤]، وابن حبان [٨٨]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٥٧٤].

(٢) معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٥٨/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٦٣/١٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري

المسألة الرابعة: فقه الحديث:

١ - الاعتبار بحال أهل الضلال ومآلهم، والاعتبار ردُّ الشيء إلى نظيره بأن يحكم عليه بحكمه؛ ولذا سمي الأصل الذي تردُّ إليه النظائر عبرة.

٢ - بيان جريان سُنَّة الله عَزَّوَجَلَّ في المستقبل لكلِّ من عصى وفعل سوءًا، كما كانت جارية في الماضي، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿٣٤﴾ [فاطر: ٤٣-٤٤].

وقد فصلت القول في ذلك في كتاب: (الزَّمان والهداية والاعتبار في قصص القرآن والأحاديث والأخبار).

٣ - قال ابن بطلال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه: أن الكلمة من الاستهزاء قد يتكلم بها المرء فيكتب الله عَزَّوَجَلَّ له بها سخطه إلى يوم القيامة، ألا ترى وعيد الله جَلَّوَعَلَا له على الاستهزاء بقوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿٧٦﴾ وَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ [مریم: ٧٩-٨٠]." .

٤ - قال ابن بطلال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه: جواز الإغلاظ في اقتضاء الدين لمن خالف الحق، وظهر منه الظلم والتعدي" (١).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٦/٢٢٣-٢٢٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّيبِ بَابُورِي

٥ - قال ابن بطلال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه من الفقه: أن الرجل الفاضل إذا كان له دين عند الفاسق والكافر أنه لا بأس أن يطلبه ويشخص فيه بنفسه، ولا نقيصة عليه في ذلك؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهي عن إضاعة المال" (١).

(١) المصدر السابق (٥٤٤/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

[ومن سورة الأنبياء]

ض ن

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن ابن شهاب، حدثني ابن المسيب، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» (١).

[٢] وروى بسنده: عن سالم بن عبد الله، أخبرني عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» (٢).

(١) صحيح مسلم (٢٣) [٢٧٨٧].

(٢) صحيح مسلم (٢٤) [٢٧٨٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

تخريج الحديث:

١ - حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه مسلم في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار). باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ

ولم يذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (التلخيص)، وقد شرح ما أشكل فيه في (المفهم) في كتاب: (التفسير)، ونقل في المطبوع إلى المتن؛ بناء على جاء في الشرح من إثباته. وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يطوي» بدل: «يقبض»، وفي رواية: «يأخذ»^(١).

والحديث أخرجه البخاري في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]: عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات يمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»^(٢). وفي كتاب: (التوحيد)، باب قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: ٧٥] بلفظ: «يقبض الله الأرض»^(٣).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٦٣/٧).

(٢) صحيح البخاري [٤٨١٢].

(٣) صحيح البخاري [٧٤١٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وأخرجه البخاري في كتاب: (الرقاق)، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١). وفي كتاب: (التوحيد)، باب: قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]^(٢). ٢ - حديث: عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه مسلم في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار). وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير) من سورة تنزيل (الزمر) - كما سيأتي -.

وأخرجه البخاري في كتاب: (التوحيد)، باب قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ» رواه سعيد، عن مالك، وقال عمر بن حمزة: سمعت سالما، سمعت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا^(٣). وفي الحديث مسألتان:

(١) صحيح البخاري [٦٥١٩].

(٢) صحيح البخاري [٧٣٨٢].

(٣) صحيح البخاري [٧٤١٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

المسألة الأولى: مناسبة ذكر الحديث في كتاب التفسير، وفي سورة الأنبياء:

مناسبة ذكر الحديث في سورة الأنبياء هو أنه يذكر في تفسير قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فما صرح به في الحديث من الطي جاء صريحاً في آية الأنبياء (١).

وأما القبض والطي فجاء مصرحاً بهما في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

المسألة الثانية: بيان المراد من الحديث:

جاء ذكر طي السماء في قوله جل وعلا: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وجاء ذكر القبض والطي في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. وفي حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر القبض والطي.

وفي حديث: عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكر الطي والأخذ.

وفي (صحيح مسلم): عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ،

(١) انظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٤١١/٣)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ٩٣٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

فيقول: أنا الله - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ » حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنَبْرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ (١).

وفي رواية: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْمَنَبْرِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَزَّجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ» (٢).

وذكر يد الله عَزَّجَلَّ أو يديه وأنه يَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ونحو ذلك هو ما يعرف بالصفات الخبرية، أي: التي جاء بها الخبر، وهي ذات خصيصتين:

أولاهما: أنه لا يتوقف على شيء منها ألوهية الإله جَلَّ وَعَلَا. خرج عن ذلك الصفات التي يتوقف عليها ألوهية الله جَلَّ وَعَلَا، كالعلم والقدرة والإرادة، فلا يكون إلهًا إلا وله علم، وله قدرة، وله إرادة فهي صفات معاني لا صفات خبرية.

الخصيصة الثانية: أنه لا يفهم من ظاهرها إلا أبعاد أو أعراض جسمية أو نفسية لا يليق اتصاف الباري جَلَّ وَعَلَا بشيء منها.

والظاهر الذي يفهم منه بعضًا أو عرضًا مستحيل على الله عَزَّجَلَّ؛ لقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وتفصيل ذلك في مظانه.

(١) صحيح مسلم (٢٥) [٢٧٨٨].

(٢) صحيح مسلم (٢٦) [٢٧٨٨].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

وحاصله أن من العلماء من ذهب إلى التأويل، كالقاضي عياض، والقرطبي، والنووي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ومن وافقهم. حيث قال القاضي: "أمثل ما يتأول عليه الحديث عندي: أن الله جَلَّ وَعَلَا أراد أنه يطوي السماوات والأرض بقدرته، وكفى عن ذلك بذكر اليد؛ لأن بها فعلنا نحن، وبها تصرفنا، فخطب بما يفهم، وبما خرج إلى الحس والوجود؛ ليكون المعنى أوكد وأرسخ في نفس السامع. وذكر اليمين والشمال حتى يورد المثال على كماله؛ ولما علم أنا نحن نتناول ما يكرم باليمين، وما دونه بالشمال، وأنا نقوى بأيماننا على أشياء لا نقوى عليها بشمائلنا، وكانت السماوات أعظم بما لا يتقارب ولا يتداني من الأرضين، أضاف فعله فيها إلى اليمين، وفعله في الأرضين إلى الشمال على حسب ما قلناه من أنا نحاول الأصعب باليمين والأخف بالشمال وإن كان جَلَّ وَعَلَا ليس شيء أخف عليه من شيء ولا شيء أصعب من شيء، ولكنه جَلَّ وَعَلَا خاطبنا بما نفهم. ولما ذكر اليد تمثيلاً أتم المعنى على التمثيل بعينه. ولا يبعد أن يكون في السماوات ما هو أفضل من الأرض وكل ما فيها، لا سيما إذا قلنا بتفضيل الملائكة على ما تقدم، وذكر الخلاف فيه أن يكون الباري جَلَّ وَعَلَا يفضل السماوات لأمر تخفى عنا، فيكون أضافها إلى اليمين؛ لما قلناه من اختصاص اليمين بالأشرف، والشمال بما دونها، وجرى في ذلك على حكم التمثيل الذي به افتتح فختم عليه، وهو الذي ظهر لي من هذا الحديث.

وقال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنه جاء في هذا الحديث باختلاف رواياته ثلاثة ألفاظ: «يقبض»، و«يطوي»، و«يأخذ». والطي والقبض راجعان إلى معنى الجمع، وكلها بمعنى: الجمع؟ لأن السماوات مبسوطة، والأرض مدحوة ممدودة، وهما راجعان إلى معنى



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوي

اللفظ الآخر، ثم يرجع ذلك إلى معنى الرفع والزوال، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات، فعاد كل ذلك إلى ضمها بعضها إلى البعض ورفعها وإبادتها وتبديلها بغيرها.

وقبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصابعه بعد وبسطها تمثيلاً لصفة قبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها، وحكاية للمقبوض والمبسوط التي هي السماوات والأرض، لا عن القبض والبسط الذي هو صفة القابض الباسط لا إله غيره، ولا تمثيلاً لصفة الله عَزَّ وَجَلَّ السمعية المسماة باليد، التي ليست بجارحة ولا عضو ولا لها كيفية" (١).

وذكر الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن اختلاف الروايات الثلاث: «يقبض»، و«يطوي»، و«يأخذ» يدل على أنه نقل بالمعنى، وأن اللفظ الذي قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتعين. قال: وحاصل مدلول هذه الألفاظ أنه جَلَّ وَعَلَا يفعل في السماوات والأرض فعلاً، وهو أنه يقبض مبسوطهما، ويطمس أنوارهما، فعبر عن ذلك بعبارات مختلفة. قال: واليد تطلق في اللسان على القدرة والنعمة، والمراد بها هنا: القدرة، وكذلك الإصبع " (٢).

* ومنهم من قال: الواجب إمرار هذه النصوص كما جاءت، والتصديق بها مع اعتقاد أن صفة الخالق جَلَّ وَعَلَا لا تماثل صفة المخلوق، ورأى عدم الخوض في ذلك إلا

(١) إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣١٨/٨-٣١٩)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٧٢/١١-٣٧٣).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٦٢/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً للحجاج بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ي

إذا أثبتت شبهة، فيتصدى لها أولو العلم بالحجة والدليل بما يتوافق مع المسلمات من قواعد اللغة، والمبادئ الشرعية والعقلية.

والخير كل الخير في اتباع مذهب السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ في عدم الخوض في الصفات الخبرية إلا إذا أثبتت شبهة فيتصدى لها فقط الراسخون من أولي العلم وأرباب البصائر.

وتتفق المذاهب الإسلامية عند أهل السنة والجماعة على إثبات الكمال المطلق لله عَزَّجَلَّ، وتنزيهه عن النقص، ولكنهم يختلفون في تحقيق هذا المعنى، ويجب أن نؤكد هنا على أمر مهم، هو أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يخوضوا في هذه القضايا؛ حيث لم تثر الشبهة في زمانهم، حتى يكونوا المرجعية في تأييد أحد المذاهب، وأن الاجتهاد في هذه القضايا أمر حادث بعد القرون الأولى المفضلة، فيجب على جميع المختلفين، ما دام اختلافهم في حدود اللغة والاجتهاد أن لا تختلف قلوبهم وإن اختلفت آرائهم في تحقيق ذلك المقصد.

ومن المؤسف أن نرى في زماننا الكثير من الجهال، ومن المبتدئين في طلب العلم يتهمون على علماء كبار دون وعي منهم، ولا فهم، ولا بصيرة.

* وقوله في حديث: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ» كذا جاء في هذه الرواية بإطلاق لفظ: (الشمال) على يد الله عَزَّجَلَّ. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا يكاد يوجد في غير هذه الرواية، وإنما الذي اشتهر في الأحاديث: «وبيده الأخرى».



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقد تحرّز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إطلاق لفظ: (الشمال) على الله عَزَّجَلَّ فقال: «وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»^(١)؛ لئلا يُتوهم نقص في صفة الله عَزَّجَلَّ؛ فإن (الشمال) في حقنا أضعف من اليمين وأنقص، فنفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله عَزَّجَلَّ ذلك، لكنه جاء في هذا الحديث كما ترى على المقابلة المتعارفة في حقوقنا - والله تعالى أعلم -^(٢).

* وقوله: «ويقبض أصابعه ويبسطها» ظاهره: أنه خبر عن الله عَزَّجَلَّ. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ووجهه ما ذكرناه. وقال بعض علمائنا: هو خبر عما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه قبض أصابعه وبسطها، فيخف الإشكال، ويكون ذلك إشارة بالحواس إلى المعان - والله تعالى أعلم -^(٣).

* وقوله في المنبر: «حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ» قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ظاهر حركة المنبر أنها إنما كانت لحركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن تكون حركة المنبر مساعدة لحركة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كرامة وزيادة في دلالة صدقه، كحنين الجذع، وتسبيح الحصى وما أشبه ذلك"^(٤).

(١) صحيح مسلم [١٨٢٧].

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٩٢/٧ - ٣٩٣).

(٣) المصدر السابق (٣٩٣/٧).

(٤) المصدر السابق (٣٩٣/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيِّدُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيِّدٍ الْقَشِيرِيِّ الَّذِي سَمَّا بُوْرِي

* وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] السجل: الصحيفة، والكتاب مصدر، أي: كما يطوي السجل؛ ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه

ويقرأ: (السَّجْل) - بتخفيف اللام-، فمن حَقَّفَ أَسَكَّنَ الجيم. واللام في ﴿لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] للتبيين.

وقال القاضي البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمراد بالطي ضد النشر أو الحو من قولك: (اطو عني هذا الحديث)؛ وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم عَلَيْهِ السَّلَام، فإذا انتقلوا قوضت عنهم" ^(١)، فعبر بذلك عن إفناء الله عَزَّجَلَّ هذه الأرض المقلّة، والسماء المظلة، بقدرته الباهرة التي تهون عليها الأفعال العظام التي تتضاءل دونها القوى والقدر، وتتحير فيها الأفهام والفكر، على طريقة التمثيل والتخييل.

وأنكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فناء السماوات والأرض وإعدامها إعدامًا صرفًا، وادّعى أن التَّصَوُّصَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى تَبْدِيلِهِمَا وَتَغْيِيرِهِمَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ^(٢). قال الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويُبعد القول بالإفناء ظاهراً التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ فَإِنَّ الَّذِي يَطْوِي السِّجْلَ، وَهُوَ الصَّحِيفَةُ وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِصَحِيفَةِ الْعَهْدِ، وَقِيلَ: هُوَ فِي الْأَصْلِ حَجَرٌ يَكْتَبُ فِيهِ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ كُلُّ مَا يَكْتَبُ فِيهِ مِنْ قُرْطَاسٍ وَغَيْرِهِ، لَا يَفْنِيهِ بِالطِّي، بَلِ الْكِتَابُ مُوجُودٌ بَعْدَهُ، وَهَكَذَا السَّمَاءُ إِذَا طُوِيَتْ لَا تَفْنَى،

(١) تفسير البيضاوي (٦١/٤-٦٢).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٣٥/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبي

والكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض أجزاءها وبه يتعلّق الطي حقيقة، ثم إن الطي لا يختص بسماء دون سماء، بل تطوى جميعها؛ لقوله جلّ وعلا: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] (١).

ومعنى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أي: نعيد أول خلق إعادة مثل بدئنا إيّاه، أي: في السهولة وعدم التّعذر، أو في كونها إيجاداً بعد العدم، أو جمعاً من الأجزاء المتفرقة، وهو كقوله جلّ وعلا: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤]، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، أي: وهو هين عليه، وأهون فيما يجب عندكم، وينقاس على أصولكم، وتقتضيه عقولكم، وإلا فالابتداء والإنشاء عنده سواء.

وقيل: المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأنهم كما جاء في الحديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] (٢).

(١) انظر: روح المعاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (٩/٩٤)، ما دل عليه القرآن، لأبي المعالي محمود شكري الألوسي (ص: ١٠٣).

(٢) صحيح البخاري [٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٧٤٠، ٦٥٢٦]، مسلم [٢٨٦٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، تأكيد لوقوع الإعادة والبعث.

وقد حمل ابن الزملكاني رحمه الله قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] على التخيل، حيث قال: "التخيل: تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد، وأنه مما يظهر في العيان، كقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].." (١).

والحمل على التخيل هو ما صرح به الزمخشري رحمه الله في التفسير، حيث قال: "لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره؛ عظمه حق تعظيمه قيل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقرئ بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخيل، فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

قال: والغرض من هذا الكلام - إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه -: تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله، لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقية أو جهة مجازية؛ فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقع على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظيمة التي تتحير فيها

(١) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، لابن الزملكاني (ص: ١٧٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي بكر القشيري الذي سبأوري

الأذهان هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه، إلا بما تؤديه هذه العبارة من التخيل" (١).

ونحوه: قول القاضي البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ: "وفي الآية تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخيل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم: (شابت لمة الليل) (٢)، ...

والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى: القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة" (٣).

قال جاز الله الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "ولا تكاد تجد باباً في علم البيان اللفظ، ولا أدق، ولا أعون على تعاطي المتشابهات من كلام الله عَزَّجَلَّ في القرآن، وسائر الكتب السماوية،

(١) الكشف (١٤٢/٤)، وانظر: مفاتيح الغيب (٤٧٣/٢٧)، البحر المحيط في التفسير (٢٢٠/٩)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١٣٢-١٣١/٢).

(٢) قال الشيخ مصلح الدين في (حاشيته على البيضاوي): "قوله: (شابت لمة الليل) اللمة - بالكسر -: شعر الرأس الذي يرسل إلى المنكب هذا من باب الاستعارة بالكناية حيث شبه الليل بالآدمي، وأثبت له: (اللمة) التي هي من لوازم المشبه به، وذكر الشيب ترشيحاً للاستعارة، وتركيب الاستعارة فيه أن فيه استعارتين: أحدهما: استعارة مكنية، وهي استعارة لفظ: (الإنسان) لليل، أو تشبيه الليل بإنسان له لمة على اختلاف الرائيين في الاستعارة المكنية. والأخرى تخيلية مصرح بها، وهي استعارة لفظ: (اللمة) للشعر المخيل في الليل، وإثبات اللمة لليل، على اختلاف المذهبين في التخيل الذي هو قرينة الاستعارة بالكناية" حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (٥٠٩/٧).

(٣) تفسير البيضاوي (٤٨/٥)، وانظر: تفسير النسفي (١٩٢/٣)، تفسير أبي السعود (٢٦٢/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد الإمام الحافظ بن مسعود القشيري الذي ينسب لبوري

وكلام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهُ وَعَلَيْتَهُ^(١) تَحْيِيلَاتٌ قَدْ زَلَّتْ فِيهَا الْأَقْدَامُ قَدِيمًا، وَمَا أَتَى الزَّالُونَ إِلَّا مِنْ قَلَّةٍ عَنَائِتُهُمْ بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ فِي عِدَادِ الْعُلُومِ الدَّقِيقَةِ عِلْمًا لَوْ قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ أَنَّ الْعُلُومَ كُلَّهَا مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ، وَعِيَالٌ عَلَيْهِ، إِذْ لَا يَحِلُّ عَقْدُهَا الْمَوْرَبَةِ، وَلَا يَفُكُّ قِيُودُهَا الْمَكْرَبَةِ إِلَّا هُوَ، وَكَمْ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ التَّنْزِيلِ، وَحَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ ضَيَّعَ، وَسَيِّمَ الْخُسْفَ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْغَثَّةِ، وَالْوُجُوهِ الرَّثَّةِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَأَوَّلَ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ فِي عَيْرٍ وَلَا نَفِيرٍ، وَلَا يَعْرِفُ قَبِيلًا مِنْهُ مِنْ دَيْرٍ^(٢)، يَرِيدُ بِهِ: (عِلْمُ الْبَيَانِ).

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ أَيْضًا: إِنَّ كِتَابَهُ هَذَا مِمَّا ضَيَّعَ، وَسَيِّمَ الْخُسْفَ حَيْثُ أَجْرِيَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ، وَلَمْ يَفْتَشْ عَنْ مَكْنُونِ ضَمَائِرِهِ، وَأَنْ مَنْ تَصَدَّى لَهُ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ وَافٍ، وَلَا حِظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَيْنِ الْعُلَمَاءِ^(٣)، حَتَّى احْتَجَبَتْ عَنْهُ مُسْتَتَرَاتٌ دَقَائِقُهُ، وَعَمَتْ عَلَيْهِ مُسْتَوْدَعَاتُ حَقَائِقِهِ^(٤).

فيعتبر في التخييل على هذا: النظر الكلي إلى الجملة، وأخذ الكلام على جملة. وبناء على ما تقدم فلا تناقض في كلام الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ ولا غرابة، وإنما هي اصطلاحات واستعمالات تعلم من خلال استقراء كلامه، وفهم طريقته، وتخرج كل اصطلاح عنده على حسب المكان اللائق به؛ لمعرفة مراده، كما هو صنيع العلامة

(١) أي: معظمه.

(٢) الكشف (١٤٣/٤).

(٣) يريد كلاً من علمي: (المعاني)، و(البيان).

(٤) حاشية الطيبي على الكشف (١/٦٦٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَوْرِيِّ

الطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (حاشيته على الكشاف) حيث بيّن مراد الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كثير من المواضع.

وقد أفاد ابن المنير رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِنْ عَنِ بِمَا أَجْرَاهَا هَاهُنَا مِنْ لَفْظِ: التخييل والتمثيل، فَإِنَّ الْعِبَارَةَ مُوَهِّمَةٌ مَنْكَرَةٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا تَلِيقُ بِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - (١).

وهو يعني أَنَّ النّظْرَ الْكُلِّيَّ إِلَى الْجُمْلَةِ، وَأَخَذَ الْكَلَامَ عَلَى جُمْلَتِهِ دُونَ اعْتِبَارِ لِمَفْرَدَاتِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مِشَارَكَةٌ فِي تَكْوِينِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ مَنْكَرًا، وَلَا سِيَّمَا فِي مَجَالِ الْغَيْبِ، وَفِيمَا لَهُ صِلَةٌ بِبَيَانِ صِفَاتِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا؛ إِذْ إِنَّ مِثْلَ هَذَا النّظْرِ يَفْتَحُ الْبَابَ لِلتَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ - كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَدْ بَيَّنْتَ ذَلِكَ فِي (مَجَارِي الْكِنَايَةِ).

وَلَكِنْ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مَأْخُذًا عِنْدَ اعْتِبَارِهِ دُونَ اعْتِبَارِ تَفْسِيرِ مَفْرَدَاتِ الْكَلَامِ أَوَّلًا، وَحَمَلَ كُلَّ لَفْظٍ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ التَّأْوِيلِ عَلَى هُوَ مُقَرَّرٌ فِي قَوَاعِدِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ عِنْدَ قَرِينَةِ امْتِنَاعِ إِجْرَاءِ الْلفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَالْبِنَاءِ عَلَى ذَلِكَ فِي فَهْمِ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ الَّتِي يَتِمُّثَلُ فِي ذِكْرِ الْخُلَاصَةِ وَالزُّبْدَةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ تَفْسِيرِ الْمَفْرَدَاتِ أَوَّلًا، ثُمَّ إِنْ الْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ فَيَمَّا كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِنَّمَا يَكُونُ حَمَلًا ثَانِيًا مُسْتَفَادًا مِنَ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ التَّأَمُّلِ فِي الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَفْرَدَةِ، وَأَخَذَ زُبْدَةَ

(١) حاشية ابن المنير على الكشاف (١٤٢/٤).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

المعنى المستفاد من جملة الكلام، وهو ما يعبر عنه بالصورة الكلية، وعلى هذا يحمل أيضاً قول من قال: إنه نوع من الإيماء.

فإطلاق مسمى: (الكناية) على ما كان من هذا القبيل عند الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ إنما يصار إليها عند عدم إجراء اللفظ على ظاهره، فيكون تفسير المعنى المفرد على هذا من المجاز عنده؛ لامتناع حمله على الظاهر، ويكون الحمل على الكناية عقب ذلك على جملة الكلام اعتباري.

ولا وجه لحمل كلام الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ في قوله: (من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة، أو جهة مجاز) على المجاز المرسل، بل إن في كلامه ما يدل على نفيه، حيث إن الاعتبار فيما كان من هذا القبيل إنما هو بالنظر إلى جملة الكلام خارجاً عن الحقيقة وعن المجاز، أي: المجاز المرسل، فقيده بكونه خارجاً عن الحقيقة وعن المجاز المرسل كذلك؛ لإخراجهما، وتمييز المجاز المرسل عن مجاز الاستعارة التمثيلية التخيلية؛ لأن ما يفهم من كلامه أنه في حال التجوز بالصورة المركبة لا توصف المفردات بالحقيقة أو المجاز مطلقاً؛ لأن المفردات تصبح كأنها حروف في الكلمة المفردة، وهذا أثر من آثار المزج بين المفردات في الاستعارة المركبة، فلا ينظر فيها إلى المفردات إلا من جهة مشاركتها في تكوين الصورة^(١).

(١) انظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للأستاذ الدكتور محمد أبو موسى (ص: ٥٢٦-٥٢٧)، وانظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١٣٢/٢)، شروح التلخيص (٣٦-٣٥/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام الخفاف بن مسعود القشيري النيسابوري

وفي (الانتصاف): لفظ: (التخيل) عبارة موهمة.

وليس المراد من (التخيل) هنا: تخيل الاستعارة بالكناية، كما يوهمه تشبيهه بقولهم: (شابت لمة الليل) - كما حقق ذلك كل من العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللهُ فِي (حاشيته على الكشاف)، والشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ فِي (حاشيته على البيضاوي).

قال العلامة الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "المراد بـ: (التخيل): التصوير؛ بأن تخيل عند ذكرك هذه الأشياء في ذهنك معنى عظمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ليمتلئ قلبك رعباً ومهابة، ويحصل لك من ذلك روعة وهزة لم تحصل من مجرد قولك: (عظمة الله)، كما إذا أردت أن تقول بدل: (فلان جواد): (فلان كثير الرماد)، فأنت عند ذكرك: (كثير الرماد) متصور كثرة إحراق الحطب، ثم كثرة الطبخ، ثم كثرة تردد الضيفان، فتجد من الروعة ما لا تجده إذا قلت: فلان جواد، والأسلوب من الكناية الإيمائية، نحوه قول البحري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول؟^(١)

واعلم أن الإمام رَحِمَهُ اللهُ أورد في هذا المقام إشكالاً في سورة: (طه)، وأجبنا عنه^(٢).

وقال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ: "والمراد بالتخيل: ما يقابل التصديق، كما في

قولهم: الناس للتخيل أطوع منهم للتصديق، وهو ما سلف من المقدمات المتخيلة، لا تخيل الاستعارة بالكناية، كما يوهمه تشبيهه بقولهم: (شابت لمة الليل)، فما قيل في كتب القوم: إنَّ القياسات الشعرية وإن أفادت الترغيب والترهيب لا تنبغي للنبي

(١) ديوان البحري (١٧٤٩/٣).

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف (٤٣٠/١٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَأَنَّ مدارها على الكذب؛ ولذا قيل: أعذبه: أكذبه^(١). واعلم أن المراد أنه استعارة تمثيلية تخيلية؛ فَإِنَّ التمثيل يكون بالأمر المحققة، كما في (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى)، ويسمى: (تمثيلاً تحقيقيًا)، وقد يكون بالأمر المفروضة، ويسمى: تمثيلاً تخيليًا، وقد بسطه في (الكشاف) أحسن بسط^(٢). وفي (حاشية الشيخ القنوني رَحِمَهُ اللَّهُ): "وهذا يؤيد كون ما نحن فيه: استعارة تمثيلية، وتوضيحها: أن الهيئة المأخوذة من عظمته جَلَّ وَعَلَا بحيث يستحق دونهما جميع من سواه، ونفاذ قدرته في الأمور العظام إيجادًا وإعدامًا بحيث يكون خلق جميع المخلوقات كخلق أمر واحد بالهيئة المنتزعة بشخص وقبضته الأرض جميعًا والسماوات مطويات بيمينه، فذكر ما هو الموضوع للمشبه

(١) قد قيل: إن أعذب الشعر: أكذبه. قال الحافظ ابن كثير: "ولذلك فإنك تجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء، أو الخيل، أو الخمر، أو في مدح شخص معين، أو فرس أو ناقة، أو حرب، أو سبع -مثلاً-، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعبر على التعبير على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيها بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد، وسائرهما هذر لا طائل تحته. وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب، وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكررت حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن..". تفسير ابن كثير (٢٠٠/١). وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٣٥٠/٧).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

به، وأريد المشبه، لكن المشبه به أمر مفروض متخيل، لا تحقيق له إلا في التصور والخيال؛ لتوضيح عظمة الملك المتعال؛ ولذا قال: والتخيل بعد قوله: التمثيل. وهذا نظير ما قيل في قوله جلّ وعلا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية^(١).

ويلاحظ من كلام الزمخشري رحمه الله في (التفسير) أنه لا يفرق بين التخيل والتمثيل في كثير من المواضع، كما في نحو: تفسيره لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقوله جلّ وعلا: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وثمة صلة بين التمثيل والتخيل؛ إذ إن التخيل نوع من التمثيل، إلا أنه تمثيل خاص بكون المشبه به فيه أمرًا مفروضًا. فالتخيل لا يخلو عن التمثيل، والتمثيل يكون من غير تخيل، فبينهما عموم وخصوص. وقد فصلت القول في ذلك في (مجاري الكناية في اللغة وعلم البيان والتفسير والفقه وأصوله).

و"قوله: «أنا الملك» بكسر اللام، أي: ذو الملك على الإطلاق.
«أين ملوك الأرض؟» العبد إذا وصف بالملك فوصف الملك في حقه مجاز، والله جلّ وعلا مالك الملك، فالملك مملوك المالك، فإذا لا ملك ولا مالك إلا هو، وكل ملك في

(١) حاشيتا القنوي على البيضاوي (١٦/٥٧٥-٥٧٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَاجِّ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

الدنيا ملكة عارية منه جَلَّوَعَلَا، مستعار مردود إليه، وإليه الإشارة بقوله في المحشر: ﴿لَمَنِ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ط لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]، ومن ثم سمي نفسه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
﴿١﴾﴾ [الفاتحة: ٤]؛ لأن العارية من الملك والملك عادت وردت إلى مالِكها ومعيَرها. وقوله
جَلَّوَعَلَا: «أين ملوك الأرض؟» هو عند انقطاع زمن الدنيا، وبعده يكون البعث" (١).

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٠١/٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

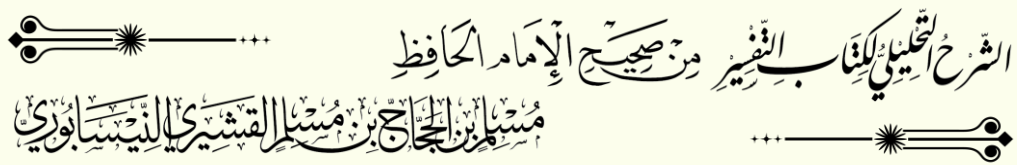
[ومن سورة الحج]

ن

* روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن عمرو بن زرارة، حدثنا هشيم، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقسم قسمًا: إن ﴿* هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] «إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة»

* وفي رواية: عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، ح وحدثني محمد بن المثنى، حدثنا عبد الرحمن، جميعًا عن سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر يقسم لنزلت: ﴿* هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩] بمثل حديث هشيم (١).

(١) صحيح مسلم (٣٤) [٣٠٣٣].



تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (التفسير)، وفيه: باب في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿* هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]:

وقد تقدم غير مرة أن الأحاديث في كتاب: (التفسير) بعضها مبوب، وبعضها غير مبوب، والذي يظهر أن هذا التبويب هو من فعل الشراح؛ ولم يأت في المطبوع منه متكاملًا ولا مرتبًا.

كما أن الأحاديث في كتاب: (التفسير) بالاعتبار السابق لم تأت موافقة لترتيب السور في المصحف.

والحديث ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَاب: (التفسير) مرتبًا على وفق ترتيب السور
فِي الْمَصْحَف.

والحديث أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي (صحيحه)، في كتاب: (المغازي) باب: باب قتل أبي جهل: عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ^(١).

وفي كتاب التفسير، باب: ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] (٢).

كما أخرج البخاري رَحِمَهُ اللهُ باب: باب قتل أبي جهل: عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «أنا أول من يثبو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا

(١) صحيح البخاري [٣٩٦٦، ٣٩٦٨، ٣٩٦٩].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٤٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

في رَبِّهِمْ [الحج: ١٩]، قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة» (١).
وباب: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] (٢).

وفي الحديث مسائل:

المسألة الأولى: بيان سبب النزول:

يدل الحديث في (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بيان سبب نزول الآية، وكذلك ما رواه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فالمراد بالخصمين: الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين: حمزة، وعلي، وعبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الكافرين: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. وقد كان أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقسم أن هذه الآية نزلت في هؤلاء المتبارزين، وقال بمثل هذا جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم أعرف بأسباب النزول. وقد ثبت في (الصحيح) أيضاً - كما تقدم - عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «فينا نزلت هذه الآية».

(١) صحيح البخاري [٣٩٦٥، ٣٩٦٧].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٤٤].



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

وأخرج ابن جرير وابن مردويه رَحِمَهُمَا اللَّهُ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله تعالى منكم، وأقدم كتاباً^(١)، ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله عَزَّجَلَّ، آمنا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله عَزَّجَلَّ من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً، فنزلت الآية: وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ مثله^(٢).

وقيل: نزلت في جميع المؤمنين والكفار.

قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والحسن، وعاصم بن أبي النجود، والكلبي: الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم^(٣). ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم^(٤).

(١) ذكر الشيخ القنوي في (حاشيته على البيضاوي) (٣٦/١٣) أن قولهم: "(نحن أولى بالله تعالى منكم، وأقدم كتاباً) لا يقتضي اعتراف بحقية نبوة نبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَام؛ لما ثبت إنكارهم بذلك، ولا ريب في أن قول المؤمنين نحن أحق بالله.. الخ. ليس اعترافاً بما عليه اليهود؛ لتحريفهم كتابهم.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٨٨/١٨-٥٨٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٢٤٨٠/٨)، تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٠/٣)، الكشف والبيان (١٣/٧)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٦٣/٣)، معالم التنزيل (٣٧٣/٥)، لباب النقول (ص: ١٣٥)، أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي (ص: ٣٠٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٨٩/١٨)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٢٤٨٠/٨)، معالم التنزيل (٣٧٣/٥)، المحرر الوجيز (١١٤/٤)، زاد المسير (٢٢٨/٣)، البحر المحيط في التفسير (٤٩٥/٧)، الجواهر الحسان (١١٣/٤).

(٤) انظر: انظر: المحرر الوجيز (١١٤/٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٦/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

وقيل: نزلت في اختصام الجنة والنار، قالت النار: خلقي الله عز وجل لعقوبته، وقالت الجنة: خلقي الله عز وجل لرحمته. قاله عكرمة رحمه الله.
فهذه أربعة أقوال في بيان سبب النزول.
ولا يخفى أن أقواها من حيث الرواية ما جاء في (الصحيحين).
أما ما قيل في الترجيح بين هذه الأقوال، فقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب؛ لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه:
أحدهما: أهل طاعة له بالسجود له.

والآخر: أهل معصية له، قد حق عليه العذاب، فقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحج: ٢٣]، فكان بيّناً بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما جاء في (الصحيح) عن أبي ذر رضي الله عنه [وكذا عن علي رضي الله عنه - كما تقدم-]: إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بدر؟



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ربي

والجواب: أن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله رَحْمَةُ اللَّهِ، والآخر أهل إيمان بالله عَزَّجَلَّ وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم. فتأويل الكلام: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي دِينٍ رَبَّهُمْ﴾، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربتة إياه على دينه " (١).

وما ذكره ابن جرير رَحْمَةُ اللَّهِ هو الراجح من بين تلك الأقوال فإن كان سبب نزولها خاصاً كما في الصحيحين وغيرهما، ولكنه يعم كل من كان على هذه الشاكلة من اختصاص أهل الحق والباطل، ويؤيده عموم ألفاظ الآيات، ويدل على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، ولا يتعارض ذلك مع ما جاء في الصحيح من خصوص السبب كما بين الإمام الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ، فالقول بالعموم يجمع المنزل فيهم وغيرهم، كما ذكر أبو عبد الله القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ في (التفسير) (٢). وفي (مفاتيح الغيب): "وهو - أي: القول بالعموم - الأقرب؛ لأن السبب وإن كان خاصاً فالواجب حمل الكلام على ظاهره" (٣). وقال الزجاج رَحْمَةُ اللَّهِ: "الخصمان: المؤمنون والكافرون" (٤).

(١) تفسير الطبري (٥٩٠/١٨)، بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرطبي (٢٦/١٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١٥/٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤١٩/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

وقوله: ﴿هَذَانِ﴾ للفظ، أي: إنما أشير إليهم إشارة المثنى وإن كان في الحقيقة المراد الجمع، باعتبار لفظ: الفوجين والفريقين ونحوهما^(١).
قال الجوهرى رَحِمَهُ اللهُ: "الخصم معروف^(٢)، يستوي فيه الجمع والمؤنث؛ لأنه في الأصل مصدر. ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول: خصمان وخصوم"^(٣).
وفي خصومتهم ثلاثة أقوال: أحدها: في دين ربهم، والثاني: في البعث. والثالث: أنه خصام مفاخرة^(٤).

المسألة الثالثة: المبارزة يوم بدر:

تقدم في بيان سبب النزول: أن الآية نزلت في المبارزين يوم بدر. قال ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ: "خرج بعده عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف، ومعوذ، ابنا الحارث، -وأمهما عفراء- ورجل آخر، يقال: هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديه: يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا عن قومنا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبدة:

(١) الدر المصون (٢٤٨/٨)، وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٢٨٨/٦).

(٢) أي: معناه معروف، وهو المنازع.

(٣) الصحاح، للجوهري، مادة: (خصم) (١٩١٢/٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٢٢٩/٣)، تفسير القرطبي (٢٥/١٢-٢٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبيدة، وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا (١) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عتبة بن ربيعة قال للفتية ممن الأنصار، حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا" (٢).

(١) أي: أسرعا في قتله.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٦٢٥/١)، وانظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان (١٧١/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٧٢/٣)، الروض الأنف (٨٢/٥).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ البُورِي

[سورة النور]

ملاحظة:

نظرًا لطول الحديث المتصل بآيات من سورة النور فإني أقتصر فيه
على ما يلي:

- ١ - شرح ألفاظ الحديث في الحاشية.
- ٢ - إجمال ما يستفاد من الحديث بعد سرد الحديث].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي يروي

[ومن سورة النور]

ض ن

[١] روى الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله بسنده: عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا: فبرأها الله مما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى^(١) لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكرُوا، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي^(٢)، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ^(٣) لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا

(١) أي: أحفظ وأحسن إيراداً وسرداً للحديث.

(٢) الهودج: القبة التي تكون فيها المرأة على ظهر البعير، وهو الخدر، ويجمع: هودج. والهودج: مركب من مراكب النساء مقبب، وقد يستعمله الرجال.

(٣) هو بالمد وفتح الذال وتخفيفها، وروي بالقصر وتشديدها: أي: أعلم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

عَقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ ^(١)، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحُلُونَ لِي، فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ ^(٢)، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ

(١) وقولها: «من جزع ظفار قد انقطع»، قال ابن السكيت: "الجزع بفتح الجيم وإسكان الزاي الخرز اليماني، والجزع بالكسر: جزع الوادي، وهو مُنْعَطَفُه" إصلاح المنطق (ص: ١٦)، وانظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (جزع) (١١٩٦/٣). و«ظفار» بفتح الظاء قرية باليمن يكون فيها هذا الجزع. قال ابن قتيبة: "ظفار مدينة ينسب إليها الجزع الظفاري" غريب الحديث، لابن قتيبة (٢٩٤/١). وقيل: ظفار: جبل باليمن. انظر: غريب الحديث، لإبراهيم الحربي (١٠٧٩/٣). قال القرطبي: "هكذا صحيح الرواية: «ظفار» كما قاله ابن السكيت، وفي الصحاح (٧٣٠/٢): «ظفار» مثل: قَطَامٍ [وكذا في (ديوان العرب) (٣٧٨/١)]: مدينة في اليمن. يقال: من دخل ظفار حمراً، وجزع ظفاري: منسوب إليها، وكذلك عود ظفاري، وهو العود الذي يتبخر به، وعلى هذا فمن قيده جزع أظفار بألف فقد أخطأ، وبالوجه الصحيح روايته "المفهم (٣٦٦-٣٦٧/٧).

(٢) العُلُقَةُ من الطعام -ويقال لها أيضاً: البلغة-: قدر ما يتبلغ به، يريد: القليل. وكأنه الذي يمسك الرمق ويعلق النفس لللازدياد منه، أي: يشوقها إليه. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٥٣١)، كشف المشكل (٣٢٧/٤). قال القرطبي: "لم يُهَبَّلْنَ" اختلفت الرواة في تقييد هذا الحرف؛ فرواه العذري بضم الياء وفتح الهاء وتشديد الباء على ما لم يُسم فاعله يُهَبَّلْنَ، ومن طريق الطبري بفتح الياء وسكون الهاء وفتح الباء: «يَهَبَّلْنَ»، والصواب بضمها؛ لأنَّ ماضيه فَعَّلٌ، وفي بعض الروايات عن ابن الحذاء: «لم يُهَبَّلْنَ» بضم الياء وفتح الهاء وكسر الباء مشددة، وهذه الرواية هي المعروفة في اللغة. قال في (الصحاح): وقد هَبَّلَهُ اللَّحْمُ: إذا كثُرَ عليه وركبَ بعضه بعضاً، وأُهَبَّلَهُ.. الخ "المفهم (٣٦٧/٧)، الصحاح، مادة: (هبل) (١٨٤٧/٥). وفي رواية البخاري: «لم ينقلن»، وهو بمعناه. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٤/١٧). قال صاحب (العين) (٥٤/٤): المهمل: الكثير اللحم.=



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسند النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ ^(١)، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ^(٢)، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ ^(٣) السُّلَمِيُّ ^(٤) ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ ^(٥) قَدْ عَرَسَ ^(٦) مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّجَ ^(٧)، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ ^(٨) إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ ^(٩) حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ^(١٠)، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ،

=ويقال: أصبح فلان مهبلًا: أي: متهيجًا، كأنَّ بها ورماً من سمه. وانظر: غريب الحديث، لأبي عبيد

القاسم بن سلام (٣٣٥/٤).

(١) قولها: بعدما استمر الجيش: أي: سار.

(٢) أي: قصده. والتيمم في الأصل هو القصد.

(٣) بضم الميم، وفتح المهملة، وتشديد الطاء المفتوحة.

(٤) بضم المهملة وفتح اللام.

(٥) بضم السين وفتح اللام، وبالذال المعجمة، وكان صحابياً فاضلاً عفيفاً، قتل في غزاة أرمينية شهيداً، سنة تسع عشرة.

(٦) التعريس: النزول من آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة. وقال أبو زيد: هو النزول في أي وقت كان. والمشهور الأول. وعرس المسافر: إذا نزل وحط رحله من آخر الليل للراحة.

(٧) وأدج: سار من أول الليل، وأدج - مشدداً - سار من آخره. وقيل: هما لغتان، والأول المعروف.

(٨) أي: شخص.

(٩) أي: تنبهت من نومي، واسترجاعه بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(١٠) قولها: فخمرت وجهي: أي: غطيته بجلبابي، وهو ما تستتر به المرأة كالإزار ونحوه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتُهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكَبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ،
بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ^(١)، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ^(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ
شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ^(٣) فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ^(٤)، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ
يَرِيئُنِي^(٥) فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ^(٦)، الَّذِي كُنْتُ أَرَى
مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ

- (١) قولها: «موغرين» (الموغر) -بالغين المعجمة-: النازل في وقت الوغرة -بفتح الواو وإسكان الغين- وهي: شدة الحر، يقال: وغرت الهاجرة وغرًا، وأوغر الرجل: إذا صار في ذلك الوقت، كما يقال: أظهر وأصبح وأمسى. وقوله: وغر صدره يوغر: إذا اغتاط وحمي. و«نحر الظهر»: وقت القائلة وشدة الحر.
- (٢) أي: معظمه، وهو بكسر الكاف على القراءة المشهورة. وقرئ في الشواذ بضمها وهي لغة.
- (٣) يفيضون: يخوضون فيه ويكثرّون.
- (٤) الإفك: بكسر الهمزة وإسكان الفاء. قال الإمام النووي: "هذا هو المشهور. وحكى القاضي فتحهما جميعًا، قال: هما لغتان كنجس ونجس. وهو الكذب" شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٦/١٧)، إكمال المعلم (٢٨٦/٨). قال ابن قتيبة: "سمي إفكًا؛ لأنه قلب للكلام وصرف له عن الحق، وأصله من أفكت الرجل: إذا صرفته عن رأي كان عليه" غريب الحديث، لابن قتيبة (٢٨١/٢).
- (٥) قولها: «وهو يريئني» بفتح أوله وضمه يقال: رابه وأرابه: إذا أوهمه وشككه.
- (٦) اللطف في الأفعال: الرفق. وفي الأقوال: لين الكلام، يقال: لطف الله بك: أي: أوصل إليك مرادك من غير تعب.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

تَيْكُم؟»^(١) فَذَاكَ يَرِيْنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَّهْتُ^(٢) وَخَرَجْتُ مَعِي
أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ^(٣)، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا^(٤)، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
نَتَّخِذَ الْكُنْفَ^(٥) قَرِيبًا مِنْ بِيُوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنْزِهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَى بِالْكُنْفِ
أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بِيُوتِنَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ^(٦) بِنِ الْمُطَّلَبِ
بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ
أُثَاثَةَ^(٧) بِنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلَبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قَبْلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ

(١) وقوله: «كيف تيكُم؟» إشارة إلى المؤنثة ك: (ذلكم) في الذكر، يدل على لطف من حيث سؤاله عنها، وعلى نوع جفاء.

(٢) قولها: «نَقَّهْتُ» بفتح القاف وكسرهما لغتان، والفتح أشهر، واقتصر عليه جماعة، يقال: نَقَّه يَنْقَهُ نُقُوهًا فهو نَاقَةٌ، كَكَلَحَ يَكْلَحُ كُلُوحًا فهو كَالِحٌ وَنَقَّةٌ يَنْقَهُ نَقَّهَا فَهُوَ نَاقَةٌ كَفَرِحَ يَفْرِحُ فَرِحًا، والجمع: (نُقَّة) بضم النون وبشديد القاف. والناقة هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٦/١٧)، الصحاح، للجوهري، مادة: (نقه) (٢٢٥٣/٦).

(٣) الْمَنَاصِعُ - بفتح الميم - وهي مواضع خارج المدينة كانوا يَتَبَرَّزُونَ فيها.

(٤) المتبرز: المكان الذي يقصد لذلك. يقال تبرز وبرز: إذا ظهر إلى البراز: وهو الموضع الواسع الظاهر.

(٥) الكنيف: الساتر، ويسمى الترس كنيفًا؛ لأنه يستر.

(٦) «رهم» بضم الراء وإسكان الهاء.

(٧) بهمزة مضمومة ومثلثتين، الأولى خفيفة، بينهما ألف.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها^(١)، فقالت: تعس^(٢) مسطح^(٣)، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بذكراً، قالت: أي: هنتاه^(٤) أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم ثم قال: «كيف تيكُم؟»

(١) «المرط»: كساء من صوف أو خز يؤتزر به، وجمعه: مروط.

(٢) «تعس» تعس بكسر العين ويفتحها، أي: عثر فسقط على وجهه. وقيل معناه: بعد، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر.

(٣) «المسطح» - بالكسر - : عود من أعواد الخباء والفسطاط ونحوه. و«مسطح» هو لقب، واسمه: (عوف)، وقيل: (عامر)، والأول هو المعتمد، وكنيته: أبو عباد، وقيل: أبو عبد الله. توفي سنة سبع وثلاثين. وقيل: أربع وثلاثين. واسم أم مسطح: بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملة: (سلمى). انظر: شرح النووي (١٠٧/١٧). قال الحافظ: وفيه نظر؛ لأن (سلمى) اسم أم أبي بكر ثم ظهر لي أن لا وهم فيه؛ فإن أم أبي بكر خالتها فسميت باسمها "فتح الباري (٤٦٥/٨). والخباء: واحد الأخبية، وهو بيت من وبر أو صوف، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت.

(٤) قولها: «أي: هنتاه» بإسكان النون وفتحها، والإسكان أشهر. قال في (النهاية): وتضم الهاء الأخيرة وتسكن. ويقال في التثنية: هنتان، وفي الجمع: هنوات وهنات، وفي المذكر: هن، وهنان، وهنون، ولك أن تلحقها الهاء؛ لبيان الحركة، فتقول: يا هنه، وأن تشبع حركة النون فتصير ألفاً، فتقول: يا هناء، ولك ضم الهاء، فتقول: يا هناء أقبل، وهنة التي هي مؤنث هن؛ الذي هو كناية عن نكرة؛ كشيء قال الجوهري: وهذه اللفظة تختص بالنداء. ومعناه: يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشروهم. قال القرطبي: ونون هنتاه ساكنة، وأصل هائه أن تكون ساكنة؛ لأنها للسكت، لكنهم قد شبهوها بالضمائر فأثبتوها في الوصل، وضموها انظر: المفهم (٣٩٤/٣)، شرح النووي (١٠٧/١٧)، الصحاح، للجوهري، مادة: (هنو) (٢٥٣٧/٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (هنا) (٢٧٩/٥ - ٢٨٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَّعَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هَوْنِي عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِئَةً ^(١) عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَهِيَ ضَرَائِرٌ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ ^(٢) وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ^(٣)، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثْتُ الْوَحْيَ ^(٤)، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ

(١) «الوضيئة»: مهموزة ممدودة هي الجميلة الحسنة، والوضاءة: الحسن.

(٢) قولها: «لا يرقُّ» بالهمزة، أي: لا ينقطع.

(٣) قولها: «ولا أكتحل بنوم» أي: لا أنام.

(٤) قولها: «استلثت الوحي» أي: أبطأ نزوله، كذا في (المشارك)، وقال في (النهاية) هو استفعل من اللبث، وهو الإبطاء والتأخير، لبث يلبث لبثًا، بسكون الباء، وقد تفتح قليلًا على القياس. وقيل: اللَّبْثُ: الاسم، واللَّبْثُ بالضم: المصدر. قال الحافظ: "ولم يتعرضا لمعنى السين هنا، وقال شيخنا في (القاموس): استلثته: استبطأه، وهذا على القياس، ولكن مقتضاه أن يقرأ «الوحي» بالنصب. وقد قيل إنه ضبط في بعض نسخ البخاري كذلك، فيحتمل أن معنى الرواية المشهورة: تأخر عامدًا..". انظر: فتح الباري (١٨٢/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (لبث) (٢٢٤/٤)، القاموس المحيط (ص: ١٧٥). قال القرطبي: "واستلثت الوحي؛ أي: استبطأه، فيكون «الوحي» منصوبًا على المفعول، ويصح رفعه على أن يكون (استلثت) بمعنى: لبث، كما قال: استجاب بمعنى: أجاب، وهو كثير" المفهم (٣٧١/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد بن علي بن أبي طالب

اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ^(١)، وَإِنْ تَسْأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَبْرَةَ فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟»، قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصْتُ عَلَيْهِ^(٢)، أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِهَا جَارِيَةً حَدِيثُهُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(٣) فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟»^(٤) فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِادَةَ، وَهُوَ

(١) قولها: «وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير» هذا الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقه؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر؛ لأنه رأى انزعاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر وقلقه، فأراد إراحته خاطره، وكان ذلك أهم من غيره.

(٢) قولها: «أغمصه» بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة، أي: أعييها.

(٣) الداجن: الشاة التي تحبس في البيت لدرها ولا تخرج إلى المرعى. يقال: دجن بالمكان: إذا أقام به.

(٤) قوله: «من يعذرنني؟» فيه قولان: أحدهما: من يقيم عذري إن عاتبته أو عاقبته. والثاني: من يعذرنني إن شكوت منه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

سَيِّدُ الْخَرْجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ ^(١)، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ يُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ^(٢)، فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَرْجُ حَتَّى هُمَا أَنْ يَقْتَبِلُوا ^(٣)، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَمَّ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَقِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبْوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذْنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ،

(١) وقولها: «اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ» هكذا هو هنا لمعظم رواة صحيح مسلم: «اجْتَهَلَتْهُ» بالجيم والهاء، أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل. وفي رواية ابن مهران: «احتملته» بالحاء والميم، وكذا رواه مسلم بعد هذا من رواية يونس وصالح، وكذا رواه البخاري. والاحتمال: الغضب، ومعناه: أغضبه الأنفة والتعصب، وقيل: حملته الحمية على ذلك القول. فالروايتان صحيحتان. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١١٠/١٧)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٩٧/٨-٢٩٨)، المفهم (٣٧٢/٧).

(٢) أطلق أسيد ذلك؛ مبالغة في زجره عن القول الذي، قاله وأراد بقوله: «فإنك منافق» أي: تصنع صنيع المنافقين، وفسره بقوله «تجادل عن المنافقين»، ولم يرد به النفاق الحقيقي. وقال المازري: "إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك، فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه" فتح الباري، لابن حجر (٤٧٤/٨).

(٣) «فَتَارَ الْحَيَّانِ» أي: تواتب القبيلان؛ الأوس والخزرج، وتناهضوا للنزاع والعصبية.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن مسعود القشيري الذي نسب أبو ي

قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيَّ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشْهَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيِّئْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ^(١)، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٢)»، قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي^(٣) حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَيِّ: أَحَبُّ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَحَبِّي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيُّ بَرِيئَةٍ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيُّ بَرِيئَةٍ لَتُصَدِّقُونِي وَإِنِّي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، قَالَتْ:

(١) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن كنت أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» معناه: إن كنت فعلت ذنبًا وليس ذلك لك بعادة، من الإمام، وهو النزول النادر غير المتكرر، «فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ»؛ فإن التوبة من الذنب: الندم والاستغفار.

(٢) فيه دليل على أن مجرد الاعتراف لا يغني عن التوبة، وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص النادم. وليس المراد: الاعتراف بذلك للناس، بل الاعتراف لله تعالى؛ فإن الإنسان مأمور بالستر.

(٣) قلص دمعي: أي: انقطع انسكابه. يقال: قلص الشيء وتقلص: إذا تضام ونقص. وقلص بفتح القاف واللام.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُنْتَلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُنْتَلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ ^(١)، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ ^(٣) مِثْلُ الْجُمَانِ ^(٤) مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ^(٥)، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦)، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبَشْرِي يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: فُؤْمِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ،

(١) قولها: «ما رام مجلسه»: أي: ما برحه ولا قام عنه. يقال: رامه يرميه ربما؛ أي: برحه ولازمه، ويقال: رمت فلاناً، ورمت من عند فلان. وأما رام بمعنى: طلب فيقال منه: رام يروم روماً.

(٢) «البرحاء» من البرح: وهو أشد ما يكون من الكرب والأذى. وتعني أنه أصابه من الحرارة والكرب ما يصيب المحموم. وهذا كان شأنه إذا جاء الوحي.

(٣) أي: لينصب.

(٤) «الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم جمع جمانة، وهي اللؤلؤة المتخذة من الفضة، شبهت قطرات عرقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

(٥) «ثقل القول»: هيئته.

(٦) «سري عنه»: أي: كشف وأزيل.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي ^(١)، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ [النور: ١١] مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ [النور: ٢٢] ^(٢). إِلَى قَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

(١) معناه: قالت لها أمها: قومي فاحمديه، وقبلني رأسه، واشكركه؛ لنعمة الله جَلَّوَعَلَا التي بشرك، فقالت عائشة ما قالت؛ إدلالاً عليهم وعتباً؛ لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها، وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، وإنما أحمد ربي جَلَّوَعَلَا الذي أنزل براءتي، وأنعم على بما لم أكن أتوقعه من أن يتكلم الله عَزَّوَجَلَّ في بقران يئلى.

(٢) قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ الآية [النور: ٢٢]، أي: لا يحلف. يقال: آلى يؤلي، وائتلى يأتلى بمعنى واحد. والإيلاء بالمدي: الحلف، وهو مصدر. يقال: (آلى) يؤلي (إيلاءً): حلف، و(تآلى) و(أتلى) مثله. ومنه قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. و(الأيّة): اليمين، وجمعها: (آليات). و(الأيّة) -بافتح- الأيّة الشاة. ولا تقل: إيّة -بالكسر-، ولا: ليّة. فإذا تئيت قلت: آليان فلا تلحقه التاء. قال أبو عبيد: الألوّة، والأليّة: اليمين. والفعل: آلى يؤلي إيلاءً، وتآلى يتآلى تآلياً، وائتلى يأتلى ائتلاءً. انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٥٤/١)، تهذيب اللغة، للأزهري (٣١٠/١٥)، الصحاح، للجوهري، مادة: (ألا) (٢٢٧١/٦). وقال الفراء: الايتلاء: الحلف، وبه فُسِّرَ قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾، أي: لا يحلف، وذلك أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حلف ألا ينفق على مِسْطَحٍ بن أَنَاثَةَ وقرابته الذين ذكروا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وكانوا ذوي جهد فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلى يا رب. فأعادهم إلى نفقته معاني القرآن، للفراء (٢٤٨/٢)، وانظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٣١٠/١٥). والحديث في (صحيح البخاري) [٤٧٥٠، ٤٧٥٧]، ومسلم [٢٧٧٠]. و(المتألى) -بضم الميم وفتح=



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

لَكُمْ ﴿النور: ٢٢﴾، قَالَ جَبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي «مَا عَلِمْتَ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي ^(١)، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي ^(٢) مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ^(٣)، وَطَفِقَتْ أُحْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ ^(٤)، قَالَ

- = التاء المثناة من فوق والهمزة وتشديد اللام المكسورة-، أي: الخالف المبالغ في اليمين، مأخوذ من: الأليّة - بفتح الهمزة وكسر اللام وتشديد الياء-، وهي اليمين. وقد فصلت القول في ذلك في الجزء الثاني من كتاب: (نهج الأبرار). والفضل هنا: المال والسعة في العيش والرزق.
- (١) قولها: «أحمي سمعي وبصري»: أي: أمنعهما من عقوبة الله عَزَّجَلَّ بالكف عن قولي: سمعت ما لم أسمع، وأبصرت ما لم أبصر؛ تنفي عن نفسها بذلك الكذب. فعصمها الله عَزَّجَلَّ من الهلاك؛ بما رزقها من التثبت والدين والورع، مع أنها كانت تناصبها وتنافسها في المرتبة.
- (٢) قولها: «تساميني» المساماة: المفاعلة من السمو. والمعنى: كانت تطلب من السمو والعلو والخطوة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أطلب. قال القرطبي: "أي: تعاندي وتضاهيني في الجمال والمكانة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السمو، وهو الارتفاع" المفهم (٣٧٦/٧).
- (٣) «فعصمها الله»: أي: منعها من الشر بالورع، وهو مجانبة ما يخاف شره.
- (٤) أي: حُددت حد القذف فيمن حد.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

الرُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ:
اِحْتَمَلْتُهُ (١) الْحَمِيَّةُ (٢).

* وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ح وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيٍّ الْخَلَوَائِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي،
عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، كِلَاهُمَا عَنِ الرَّهْرِيِّ، بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ، بِإِسْنَادَيْهِمَا، وَفِي
حَدِيثِ فُلَيْحٍ: اجْتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ - كَمَا قَالَ مَعْمَرٌ -، وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ: اِحْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ
كَقَوْلِ يُونُسَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ: قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عَنْدهَا
حَسَنًا، وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ:

[البحر الوافر]

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ (٣)

وَزَادَ أَيْضًا: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولُ:
سُبْحَانَ اللَّهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنْفِ أَنْثَى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ
ذَلِكَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: مُوَعِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ،
وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مُوَعِرِينَ، قَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ: مَا قَوْلُهُ مُوَعِرِينَ؟
قَالَ: الْوَعْرَةُ شِدَّةُ الْحَرِّ (٤).

(١) تقدم بيانه.

(٢) صحيح مسلم (٥٦) [٢٧٧٠].

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٢١).

(٤) صحيح مسلم (٥٧) [٢٧٧٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

* حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبًا فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَاتَّخَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ أَبْنَاءِ أَهْلِي^(١)، وَإِيمِ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَأَبْنَوْهُمْ، بِمَنْ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَفِيهِ: وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي، فَسَأَلَ جَارِيتِي، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا، إِلَّا أَنَّهُمَا كَانَتْ تَرْفُذُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ فَتَأْكُلَ عَجِينَهَا، أَوْ قَالَتْ حَمِيرَهَا - شَكَّ هِشَامٌ - فَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ^(٢)، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ

(١) قوله: «أَبْنَاءُ أَهْلِي» بياء موحدة مفتوحة مخففة ومشددة، والتخفيف أشهر، "أي: أتهموهم وقذفوهم بالفاحشة، ويقال: رجل مأبون، أي: معروف بخلة من السوء؛ أي: متهم. ويقال: أَبْنَهُ - بالفتح في الماضي - يَأْبِنُهُ - بالضم والكسر في المضارع -" المفهم (٣٧٨/٧). ويروى: «أَبْنَوْهُمْ»، بتقديم النون وتشديدها. قال القاضي: وهو تصحيف؛ فإن التأنيب: اللوم، وليس هذا موضعه. انظر: مصابيح الجامع (٣٣٠/٨)، مشارق الأنوار، للقاضي عياض (١٢/١).

(٢) قولها: «حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ» قال ابن الجوزي: "قيل: معناه: صرحوا لها بذلك. وقيل: جاءوا بسقط من الكلام في خطابها، كأنهم سبوا وأغلظوا لها لتخبرهم بما تعرف" كشف المشكل (٣٢٥/٤). وقال القرطبي: أي: كلموها بسقط من القول. يقال: أسقط الرجل: إذا قال كلامًا رديئًا سقط فيه. وعلى هذا فيكون الضمير في «به» عائداً على القول، أي: أسقطوا لها بالقول. وقيل: معناه صرحوا لها بالفحش؛ ولذلك لما سمعته بريرة أعظمت ذلك وأنكرته، وقالت: «سبحان الله! والله ما علمت عليها إلا ما يعلم=



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أحمد بن حنبل في مسند القشيري الذي يسنن أبو ي

الذهب الأحمر، وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ، عَنْ كَنْفٍ أَنْتَى قَطُّ^(١). قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقُتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِيهِ أَيْضًا مِنَ الرِّيَادَةِ: وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَّانُ^(٢)،

=الصائع على تبر الذهب الأحمر». وقد وقعت هذه الكلمة التي هي «سبحان الله» في هذا الحديث على نحو ما جاءت في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، والمقصود بذكرها في هذه المواضع: إعظام نسبة السوء إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتحقيق براءتها، وكأن المتكلم بها يريد أن يقول: التنزيه والبراءة لله عَزَّجَلَّ من أن يجري ذلك على مثل عائشة، وأن يوقعه في الوجود "المفهم (٣٧٧/٧). (١) قول صفوان: «والله ما كشفت عن كنف أنتى قط» الكنف هنا بفتح الكاف والنون، أي: ثوبها، وأصله: الساتر، وهو كناية عن الجماع؛ أقسم أنه ما جامع امرأة قط، وكأنه لم يكن له أرب في النساء" انظر: المفهم (٣٧٨/٧).

(٢) قال القرطبي: "الصحيح في حسان أنه حُد؛ لما رواه أبو داود [وغيره]: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما نزل عذري قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم، وسمَّاهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش». وفي كتاب الطحاوي: ثمانين ثمانين. وأما حمنة ومسطح فحُدا، ولم يُسمع بحد لعبد الله بن أبي، والظاهر من الأخبار والأحاديث أنه لم يحد، وإنما لم يحد عدو الله؛ لأنَّ الله عَزَّجَلَّ قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً؛ فلو حد في الدنيا لكان نقصاً من عذابه الأخروي، وتخفيفاً عنه، وقد أشار الله عَزَّجَلَّ إلى هذا بقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، مع أن الله عَزَّجَلَّ قد شهد ببراءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبكذب كل من رماها، فقد حصلت فائدة الحد؛ إذ مقصوده: إظهار كذب القاذف، وبراءة المقدوف، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، وإنما حُد هؤلاء المسلمون؛ ليكفر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف؛ حتى لا يبقى عليهم تبعه من ذلك في الآخرة. قال: ويحتمل أن يقال: إنما ترك حد ابن أبي؛ استئلاً لقومه، واحتراماً لابنه، وإطفاءً لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك، وقد =



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بَابُورِي

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ وَحَمَنَهُ (١).

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.
باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التفسير.

وأخرجه البخاري في كتاب: (المغازي)، باب: حديث: الإفك (٢). وقال قبله:
"الإفك والأفك، بمنزلة: النَّجَسِ وَالنَّجَسِ، يقال: إِفْكُهُمْ، وَأَفْكُهُمْ، وَأَفْكُهُمْ، فمن قال:
أَفْكُهُمْ، يقول: صَرَفَهُمْ عن الإيمان وكَذَّبَهُمْ، كما قال: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ
﴿٩﴾ [الذاريات: ٩]: يُصْرِفُ عَنْهُ مَنْ صُرِفَ".

= كانت ظهرت مبادئها من سعد بن عباد ومن قومه.. " المفهم (٣٧٩/٧) ولا يمنع أن يكون كلاهما
مقصودًا.

(١) صحيح مسلم (٥٨) [٢٧٧٠].

(٢) صحيح البخاري [٤١٤١].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نافع عن مسند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نافع عن مسند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نافع

وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الآية [النور: ١١]: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: ١١]، قالت: «عبد الله بن أبي ابن سلول»^(١).

ومفصلاً في باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].. إلى قوله: ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]^(٢).
والحديث فيه مسائل متعددة، وهاك إجمال ما يستفاد من الحديث:

* إجمال ما يستفاد من الحديث:

- ١ - المناسبة: ذكر آيات الإفك في سورة النور.
 - ٢ - مشروعية القرعة في المشكلات:
- ذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (الشهادات)، باب: القرعة في المشكلات:
- حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه» الحديث^(٣).

(١) صحيح البخاري [٤٧٤٩].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٥٠].

(٣) صحيح البخاري [٢٦٨٨]، كما أخرجه في كتاب الهبة، وفضلها، والتحريض عليها، صحيح البخاري [٢٥٩٣].



الشرح التحليلي لكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي نسب أبو ري

ووجه إدخالها في كتاب الشهادات: أنها من جملة البينات التي تثبت بها الحقوق،
فكما تقطع الخصومة والنزاع بالبينة كذلك تقطع بالقرعة" (١).

قال ابن بطل رحمه الله: "القرعة في المشكلات سنة عند جمهور الفقهاء في المستوين
في الحجة؛ ليعدل بينهم، وتطمئن قلوبهم، وترتفع الظنة عمن تولى قسمتهم، ولا يفضل
أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد؛ اتباعاً للكتاب والسنة" (٢).
وقولها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه»
هو دليل مالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء رحمه الله في العمل بالقرعة في القسم بين
الزوجات، وفي العتق، والوصايا، والقسمة بين الشركاء، ونحو ذلك.

قال أبو عبيد رحمه الله: "وقد عمل بالقرعة ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام: يونس، وزكريا
عليهما السلام، ومحمد نبينا عليه الصلاة والسلام، قال الله عز وجل في قصة يونس عليه السلام: ﴿فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]، وقال في قصة مريم عليها السلام: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وكل هذا حجة في القرعة" (٣).

قال ابن المنذر رحمه الله: "واستعمالها كالإجماع بين أهل العلم فيما يقسم بين
الشركاء، ولا معنى لقول من ردها. والمشهور عن أبي حنيفة رحمه الله إبطالها. وقال القاضي

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢٩٣/٥).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٧٥/٨).

(٣) انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٣٤/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

عياض رَحْمَةُ اللَّهِ: إنه مشهور مذهب مالك وأصحابه رَحْمَةُ اللَّهِ؛ لأنها من باب الخطر والقمار، وهو قول بعض الكوفيين، وقالوا: هي كالأزلام. وبإجازتها قال الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ. قال القاضي: وهو مشهور مذهب مالك رَحْمَةُ اللَّهِ.

وحكي عن أبي حنيفة رَحْمَةُ اللَّهِ إجازتها. قال: ولا تقسيم في القياس، ولكننا تركنا القياس؛ للآثار. ومقتضى هذا قصرها على المواضع الواردة في الأحاديث دون تعديتها إلى غيرها، وهو محكي عن أبي حنيفة ومالك والمغيرة رَحْمَةُ اللَّهِ وبعض أصحابنا على اختلاف بينهم فيما ثبت فيه السنة من ذلك^(١).

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: "وأما القرعة بين النساء إذا أراد سفرًا فقد اختلف العلماء في ذلك؛ فذهب مالك رَحْمَةُ اللَّهِ في أحد قوليه، والشافعي وأبو حنيفة رَحْمَةُ اللَّهِ إلى أنه لا يخرج منهن إلا من خرجت عليها القرعة؛ تمسكًا بظاهر هذا الحديث؛ فإنه كالنص في ذلك، وقال مالك رَحْمَةُ اللَّهِ أيضًا: إن له أن يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة، وإن القسمة هنا سقطت؛ للضرورة؛ إذ قد تكون إحداهن أخف محملًا، وأقل مؤونة، وأصلح للسفر، والأخرى أصلح للمقام في بيته؛ لسد ضيعته، وللقيام بولده، وقد تكون أثقل جسمًا، وأكثر مؤونة.

(١) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٨٧/٨)، طرح التثريب (٤٨/٨)، المفهم (٣٦٥/٧)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٣/١٧)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٧٦-٧٥/٨)، عمدة القاري (٢٣٤/١٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

قلت: والذي يقع لي أن هذا ليس بخلاف في أصل القرعة في هذا، وإنما هذا لاختلاف أحوال النساء، فإذا كان فيهن من تصلح للسفر ومن لا تصلح تعين من تصلح، ولا يمكن أن يقال: يجب أن يسافر بمن لا تصلح؛ لأن ذلك ضرر ومشقة عليه، ولا ضرر ولا ضرار، وإنما تدخل القرعة إذا كن كلهن صالحات للسفر، فحينئذ تتعين القرعة؛ لأنه لو أخرج واحدة منهن بغير قرعة لخيف أن يكون ذلك ميلاً إليها، ولكان للأخرى مطالبته بحققها، فإذا خرج بمن وقعت عليها القرعة انقطعت حجة الأخرى، وارتفعت التهمة عنه، وطاب قلب من بقي منهن -والله تعالى أعلم-^(١).

٣ - جواز ركوب النساء في الهودج

٤ - جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار.

٥ - جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج، وهذا من الأمور المستثناة؛ إذ لو استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لعلم مغيبها، ومُنِع خروجهن إلى بيوت آبائهن وقربائهن إلا بإذن.

٦ - جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر.

٧ - أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرمًا إلا الحاجة لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه.

٨ - فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن، وأن لا يكثرن منه بحيث يهبلهن

اللحم.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٣٦٥-٣٦٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

- ٩ - حسن الأدب والمعاملة والعشرة مع النساء الأجانب، لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة، في برية أو غيرها، كما فعل صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تركه مكالمة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسؤالها، وأنه لم يزد على الاسترجاع وتقديم مركبها.
- ١٠ - أنه إذا أركب أجنبية ينبغي أن يمشي قدامها، ولا يمشي بجانبها ولا وراءها.
- ١١ - إغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإعانة المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام من له قدر، كما فعل صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك كله.
- ١٢ - جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها؛ لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع.
- ١٣ - استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو في الدنيا، وسواء كانت في نفسه، أو من يعز عليه.
- ١٤ - تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، سواء كان صالحاً أو لا.
- ١٥ - جواز الحلف من غير استحلاف.
- ١٦ - يستحب أن يسر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة، كما كتموا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذا الأمر شهراً، ولم تسمعه بعد ذلك إلا بعارض عرض، وهو قول أم مسطح.
- ١٧ - ستر ما يقال في المرء عنه إذا لم يكن لذكره فائدة، كما عامل الجميع به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى أعلمته بها أم مسطح.
- ١٨ - تشكي السلطان وغيره للناس لمن يؤذيه في نفسه وأهله والاستعذار منه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

- ١٩ - استحباب ملاطفة الرجل زوجته، وحسن معاشرتها.
- ٢٠ - إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه؛ لتفطن هي أن ذلك لعارض، فتسأل عن سببه، فتزيله.
- ٢١ - استحباب السؤال عن المريض.
- ٢٢ - يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن يكون معها رفيقة لها؛ لتأنس بها، ولا يتعرض لها أحد.
- ٢٣ - كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل، أو فعل غير ذلك من القبائح، كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.
- ٢٤ - فضيلة أهل بدر، والذب عنهم كما فعلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ذهابها عن مسطح.
- ٢٥ - أن المرأة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها.
- ٢٦ - جواز التعجب بلفظ التسبيح.
- ٢٧ - استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينويه من الأمور.
- ٢٨ - جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة لمن له بها تعلق، وأما غيره فممنهي عنه، وهو التجسس.
- ٢٩ - خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم.
- ٣٠ - اشتكاء ولي الأمر للمسلمين من تعرض له بإيذاء في أهله، أو في نفسه.
- ٣١ - اعتذاره فيما يريد أن يؤدبه.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً بن الحاج بن مسيل القشيري الذي سبأوري

٣٢ - فضائل ظاهرة لصفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما شهد، وبفعاله الجميلة.

٣٣ - المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات.

٣٤ - فضيلة سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٣٥ - قبول التوبة والحث عليها.

٣٦ - تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار؛ لأنهم أعرف بوجوه الأمور.

٣٧ - جواز الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، ولا شبهة في جوازه.

٣٨ - استحباب المبادرة إلى تبشير من تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه

بلية بارزة.

٣٩ - براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن الكريم،

فلو تشكك فيها أحد صار كافراً مرتدداً بإجماع المسلمين.

٤٠ - تجديد شكر الله جَلَّ وَعَلَا عند تجدد النعمة.

٤١ - فضائل لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ

مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

٤٢ - استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين.

٤٣ - استحباب العفو والصفح عن المسيء.

٤٤ - استحباب التصديق والإنفاق في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسنن أبو ي

- ٤٥ - أنه يستحب لمن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي بالذي هو خير، ويكفر عن يمينه.
- ٤٦ - فضيلة زينب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
- ٤٧ - التثبت في الشهادة.
- ٤٨ - أن الخطبة مبتدأة بالحمد لله، والثناء عليه.
- ٤٩ - استحباب القول بـ: (أما بعد) في الخطبة بعد الحمد لله، والصلاة على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٥٠ - جواز غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم، واهتمامهم بدفع ذلك.
- ٥١ - جواز سب المتعصب لمبطل؛ كما سب أسيد بن حضير سعد بن عباد؛ للعصبية للمنافق، وقال: إنك منافق تجادل عن المنافقين، ولم يرد به النفاق الحقيقي.
- ٥٢ - أن الغضب نزغة من نزغات الشيطان، ويكون لله جَلَّ وَعَلَا إذا انتهكت محارمه، وينبغي التريث والتبين قبل الإنكار حتى يكون المنكر ظاهراً.
- ٥٣ - جواز تعديل النساء بعضهن بعضاً؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل بريرة وزينب عن عائشة، وهما أخبرتاه بفضلهما وكمال دينهما، وبه احتج أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في جواز تعديل النساء بعضهن بعضاً.
- ٥٤ - أن من آذى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهله أو عرضه فإنه يقتل؛ لقول سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْس قَتَلْنَاهُ»، ولم يرد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً.
- ٥٥ - وجوب تعظيم أهل بدر، والذب عنهم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسعود القشيري الذي سبأوري

٥٦ - أن الصبر الجميل فيه الغبطة والعزة في الدارين.

٥٧ - ترك الحد لما يخشى من تفريق الكلمة؛ كما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حد ابن سلول. وقد قيل - كما تقدم -: ترك حد ابن أبي؛ استئلاً لقومه، واحتراماً لابنه، وإطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك، وقد كانت ظهرت مبادئها من سعد بن عبادة ومن قومه.

٥٨ - حرمة التشكك في تبرئة عائشة رضي الله عنها من الإفك.

٥٩ - حرمة إشاعة الفاحشة: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتهم به وهو بريء منه، كما في (قصة الإفك).

٦٠ - الشجاعة في مواجهة الشائعات، والعمل على دحضها. وقد كان صفوان بن المعطل رضي الله عنه من الصحابة الكرام الذين واجهوا الشائعات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٦١ - التحذير من البهتان والإفك، والتمييز بينهما وبين الغيبة:

قال ابن الجوزي رحمه الله: "الغيبة: ذكر الغائب بما فيه مما يكرهه، وإذا لم يكن ذلك فيه كان بهتاناً، والبهت: الكذب الذي يتحير منه ويعجب من إفراطه" (١). وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: «وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»: بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٥٨٧/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي نسب أبو ي

فَرَمِيَّ البريء بَهْتٌ له. يقال: بَهْتُهُ بَهْتًا وَبَهْتًا وَبُهْتَانًا: إذا قال عليه ما لم يفعله. وهو بَهَاتٌ والمقول له مَبْهُوتٌ. ويقال: بَهَتَ الرَّجُلَ - بالكسر بوزن علم-: إذا دهَشَ وَخَيَّرَ. وَبُهَتَ (بِالضَّمِّ) ظرف مثله، وأفصح منهما: بُهَتَ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبُهَتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ لَأَنَّهُ يقال: رجل مَبْهُوتٌ، ولا يقال: بَاهِتٌ ولا بَهِيْتُ. قاله الكِسَائِيُّ (١).

وقد قيل: إن البهتان: الكذب الذي يدهش ويوقع في الفضيحة، كالرمي بالزنا ونحوه، فهو أخص من مطلق الكذب؛ لأن البهتان لا بدَّ أن يكون معه فضيحة، بخلاف الكذب فإنه أعم من أن يكون معه فضيحة أو لا.

وقد جاء في الحديث: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ» الحديث (٢). فقلوه: (تفترونه)؛ أي: تخلقونه وتتقولونه من عند أنفسكم.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكُمْ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ [المتحنة: ١٢].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٨١/٥)، وانظر: مادة: (بهت) في (الصحاح)، للجوهري (٢٤٤/١)، تهذيب اللغة، للأزهري (١٣٢/٦).

(٢) صحيح البخاري [١٨، ٣٨٩٢، ٦٨٠١، ٧٢١٣، ٧٤٦٨]، مسلم [١٧٠٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

والبهتان إنما يكون في الباطل كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].
قال الإمام النووي رحمه الله: "وأصل البهت: أن يقال له الباطل في وجهه" (١).
وقال صاحب (العين) رحمه الله: "البهت: استقبالك بأمر تقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه" (٢). وقد يكون البهت في غيبة.
قال الحسن رحمه الله: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله جل وعلا: الغيبة والإفك والبهتان.

فأما (الغيبة): فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه.
وأما (الإفك): فأن تقول فيه ما بلغك عنه.
وأما (البهتان): فأن تقول فيه ما ليس فيه (٣).
وعن شعبة رحمه الله قال: سمعت معاوية بن قرة رحمه الله يقول: لو مر بك رجل أقطع، فقلت: هذا أقطع كان غيبة. قال شعبة: فذكرته لأبي إسحاق فقال: صدق (٤).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٢/١٦).

(٢) العين (٣٥/٤)، وانظر: تهذيب اللغة (١٣٢/٦).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣٣٤/٥)، تفسير القرطبي (٣٣٥/١٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٠٧/٢٢)، المحرر الوجيز (١٥١/٥)، المجالسة وجواهر العلم (٣٤٣/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

ن

[٢] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن أبي سفيان، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا لَنَنْتَبِعُنَّ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ﴾ [النور: ٣٣] لهن ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]» (١).

وفي رواية: عن أبي سفيان، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣] إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]» (٢).

(١) صحيح مسلم (٢٦) [٣٠٢٩].

(٢) صحيح مسلم (٢٧) [٣٠٢٩].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي (صحيحه) فِي كتاب: (التفسير)، باعتبار تبويب الشراح، وما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللهُ. وفيه: باب: فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣].

وقد تقدم غير مرة أَنَّ الأحاديث فِي كتاب: (التفسير) بعضها مبوب، وبعضها غير مبوب، والذي يظهر أَنَّ هذا التبويب هو من فعل الشراح؛ ولم يَأْتِ فِي المطبوع منه متكاملًا ولا مرتبًا.

كما أَنَّ الأحاديث فِي كتاب: (التفسير) بالاعتبار السابق لم تَأْتِ موافقة لترتيب السور فِي المصحف.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ الحديث مرتبًا باعتبار ترتيبه، وعلى وفق ترتيب السور فِي المصحف.

والحديث فِيه مسائل:



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

المسألة الأولى: سبب نزول قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]:

يدل ما رواه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ على سبب نزول الآية، وقد ورد أحاديث كثيرة في هذا الباب ذكرها السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في (الدر المنثور)، والواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ في (أسباب النزول) ^(١).

المسألة الثانية: بيان المعنى المراد:

كان القوم في الجاهلية يكرهون فتياتهم على الزنا ويأخذون أجورهن: فلما جاء الإسلام كان عبد الله بن أبي المنافق يكره جواريه على البغاء وضرب عليهن ضرائب، فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلت الآية.

وفي هذا الحديث اسم جاريتين له: أميمة، ومسيكة -بضم الميم-، وأتھما شكتا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك فنزلت الآية.

وفي رواية أخرى: معاذة ومسيكه، وأن معاذة قالت لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيراً فقد استكثرتنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن ندعه، فنزلت

(١) انظر: الدر المنثور (٦/١٩٢-١٩٤)، وأسباب النزول، لأبي الحسن الواحدي (ص: ٣٢٥-٣٢٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

الآية. وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوار كن لعبد الله بن أبي: معاذة، ومسيكة، وأميمة، وقتيلة، وعمرة، وأروى (١).

والفتيات جمع فتاة، والفتيان جمع فتى، وهم المماليك. والبغاء: الزنى. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، أي: عفافاً، أي: لمن تاب من ذلك. وكان الحسن رَحِمَهُ اللهُ يقول: «غفور لمن والله، لا مُكرهين» (٢)، مستدلاً على ذلك بإضافة الإكراه إليهن.

وأما قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فخرج على الغالب؛ إذ الإكراه إنما هو لمريدة التحصن، أما غيرها فهي تسارع إلى البغاء من غير حاجة إلى الإكراه، والمقصود أن الإكراه على الزنى حرام سواء أردن تحصناً أم لا، وصورة الإكراه مع أنها لا تريد التحصن أن تكون هي مريدة الزنى بإنسان، فيكرهها على الزنى بغيره، وكله حرام" (٣).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٩٨/٣)، الكشف (٢٣٩/٣)، مفاتيح الغيب (٣٧٦/٢٣)، الكشف والبيان (٩٩/٧)، البحر المحيط (٤٠/٨)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٣/١٨)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (١١١/٣)، عمدة القاري (١٠٤/١٢).

(٢) أخرجه البيهقي في (الكبرى) [١٥٧٩٢]، انظر: المفهم (٣٨١/٧)، التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي (٢٥٢/١٦)، الكشف والبيان (٩٩/٧)، معالم التنزيل (٤٤/٦)، تفسير ابن كثير (٥٦/٦)، روح المعاني (٣٥٢/٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٣/١٨)، وانظر: المفهم (٣٨١/٧)، وذكر ابن الجوزي في (كشف المشكل) (١١٢-١١١/٣) أربعة أوجه في الجواب عن قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ مع جواز إكراههن إن لم يردن التحصن، وفيما ذكره النووي في كلامه الآنف الذكر مقنع.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وقال ابن المنير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فائدة ذلك - والله أعلم -: أن يشع عند المخاطب الوقوع فيه، لكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي. ووجه التبشيع عليها: أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه؛ لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة، وهو يأبى إلا إكراهها عليها" (١).

وقوله: «لهن» ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هكذا وقع في النسخ كلها «لهن» ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾"، وهذا تفسير ولم يرد به أن لفظة: «لهن» منزلة؛ فإنه لم يقرأ بها أحد (٢)، وإنما هي تفسير وبيان، يردان المغفرة والرحمة لهن؛ لكونهن مكروهات لا لمن أكرههن" (٣).

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشف، لابن المنير الإسكندري (٢٣٩/٣).

(٢) أي: ليست قراءة معتمدة، وإنما هي من القراءات الشاذة، فقد ذكر ابن جني في القراءات الشاذة: قراءة ابن عباس، وسعيد بن جبير: (من بعد إكراههن لهن غفور رحيم). انظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات (١٠٨/٢). وقد رواها ابن جرير في (التفسير) (١٧٥/١٩)، وابن أبي حاتم (٢٥٩١/٨): عن سعيد بن جبير. قال السيوطي: "أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: في قراءة ابن مسعود: (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)، قال: للمكروهات على الزنا" الدر المنثور (١٩٤/٦). كما رويت عن جابر، وابن مسعود. انظر: فضائل القرآن، للقاسم بن سلام (ص: ٣٢٥)، الانتصار للقرآن، للباقلاني (٤٣٢/٢)، الإتيان (٢٧٩/١). والقاعدة: أنا لا نبين القرآن بقراءة شاذة، وإنما تذكر القراءة الشاذة للاستشهاد بها على قراءة سبعية. فالصواب ما ذكره النووي في كلامه الأنف الذكر حيث قال: فإنه لم يقرأ بها أحد، وأن لفظة: «لهن» مدرجة لأجل التفسير والبيان، وذلك الحق الذي لا محيد عنه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٣/١٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

المسألة الثالثة: النهي عن مهر البغي وحلوان الكاهن:

جاء في الحديث: عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن» (١).

وفي رواية: عن رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث» (٢).

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني بمهر البغي: ما تعطاه المرأة على الزنا" (٣).

قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا خلاف بين علماء المسلمين في أن مهر البغي حرام، وهو على ما فسرهُ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لا خلاف في ذلك. والبغي: الزانية، والبغاء: الزنى.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] يعني: زانية.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، أي: على الزنى" (٤).

(١) أخرجه مالك في (الموطأ) [٦٨]، والبخاري [٢٢٣٧، ٢٢٨٢، ٥٣٤٦، ٥٧٦١]، مسلم [١٥٦٧].

(٢) صحيح مسلم [١٥٦٨].

(٣) موطأ الإمام مالك [٦٨] [٦٥٦/٢].

(٤) الاستذكار (٦/ ٤٢٨ - ٤٢٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وقال رَحِمَهُ اللهُ في (التمهيد): "مهر البغي والبغي الزانية ومهرها: ما تأخذ على زناها فمجتمع على تحريمه، تقول العرب: (بغت المرأة): إذا زنت، تبغي بغاء، فهي بغي، وهن البغايا" (١).

والبغي: بفتح الباء الموحدة، وكسر الغين المعجمة، وتشديد الياء. وهو فعيل، بمعنى: فاعلة، يعني: الباغية، والبغاء: الطلب، يقال: بغت المرأة تبغي بغاء، والبغي يبغي بمعنى: الطلب، يقال: ابغني كذا بـهمزة الوصل، أي: اطلب لي، وأبغني بـهمزة القطع، أي: أعني على الطلب، قال الله عز وجل: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧]. وأكثر ما يأتي ذلك في الشر، ومنه الفئة الباغية من البغي وهو الظلم. قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: "وقل ما يُستعمل ذلك في طلب الخير، ومن استعماله في طلب الخير: ما جاء في شهر رمضان أنه يقال: «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أذر»" (٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "البغي بكسر المعجمة وتشديد التحتانية بوزن فعيل، من البغاء، وهو الزنا، يستوي في لفظه المذكر والمؤنث. قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ: وقيل: وزنه فعول؛ لأن أصله: (بغوي) أبدلت الواو ياء ثم كسرت الغين؛ لأجل الياء

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٩٨/٨).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان الخطابي (١١٥٩/٢-١١٦٠). والحديث أخرجه ابن ماجه [١٦٤٢]، والترمذي [٦٨٢]، وابن حبان [٣٤٣٥]، والحاكم [١٥٣٢]، وقال: "صحيح عن شرط الشيخين"، كما أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (٣٠٦/٨)، والبيهقي [٨٥٠١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

التي بعدها، والتقدير: ومهر من نكحت في النكاح الفاسد، أي: بشبهة من إخلال شرط، أو نحو ذلك" (١).

قال الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما «ومهر البغي» فهو ما تعطاه على الزنا. وسمي مهرًا على سبيل المجاز. أو استعمالًا للوضع اللغوي. ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه، إن لم يكن المهر في الوضع: ما يقابل به النكاح" (٢).

والحاصل البغاء هو الزنى - كما تقدم، وهو المراد من الآية السابقة - والبغاء: الفجور، كما هو المراد من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، أي: ما كانت فاجرة، من بغى في الأرض أي: فجر فيها وتجاوز إلى ما ليس له، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، أي: تجاوزت الحد. وهو من بغت المرأة: إذا فجرت، أي: تجاوزت الحد إلى ما ليس لها. وقد قيل: الزنا هو الوطء من غير عقد شرعي. والبغاء: استمراء الزنا حتى يصير فجورًا. والمسافحة: إقامة امرأة مع رجل أجنبي من غير عقد شرعي.

والسفاح والزنا يوصف به كل من الرجل المرأة، وأما البغاء والبغي فلا توصف به إلا المرأة.

وقد رَغِبَ الشارع في النكاح، وأمر بالإعانة عليه، وتسهيل سبله؛ لأن النكاح من خير ما يحقق العفة، ويعصم المؤمن من الزنى، ويبعده عن آثامه، وهو الطريق الوحيد

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٤٩٤)، وانظر: الكواكب الداري (١٩/ ٢٤٤).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ١٢٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بَابُورِي

لبقاء النوع الإنساني، وبناء المجتمع الفاضل؛ ولهذا وردت هذه الآيات الكريمة تحثُّ على إعفاف الشباب والفتيات عن طريق الزواج، وتذليل العقبات التي تحول دونه. وقد توعَّد الله عَزَّجَلَّ من أقدم على الزنا والبغاء والسفاح بالعذاب في الآخرة، وذلك يوجب على كل مسلم الحذر غاية الحذر من هذا الذنب، وأن يحذر أسبابه وما يوصل إليه، كالخلوة المحرمة، أو تعاطي أسباب الفتنة، مثل: التبرج وإظهار مفاتن المرأة، والنظر إلى المحرمات، إلى غير ذلك من المحرضات على الفاحشة. وإذا كان الله عَزَّجَلَّ قد حذّرنا من مقدمات الزنا في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فالتحذير من ارتكابه أولى وأشد؛ لأنه يفسد الأخلاق، ويهتك الأعراض، ويوقع البلايا والأمراض الخبيثة القاتلة.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسجد بن الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن

[ومن سورة الفرقان]

روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نزلت هذه الآية بمكة: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] فقال المشركون: وما يُغني عنا الإسلام، وقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله، وأتينا الفواحش؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] إلى آخر الآية، قال: «فَأَمَّا مَن دَخَلَ فِي الإسلام وَعَقَلَهُ، ثُمَّ قَتَلَ، فَلَا تَوْبَةَ لَهُ» ^(١).

(١) صحيح مسلم (١٩) [٣٠٢٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رحمه الله في كتاب: (التفسير). باعتبار تبويب الشراح، وما
اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.
والحديث تقدم في تفسير سورة النساء في مناسبة تفسير قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ
مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية [النساء: ٩٣]، إلا أنه خالف فيه هناك الترتيب المصحفي
على غير عادته في الغالب من كتاب: (التفسير).
وذكر القرطبي رحمه الله الحديث هنا في كتاب: (التفسير من سورة الفرقان) باعتبار
ترتيبه، وعلى وفق ترتيب السور في المصحف.
وأخرجه البخاري رحمه الله في (صحيحه) في كتاب: (تفسير القرآن)، باب:
﴿يُضَلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] (١).

* بيان المراد من الحديث:

قوله: «فقال المشركون: وما يُغني عنا الإسلام، وقد عدلنا بالله...؟!»
«عدلنا» بإسكان اللام، أي: أشركنا به، وجعلنا له مثلاً.

(١) صحيح البخاري [٤٧٦٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسيد بن الحاج بن مسيد القشيري الذي سبأوري

قال الأخفش رحمه الله: (العَدْلُ) - بالكسر - : المِثْلُ. و(العَدْلُ) - بالفتح - هو المصدر، تقول: (عَدَلْتُ هذا بهذا عدلاً حسناً). تَجْعَلُهُ اسماً لِلْمِثْلِ؛ لِتَفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدْلِ الْمَتَاعِ^(١).

وقال الفراء رحمه الله: "(العَدْلُ) - بالفتح -: ما عَدَلَ الشَّيْءُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، و(العَدْلُ) - بالكسر -: المِثْلُ، تقول: (عِنْدِي عَدْلُ غُلَامِكَ وَعَدْلُ شَاتِكَ): إذا كَانَ غُلَامًا يَعْدِلُ غُلَامًا أَوْ شَاةً تَعْدِلُ شَاةً. فَإِنْ أَرَدْتَ قِيَمَتَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ فَتَحَتِ الْعَيْنُ^(٢). وفيه قبول توبة القاتل، وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]: "هذه الآية معطوفة على ما قبلها من الأوصاف التي وصف بها عباد الرحمن جَلَّوَعَلَا، وهو من باب عطف الصفات بعضها على بعض، وكذلك ما بعد هذه الآية من الآيات معطوف بعضها على بعض، والكل معطوف على قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، إلى أن قال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] إلى قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦]، وهذه الجملة هي خبر المبتدأ الذي هو: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وما بين المبتدأ والخبر أوصاف لهم وما تعلق بها.

(١) انظر: معاني القرآن، للأخفش (٢٨٨/١-٢٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن، للفراء (٣٢٠/١)، الصحاح، للجوهري، مادة: (عدل) (١٧٦٠-١٧٦١)، وانظر: الفروق، للعسكري (ص: ١٥٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وقد تضمنت هذه الآية مدح من لم تقع منه هذه الفواحش الثلاث التي هي:
(الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والقتل - العدوان -، والزنى). وذم من وقعت منه، ومضاعفة العذاب
عليه" (١).

وقد تقدم الحديث في تفسير سورة النساء - كما أسلفنا -.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٢/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ن ض

[ومن سورة الشعراء.]

[١] روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَحَصَّ، فقال: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحْمًا سَابُلُهَا بَيَلاَهَا» (١).

[٢] وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ،

(١) صحيح مسلم (٣٤٨) [٢٠٤].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي نسب ابوري

يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ» (١).

[٣] وعن ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،
لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (٢).

[٤] وَعَنْ قَبِيصَةَ بِنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا،
ثُمَّ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَا فَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ،
فَانْطَلَقَ يَرْبُأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ، يَا صَبَاحَاهُ» (٣).

[٣] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ
الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا

(١) صحيح مسلم (٣٥٠) [٢٠٥].

(٢) صحيح مسلم (٣٥١) [٢٠٦].

(٣) صحيح مسلم (٣٥٣) [٢٠٧].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة القشيري الذي سبأوري

إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»، قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبَّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ﴾ [المسد: ١] وَقَدْ تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (١).

[*] قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» بَنَحُو حَدِيثَ أَبِي أُسَامَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ نُزُولَ الْآيَةِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] (٢).

(١) صحيح مسلم (٣٥٥) [٢٠٨].

(٢) صحيح مسلم (٣٥٦) [٢٠٨].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

تخريج الحديث:

* حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه مسلم: عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب: (الإيمان)، باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وأخرجه مسلم: عن ابن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً في كتاب: (الإيمان)، باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (التفسير) باعتبار ترتيبه.

والحديث أخرجه البخاري من طريق: سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب: (الوصايا)، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ ^(١). وفي كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ألن جانبك ^(٢).

* حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخرجه مسلم في كتاب: (الإيمان)، باب: في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) صحيح البخاري [٢٧٥٣].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٧١].



الشرح التحليلي لكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير) باعتبار ترتيبه.

* حديث: قَيْصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرِو: أخرجه مسلم في كتاب: (الإيمان)، باب: في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

* حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه مسلم في كتاب: (الإيمان)، باب: في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير) باعتبار ترتيبه.

وأخرجه البخاري مختصراً كتاب: (الجنائز)، باب: ذكر شرار الموتى^(١).

وأخرج البخاري الحديث في كتاب: (تفسير القرآن)، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ألن جانبك^(٢).

وفي باب: قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]^(٣).

* وأخرج البخاري في كتاب: (الوصايا)، باب: إذا وقف أو أوصى لأقاربه ومن الأقارب: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنساً رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: «أرى أن تجعلها في الأقربين»، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ

(١) صحيح البخاري [١٣٩٤].

(٢) صحيح البخاري [٤٧٧٠].

(٣) صحيح البخاري [٤٩٧١].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

*قوله: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ» بكسر دال عبد؛ لأنه مركب إضافي، و«مَنَافٍ» محول عن مناة، وهو اسم لصنم ^(١)، قال السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكان صنمًا عظيمًا لهم، وكان سمي به عبد مناة، ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة، فحوله: عبد مناف" ^(٢). واسم عبد مناف: المغيرة.

*قوله: «يَا بَنِي هَاشِمٍ» قيل له هاشم، وهو لقب له، لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه في سنة المجاعة، واسمه: عمرو.

*قوله: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» عبد المطلب هو جد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيه، وكان سيد قومه، واسمه: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، مولده في المدينة [١٢٧/ق.هـ]، ومنشأه بمكة، كان عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه، ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. مات بمكة عام [٤٥/ق.هـ].

*قوله: «أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ» أي: خلصوها «مِنَ النَّارِ» بالإيمان بالله عَزَّجَلَّ وطاعته فيما أمر، وأداء عبوديته، والبعد عن الكفر والعصيان.

(١) دليل الفالحين، لابن علان (١٦٩/٣).

(٢) الروض الأنف، لأبي القاسم السهيلي (٢٧/١)، وانظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالح (٢٧٢/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاج بن مسعود القشيري الذي يسيبوري

*قوله: «غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَابُلُّهَا بِبِلَالِهَا» قال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال أبو عمرو وغيره: يقال: بللت رَحِمِي أَبْلُهَا بَلًّا وبِلَالًا: إذا وصلتها وَنَدَّيْتُهَا بالصلة، وإنما شبهت قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالبرد، كما قالوا: سقيته شربة بردت بها عطشه" (١).

*وقوله: «بِبِلَالِهَا» ضبط بفتح الباء الثانية وكسرهما، وهما وجهان مشهوران. قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: رُوِيَ عَنْهُ - بالكسر - قال ورأيتُ لِلْحَطَّائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ بالفتح. وقال صاحب: (المَطَالِع): رُوِيَ عَنْهُ بكسر الباء وَفَتْحُهَا مِنْ بَلَّةٍ يَبُلُّهُ. قال: والبِلَال: الْمَاءُ (٢)، والبِلَالَة: الْبَلَل، وَإِنَّمَا شُبِّهَتْ قُطَيْعَةُ الرَّحِمِ بِالْحَرَارَةِ تَطْفَأُ بِالْبَرْدِ، كَمَا يَقَالُ: سَقَيْتُهُ شَرْبَةً بَرَّدَتْ بِهَا عَطَشَهُ " (٣).

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: «فَإِنْ لَكُمْ رَحِمًا سَابُلُّهَا بِبِلَالِهَا» أي: أصِلْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا. والبِلَال: جمع: بَلَل (٤). وقيل: هو كُلُّ مَا بَلَّ الحَلْقَ مِنْ مَاءٍ، أَوْ لَبَنٍ، أَوْ غَيْرِهِ.

(١) انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مادة: (بَلَل) (٣٤٧/١-٣٤٨)، تهذيب اللغة

(٢٤٥/١٥)، المخصص (٤٦١/٢)، إكمال المعلم (٥٩٣/١-٥٩٤).

(٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قُرقُول (٤٩٥/١-٤٩٦).

(٣) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٥٩٣/١-٥٩٤)، شرح النووي على صحيح مسلم (٨٠/٣).

(٤) الذي هو المصدر، وإن شئت جعلته المصدر؛ لأن بعض المصادر قد يجمع، كالشغل، والعقل، والمرض.

ويقال: ما في سقائك بلال، أي: ماء.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

قال: والعرب يطلقون الندادة على الصلة، كما يطلقون اليبس على القطيعة؛ لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالندادة، ويحصل بينهما التجاني والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى: الوصل، واليبس لمعنى: القطيعة" (١).

وقال الحميدي رحمه الله: "قوله: «فَإِنَّ لَكُمْ رَحْمًا سَأُبْلُهَا بِبِلَالِهَا» من البلل والندادة، أي: أنديها بالصلة والمراعاة والبر، وهذه استعارة كما يقال للقطيعة: ييس..» (٢).

فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكنية، وإثبات البلال تخیيل.
*قوله: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا» الصفا: جبل معروف بمكة شرفها الله عز وجل، وهو من شعائر الله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٥٨].

*قوله: «يَا فَاطِمَةُ، أَنْفِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أي: لا أقدر على دفع عذابه عن أحد، ولا على جلب ثواب لأحد، أي: فلا ينفع القرب في الأنساب مع البعد في الأسباب، فلا تتكلموا على قرابتي؛ فإنني لا أقدر على دفع مكروهه يريد الله عز وجل بكم.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (بَلَل) (١/١٥٣).

(٢) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله الحميدي (١/٤٢٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿التوبة: ١١١﴾، فمعناه: أن المؤمن بائع باعتبار
تحصيل الثواب، والتمن الجنة.

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: " (الشَّرَاءُ) يُمَدُّ وَيُقْصَرُ. يقال: شَرَيْتُ الشَّيْءَ أَشْرِيَهُ شَرِيًّا
وَشِرَاءً: إِذَا بَعْتَهُ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَهُ أَيْضًا، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، أي: يَبِيعُهَا. وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: بَاغَوْهُ. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿اشْتَرَوْا الضَّالَّةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦] أصله
(اشْتَرُوا)، فاستثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت
الياء وحركت الواو بحركتها لما استقبلها ساكن " (١).

* و«المُخَارِق» - بضم الميم والخاء المعجمة - والد قبضة.

* قوله: «إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ» الرضمة بفتح الراء وإسكان الضاد المعجمة
وبفتحها لغتان حكاهما صاحب: (المطالع) رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره (٢)، واقتصر بعضهم على
الإسكان، وبعضهم على الفتح.

قال في (العين) رَحِمَهُ اللَّهُ: "الرَّضْمُ: حِجَارَةٌ مُجْتَمِعَةٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ فِي الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا مَنثورَةٌ
فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَيُجْمَعُ الرِّضْمُ عَلَى رِضَامٍ. وَحِجَارَةٌ مَرْضُومَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ" (٣).

(١) الصحاح، للجوهري، مادة: (شري) (٢٣٩١/٦).

(٢) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قُرقُول (١٦٢/٣).

(٣) العين، مادة: (رضم) (٣٨/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

وقال الجوهري رحمه الله: "الرَضُم والرِضَامُ: صخورٌ عظامٌ يُرَضَم بعضها فوق بعض في الأبنية، الواحدة: رَضْمَةٌ. يقال: رَضَمَ عليه الصخر، يَرْضِم - بالكسر - رَضْمًا. وَرَضَمَ فلانٌ بيته بالحجارة. والرضيم: البناء بالصخر" (١).

* قوله: «فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ» بباءٍ بواحدة مفتوحة بعدها همزة، أي: يجرسهم، فيتطلع لهم ويتحسس، ويكون عينًا لهم على العدو، وهو الربيئة عينُ القوم الذي يَرْبَأُ لهم على مربأ من الأرض (٢)، أي: ارتفاع، يقال: ارتبأ الرجل: إذا علا الموضع المرتفع الذي يمكن فيه الاطلاع على عورة العدو الذي يحرس حربه منهم (٣). قال ابن الأثير رحمه الله: "والاسم: الربيئة، وهو العين والطليلة الذي ينظر للقوم؛ لثلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل، أو شرف ينظر منه. وارتبأت الجبل: أي: صعدته" (٤). قال الجوهري رحمه الله: "والربيء، والرَبِيَّةُ: الطليعة، والجمع: الربايا" (٥).

* قوله: «يَهْتَفُ» بفتح الياء وكسر التاء ومعناه: يصيح.

قال صاحب: (العين): "الهِتْفُ: الصَوْتُ الشَّدِيد. يقال: هَتَفَ يَهْتَفُ هَتْفًا، وهتفت الحمامة: ناحت" (٦).

(١) الصحاح، مادة: (رضم) (١٩٣٣/٥).

(٢) انظر: العين (٢٨٨/٨)، مشارق الأنوار، للقاضي عياض (٢٨٠/١).

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي (ص: ٤٩٦ - ٤٩٧).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (ربأ) (١٧٩/٢).

(٥) الصحاح، للجوهري، مادة: (ربأ) (٥٢/١).

(٦) العين، مادة: (هتف) (٣٤/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي نسب إلى أبي مسند الإمام أبي حنيفة النعمان القشيري الذي نسب إلى أبي

* قوله في رواية البخاري: جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ.

قوله: «يَا بَنِي فَهْرٍ» بكسر الفاء وسكون الهاء، وهي قبيلة من قريش.

قوله: «يَا بَنِي عَدِيٍّ» وهم قبيلة من قريش أيضاً.

قوله: «لِبُطُونِ قُرَيْشٍ» البطن: دون القبيلة والفخذ. وقيل: هو دُونَ الْفَخْدِ، وفوق العِمَارَةِ. والفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن. والفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو؛ فإنها تكسر وتسكن^(١).

* قوله: «يَا صَبَاحَاهُ» كلمة اعتادوها عند وقوع أمر عظيم يقولونها؛ ليجتمعوا ويتأهبوا له. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة: يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشنا العدو. وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا عاد النهار عاودوه، فكأنه يريد بقوله: «يَا صَبَاحَاهُ»: قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال"^(٢).

(١) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٨/ ٤٨٨)، معجم مقاييس اللغة، مادة (فَخَذَ) (٤/ ٤٨١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (صبح) (٣/ ٦-٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي بكر القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي محمد بن أبي بكر القشيري الذي يسمونه بـ

قال صاحب: (العين): "تقول: صَبَحَ فلان: إذا أتاكَ صَبَاحًا. وتقول العرب في الحرب: صَبَحْنَاهُمْ، أي: غَادَيْنَاهُمْ بِالْحَيْلِ وَنَادَوْا: يَا صَبَاحَاهُ: إذا اسْتَغَاثُوا. ويومُ الصَّبَاح: يومُ الغارة (١)."

*قوله جَلَّوَعًا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]:

العشيرة: القبيلة. وحكى أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن الكلبي عن أبيه: الشَّعْبُ أكبر من القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العِمَارَةُ، ثم البَطْنُ، ثم الفخذ (٢). قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولكنه غير موثوق به" (٣).

وحكى أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ عن غيره: "أُسْرَةُ الرَّجُل: رَهْطُهُ الْأَذْنُونُ، وَفَصِيلَتُهُ نَحْوُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ عِثْرَتُهُ، وَالْحَيُّ يُقَالُ فِي ذَلِكَ كَلَّهُ، وَالْعَشِيرَةُ تَكُونُ لِلْقَبِيلَةِ وَلِمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَشِيرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ دُونَهُمْ" (٤).

أمر أول ما أمر بالبداة بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداة، ثم بمن يليه. وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم، كما روى عنه

(١) العين، مادة: (صبح) (١٢٥/٣).

(٢) الغريب المصنف، لأبي غبيد القاسم بن سلام (٣٨٦/١).

(٣) عارضة الأحوذى (١٥٧/١٢).

(٤) الغريب المصنف، لأبي غبيد القاسم بن سلام (٣٨٦/١)، وانظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (شعب) (١٥٥/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يثبت بوري

صلى الله عليه وسلم: أنه لما دخل مكة قال: «كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ما أضعه: ربا العباس»^(١).

وأمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرفقة، ولا يحاييهم في الإنذار والتخويف، كذا في (الكشاف)^(٢).

والإصلاح يبدأ من الأقرب، وإن المنهج الإصلاحية في التشريعات الإسلامية يبدأ من إصلاح الفرد إلى إصلاح الأسرة، وصلاح الفرد مرهون في كثير من الأحيان بصلاح الأسرة؛ لأنها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، فإن صلحت الأسر واستقامت صلح المجتمع وازدهر.

فالتغيير يبدأ من إصلاح النفس إلى إصلاح الأسرة، ثم إلى الدائرة الأقرب من الأصدقاء والجيران والمدرسة، ثم إلى إصلاح المجتمع.

ووصف ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] تأكيداً لمعنى: العشيرة، واجتلاب لقلوبهم إلى إجابة ما دعاهم إليه، وتعرض بأهل الكفر منهم.

(١) أخرجه مسلم [١٢١٨]: بلفظ: «وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله».

(٢) الكشاف (٣/ ٣٣٩).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لبوري

* قوله: «وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» هو بفتح اللام، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فظاهر هذه العبارة أن قوله: «وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» كان قرآنًا أنزل، ثم نسخت تلاوته. ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ" (١).

والصواب أن هذه العبارة ليست بقرآن؛ إذ لم يثبت نقلها في المصحف، ولا تواتر، فلا يثبت ذلك نقلًا ولا معنىً، كما حرّر ذلك الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: "ويلزم على ثبوتها إشكال، وهو أنه كان يلزم عليه ألا ينذر إلا من آمن من عشيرته؛ فإن المؤمنين هم الذين يوصفون بالإخلاص في دين الإسلام، وفي حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا المشركون؛ لأنهم ليسوا على شيء من ذلك، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا عشيرته كلهم - مؤمنهم وكافرهم -، وأنذر جميعهم، فلم يثبت ذلك نقلًا ولا معنىً، فالحمد لله الذي رفع عنا الإشكال والعناء" (٢).

وقال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» إما تفسير لقوله عشيرتك الأقربين، وإما قراءة شاذة رواها، قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: قرأها ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهَا" (٣).

وسياتيك قول القاضي أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في قراءة: «وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» بأنها شاذة، وبأنه لا يقرأ إلا بما بين الدفتين، واتفق عليه أهل الإسلام.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/٣-٨٣)، إكمال المعلم (٥٩٤/١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٤/٧-٣٨٥).

(٣) الكواكب الدراري (٢١٥/١٨-٢١٦).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِيٍّ

والراجع ما ذكره الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه الآنف الذكر.
* وقوله: «أرأيتمكم» معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محل له من الإعراب.

* و«سَفَحَ الْجَبَلُ»: قيل: أسفله، وقيل: عرضه المنسطح من أسفله. قال صاحب: (العين): «سَفَحَ الْجَبَلُ»: عُرْضُهُ الْمُسْتَطَجِعُ، وجمعه: سَفُوحٌ ^(١). والسُّفُوحُ أيضاً: الصخور اللينة المنزقة.

وقال الجوهرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَفَحَ الْجَبَلُ»: أسفله حيثُ يَسْفَحُ فيه الماء، وهو مُسْتَطَجَعُهُ ^(٢).

* قوله: «أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» أي مصدقين لي في قولي، و«مُصَدِّقِي» بتشديد الدال والياء.

* قوله: «قالوا: نعم»، أي: كنا نصدقك؛ وسببه أنا في جميع عمرنا «مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا». قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ضُمِّنَ جَرَّبَ: معنى: الإلقاء، وَعَدَّاهُ بـ: (على)، أي: ما أَلَقَيْنَا عَلَيْكَ شيئاً من الأخبار مجربين إياك إلا وجدناك فيه صادقاً" ^(٣).

* قوله: «قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» أي: قبل نزول عذاب عظيم، وعقاب أليم، والمعنى: أنكم إن لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذاب قريب.

(١) العين، مادة: (سَفَحَ) (١٤٧/٣).

(٢) الصحاح، مادة: (سَفَحَ) (٣٧٥/١)، وانظر: تهذيب اللغة (١٨٩/٤)، المحكم (٢٠٤/٣).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣٧٢٥/١٢)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٣٣٧٠/٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: "قوله: «بَيْنَ يَدَيْ» ظرف لقوله: «نذير»، وهو بمعنى: قدام؛ لأن كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين المسامتتين ^(١) ليمينه وشماله. وفيه تمثيل، مثل إنذاره القوم بعذاب الله عَزَّجَلَّ النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم ^(٢).

قوله: «قَالَ: فَقَالَ أَبُو هَبٍ» اسم أبي هب هو عبد العزى، ولم يذكر باسمه؛ لقبحه وحرمته، وهو ابن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: إن أبا هب لقب له، وليس بكنية، وكنيته أبو عتبة. قيل: لُقِبَ بأبي هب؛ لإشراق وجنتيه، كأنهما كانتا تلتهبان نارًا. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "وأولى من ذلك كله أن الله عَزَّجَلَّ أجرى عليه هذا اللقب؛ لعلمه بمآل أمره، وأنه من أهل النار، كما أجرى على أبي جهل لقب الجهل، وسلبه أبا الحكم، وحكي في قول مصيب: لكل امرئ من اسمه نصيب، ألا يقتضي العجب من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]" ^(٣).

(١) سامت الشيء: واجهه ووازاه. قال الفيومي: "سَامَتُهُ مُسَامَتَةٌ بمعنى: قَابَلُهُ وَوَازَاهُ" المصباح المنير، مادة: (سمت) (٢٨٧/١).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣٣٩٧/١١).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٦/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَوْرِيِّ

وقال ابن بطل رحمه الله: "يحتمل أن تكون تكنيته من طريق التجنيس في البلاغة ومقابلة اللفظ بما شابهه، فكفى في أول السورة بأبي لهب؛ لقوله في آخرها: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]" (١).

فإن قيل: ما السر في أن الله عزَّ وجلَّ كناه، والتكنية تكريمة؟

فيقال: إن جوابه من أوجه:

أحدها: أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم.

والثاني: أنه كان اسمه: عبد العزى، فعدل عنه إلى كنيته؛ إذ كيف يذكره الله عزَّ وجلَّ

بهذا الاسم، وفيه معنى الشرك؟

والثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته،

فكان جديراً بأن يذكر بها. ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير. وأبو الخير للخير (٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ويمكن جواب آخر وهو أن التكنية لا تدل بمجرد

على التعظيم، بل قد يكون الاسم أشرف من الكنية؛ ولهذا ذكر الله عزَّ وجلَّ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأسمائهم دون كناههم (٣).

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٣٥٥/٩-٣٥٦)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٥٩٤/١-٥٩٥).

(٢) انظر: الكشف (٨١٤/٤)، كشف المشكل (٣٦٠/٢).

(٣) فتح الباري (٥٠٣/٨-٥٠٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وقيل: إن أبا هب لقب له، وليس بكنية، وكنيته: أبو عتبة - كما تقدم -.

* قوله: «فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبًّا لَكَ» جاء في (صحيح البخاري): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قال أبو هب عليه لعنة الله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَبًّا لَكَ سائر اليوم فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]»^(١).

* و«تَبًّا لَكَ» أي: خسراً وهلاكاً، ونصبه بعامل مضمر، فهو إما نصب على المصدر والمعنى: تَبَّ تَبًّا، أو بإضمار فعل، أي: ألزمتك الله هلاكاً وخسراً، وألزم تَبًّا لَكَ.

ولفظ: «سائر» منصوب بالظرفية، أي: باقي الأيام، أو جميعها.

قال في (الصحيح): «وسائر الناس: جميعهم»^(٢).

وقال في (القاموس): «والسائر: الباقي لا الجميع، كما تَوَهَّم جماعات، أو قد يُسْتَعْمَلُ له»^(٣).

قال في (التهذيب) في قول أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وسائر الناس همج»^(٤): «إن أهل اللغة اتَّفَقُوا على أن معنى: (سائر) في أمثال هذا الموضع بمعنى: الباقي. قال:

(١) صحيح البخاري [١٣٩٤، ٤٧٧٠].

(٢) الصحيح، للجوهري، مادة: (سير) (٦٩٢/٢).

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص: ٤٠٣).

(٤) روي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفاً: أخرجه ابن المبارك في (الزهد) [٥٤٣]، وأبو بكر الآجري في (أخلاق العلماء) (ص: ٤٢)، والبيهقي في (المدخل إلى علم السنن) [٥٤٣]، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) [١٣٤، ١٣٣]، وابن عساكر (٤٧/١٤٥)، وابن الإمام أحمد في (زوائد الزهد) [٧٣٢]..



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسئلاً عن الحاج بن مسعود القشيري الذي سأل بوري

يُقَال: أَسَارَتْ سُورًا وَسُورَةً: إِذَا أَبْقَيْتَهَا وَأَفْضَلْتَهَا، وَالسَّائِرُ: الْبَاقِي؛ وَكَأَنَّهُ مِنْ سَرَّ
يَسَارَ فَهُوَ سَائِرٌ، أَي: فَضَّلَ.. الخ" (١).

* قوله: «ألهذا جمعنا؟» بجملة الاستفهام الإنكاري.

* وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] بفتح الهاء ويسكن، قرأ العامة:
﴿لَهَبٍ﴾ بفتح الهاء. وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِسْكَانِهَا. فقليل: لغتان بمعنى، نحو: النَّهْرُ وَالنَّهْرُ،
وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَعْلَامِ كَقَوْلِهِ: شَمْسُ ابْنِ مَالِكٍ - بِالضَّمِّ -، يَعْنِي:
أَنَّ الْأَصْلَ: شَمْسٌ - بفتح الشين -، فَغُيِّرَتْ إِلَى الضَّمِّ (٢).

* والتباب: الخسران والهلاك. ومنه قولهم: (أشابة أم تابة؟)، أي: هالكة من الهرم
والتعجيز.

* وقوله: «وَقَدْ تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ» معناه: أن الأعمش
زاد لفظة: «قد» بخلاف القراءة المشهورة. قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
قِرَاءَةِ: «وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ». والثانية: قوله: «وَقَدْ تَبَّ»: "هما شاذتان، وإن
كان العدل رواهما عن العدل، ولكنه كما بينا لا يقرأ إلا بما بين الدفتين، واتفق عليه
أهل الإسلام" (٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٤/١٣).

(٢) انظر: الدر المصون (١٤٢/١١)، البحر المحيط (٥٦٥/١٠-٥٦٦)، الكشف (٨١٤/٤).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٤٦٧/٤).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسعود القشيري الذي سبأوري

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "ولست هذه القراءة فيما نقل الفراء رَحِمَهُ اللهُ عن الأعمش، فالذي يظهر أنه قرأها حاكياً لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق: «يومئذ»؛ فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك، والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ وحده" (١).

وقد تقدم القول في قوله: «وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ». وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَبَّتْ﴾ دعاء، و﴿وَتَبَّ ١﴾ إخبار، أي: قد وقع ما دُعي به عليه. ويدل عليه قراءة ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ: «وقد تب». قال الفراء رَحِمَهُ اللهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ: «وقد تب» فالأول: دعاء، والثاني: خبر. قال الفراء رَحِمَهُ اللهُ: «تب»: خسر، كما تقول للرجل: أهلكك الله، وقد أهلكك، أو تقول: جعلك الله صالحاً، وقد جعلك" (٢). وقيل: كلاهما بمعنى: الدعاء، أعني: ﴿تَبَّتْ﴾ و﴿وَتَبَّ ١﴾. وقيل: كلاهما خبر، فالأول: خسرت يدها، مراده من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ كان مراده قتله، وإخفاء كلمته. و﴿وَتَبَّ ١﴾ هو بما أصابه من العذاب.

(١) فتح الباري (٥٠٣/٨).

(٢) معاني القرآن، للفراء (٢٩٨/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينَابُورِيِّ

وقيل: تب في نفسه، وتب في ولده وكسبه؛ إذ لم يغنيا عنه شيئاً، ولا جرّاً له نفعا^(١).

وإسناد الهلاك إلى اليدين وهو في الحقيقة للنفس، وأما تخصيص ذلك باليدين لأن العمل أكثر ما يكون بهما، والعرب يعبرون ببعض الشيء عن جميعه، كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي: بأنفسكم، والباء زائدة، وكقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].

وقيل: أخذ بيديه حجرًا ليرمي به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند التب إليهما. *قوله: «إِلَى آخِرِ السُّورَةِ» قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: "السور: حائط المدينة، وجمعه: أسوارٌ وسيرانٌ. و(السُّورُ) أيضًا جمع: سورة، مثل: بُسْرَةٍ وبُسْرٍ، وهي كل منزلة من البناء. ومنه: سورة القرآن؛ لأنها منزلةٌ بعد منزلةٍ مقطوعةٍ عن الأخرى. والجمع: سُورٌ بفتح الواو. ويجوز أن يجمع على (سُورَاتٍ) بسكون الواو وفتحها"^(٢).

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: "السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع. من ذلك: سار يسور: إذا غضب وثار. وإن لغضبه لسورة. والسور: جمع سورة، وهي

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٦/٧).

(٢) (٢) الصحاح، للجوهري، مادة: (سور) (٦٩٠/٢).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نسيب السليمي القشيري الذي يسمونه بـ"الشيخ" مسند الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نسيب السليمي القشيري

كل منزلة من البناء" (١). وسور البناء: يجمع على (سور) بكسر الواو. وسورة القرآن

تجمع على (سور) بفتح الواو (٢).

وقال الراغب رحمه الله: "السورة: المنزلة الرفيعة، قال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب (٣)

وسور المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيهاً بها لكونه محاطاً بها

إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر، ومن قال: سورة فمن أسأرت،

أي: أبقيت منها بقية، كأنها قطعة مفردة من جملة القرآن.

وقوله جل وعلا: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]، أي: جملة من الأحكام والحكم، وقيل:

أسأرت في القدر، أي: أبقيت فيه سورة، أي: بقية" (٤).

وقال الحرالي رحمه الله: "السورة تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام، بمنزلة إحاطة

السور بالمدينة" (٥).

وقال الثوري شتي رحمه الله: "السورة كل منزلة من البناء، ومنها القرآن؛ لأنها منزلة بعد

منزلة مقطوعة عن الآخرة، أو قطعة مفردة من جملة القرآن، فكأنما أخذ من سور

(١) مقاييس اللغة، مادة: (سور) (١١٥/٣).

(٢) انظر: الكليات (ص: ٤٩٤).

(٣) ديوان النابغة الذبياني (ص: ٧٣).

(٤) المفردات في غريب القرآن، مادة: (سور) (ص: ٤٣٣-٤٣٤).

(٥) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير (ص: ١٧٠)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٩٩).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

المدينة، وهو حائطها المشتمل عليها؛ تشبيهاً بها؛ لكونها محيطة بها إحاطة السور بالمدينة" (١).

وبناء على ما تقدم من بيان معنى السورة في اللغة والذي يؤسس لبيان معنى السورة ووصفها في الاصطلاح؛ فإن معناها في الاصطلاح يرجع إلى ما قيل في الاشتقاق، ومحصل القول في ذلك أن يقال: إن الواو في (السورة) إما أن تكون أصلية، أو منقلبة عن همزة، وبيان ذلك على النحو التالي:

القول الأول: أن تكون الواو في (السورة) أصلية:

وعليه يكون اسمها مشتقاً من:

١ - السور الذي يحيط بالبلد:

أ. أما لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حياها، كالبلد المسور.

ب. أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها.

٢ - أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة:

أ. لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ: وهي أيضاً في أنفسها مترتبة: طوال وأوساط وقصار.

ب. أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين.

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة، للتوريشي (٢/٤٩٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

القول الثاني: أن تكون واوها منقلبة عن همزة:

فيكون المعنى: قطعة وطائفة من القرآن، كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه ^(١).

ما نخلص إليه من التعريف:

وبناء على ما تقدم فقد قيل في تعريف السورة في الاصطلاح: (هي مقدار من القرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، أقلها ثلاث آيات) ^(٢).

وقيل: (السورة الطائفة المترجمة توقيفاً من الأحاديث والآثار، أي: المسماة باسم خاص، وأقلها ثلاث آيات).

قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: "(والسورة الطائفة) من القرآن (المترجمة)، أي: المسماة باسم خاص (توقيفاً)، أي: بتوقيف من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذكر هذا الحد شيخنا العلامة الكافيجي رَحِمَهُ اللهُ في تصيف له ^(٣). وليس بصاف عن الإشكال، فقد سمى كثير من

(١) انظر: الكشف (٩٧/١)، وفي أصل اشتقاقها بحث. انظر: الكليات (ص: ٤٩٤)، تهذيب اللغة (٣٧/١٣)، حاشية القونوي على البيضاوي (٤٢١/٢)، الإتيان في علوم القرآن (١٨٦/١).

(٢) قاله الجعبري. انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٦٤/١)، الإتيان (١٨٦/١).

(٣) واسمه: (التيسير في قواعد علم التفسير) وهو مطبوع في دار القلم. و(الكافيجي) هو: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي: من كبار العلماء بالمعقولات، رومي الأصل، اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي [١٤] سنة. وعرف بالكافيجي؛ لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولي وظائف، منها مشيخة الخانقاه الشيخونية. وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. توفي سنة [٨٧٩ هـ]، له تصانيف، منها: (مختصر في علم التاريخ)، و(أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة)، و(نزهة المعرب) في النحو، و(التيسير في قواعد التفسير)، وغيرها. انظر في ترجمته: الضوء اللامع =



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ البُزْجِيِّ

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَوْرًا بأسماء من عندهم، كما سُمِّيَ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التوبة بالفاضحة، وسورة العذاب، وسمى سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفاتحة بالواقية، وسماها يحيى بن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالكافية، وسماها آخر الكنز، وغير ذلك مما بسطناه في (التحجير) في النوع الخامس والتسعين^(١).

وقال بعضهم: (السورة قطعة لها أول وآخر). ولا يخلو من نظر؛ لصدقه على الآية، وعلى القصة. ثم ظهر لي رجحان الحد الأول، ويكون المراد بالتوقيفي: الاسم الذي تذكر به وتشتهر.

(وأقلها ثلاث آيات) كالكوثر، أي: على عدم عد البسمة آية، إما على عدم كونها من القرآن في كل سورة كما هو مذهب غيرنا، أو على أنها منه لكنها ليست آية من السورة، بل آية مستقلة للفصل - كما هو وجه عندنا -، وليس في السور أقصر من ذلك^(٢).

وقال في (الإتقان): "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك"^(٣).

= (٢٥٩/٧)، مفتاح السعادة (١/٤٥٤)، بغية الوعاة (ص: ٤٨)، شذرات الذهب (٧/٣٢٦)، الأعلام (١٥١/٦).

(١) انظر: التحجير في علم التفسير (ص: ٣٦٨).

(٢) انظر: تحقيقنا لإتمام الدراية لقراء النقاية، للإمام السيوطي (١/١٨٥-١٨٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/١٨٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

ومما يدل لذلك: ما جاء عن عكرمة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كان المشركون يقولون: سورة البقرة، سورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] (١).

وقد تعقب أستاذنا العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة رَحِمَهُ اللهُ الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ في قوله الآنف الذكر، حيث قال: إن كان مراد الحافظ - طيب الله ثراه - في هذا الموطن هو التعميم الشامل لأسماء جميع سور القرآن، أو مراده من الثبوت: زعم مجيء الحديث في كل اسم من أسماء سور القرآن على درجة صالحة للحجية، من تواتر، أو صحة، أو حسن، فغير مسلم؛ فإن الباحث المتقصي في كتب السنة، وكتب التفسير بالمأثور، يدرك لا محالة أن هذا مطلب عزيز المنال، وأن أقصى ما يظفر به في أسماء بعض السور آثار ضعيفة فردة، لا ينجر ضعفها، موقوفة أو مقطوعة في كثير من الأحيان، مما يدل على أن مثل هذه الدعوى من صاحبها لو كانت قصده رَحِمَهُ اللهُ مجازفة.

وما أورده من حديث: عكرمة رَحِمَهُ اللهُ أعم من المدعى؛ فإن أقصى ما يدل عليه ثبوت التوقيف في خصوص ما سماه من البقرة والعنكبوت، فأما ما وراء ذلك فليس في هذا الحديث عنه عين ولا أثر، ويزيد على ذلك أن الحديث مرسل.

(١) انظر: الدر المنثور (١٠٤/٥)، الإتيان في علوم القرآن (١٨٧/١)، جمال القراء، لعلم الدين السخاوي (ص: ٤٢٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي تيسر لأبوري

واستدل على ذلك بما قرر من القواعد المسلمة في الاستدلال من نحو قولهم:
(يلزم من ثبوت الأخص ثبوت الأعم، ولا يلزم من ثبوت الأعم ثبوت الأخص)،
و(شرط موضوع الدليل إما أن يكون مساويا لموضوع المدعى أو أعم منه).
و(شرط محمول الدليل إما أن يكون مساويا لمحمول المدعى أو أخص منه)،
و(يلزم من ثبوت الأخص ثبوت الأعم).
ويقال من حيث الإجمال: (المحمول الثابت لموضوع أخص، أعم من المحمول
الثابت لموضوع أعم..).

وبناء على ما حرر فإن موضوع مدعاه هو جميع السور، على أن موضوع دليله
هو خصوص سورتي البقرة والعنكبوت، وثبوت شيء للأخص لا يلزم ثبوته للأعم.
وباعتبار آخر فإن ثبوت التسمية بالتوقيف لسورتين هم أعم من أن يكون معه
غيره من ثبوت تلك التسمية لغيرهما، فلا ينتج؛ لما قرر من أنه لا يلزم من ثبوت الأعم
ثبوت الأخص، أي: فيكون الدليل على هذا الاعتبار الأخير هو أعم من المدعى، فلا
ينتج.

ويقال لمن ادعى ثبوت التوقيف: ما مقصودك من ثبوت التوقيف؟ هل تقصد
المعنى الظاهر المتبادر، وهو حصول الشيء بدرجة صالحة للحجية، أو تقصد مجرد الورد
أعم من أن يكون حجة أو غير حجة؟ فإن قصدت الأول فهي مجازفة لا تصلح؛ فإن
ذلك مصادم للواقع الذي يعرف بالتتابع؛ فإن بعض السور لم يرد فيها شيء عن المعصوم
صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين رضيهم الله.



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

وأما إن كان مراده رَحْمَةُ اللَّهِ من هذا الثبوت هو مجرد ورود الأثر، ولو على درجة لا تتم بمثلها حجة فغير مفيد أصلاً فيما نحن بصدد، وما يصلح أن يعبر عن مثل هذا بالثبوت، بل كان عليه أن يقول جاء أو ورد ونحو ذلك.

فأما التحقيق الذي نقول به فهو أن التوقيف قد ثبت بالفعل في بعض السور بحيث يتيسر لكل باحث الوقوف على كون تسمية السورة من هذا البعض باسمها المشهور هي بالتوقيف الثابت عن المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسند الصحيح من جهة، ثم المشهور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ المدلول على شهرته بينهم بالسند الصحيح. ولكن مثل هذا لا يتيسر مثله في العديد من السور، فالمنصف يأخذ بالحيلة، ويلزم الجادة، فلا يقول بالتوقيف إلا فيما ثبت فيه التوقيف، وما لم يثبت فإنه يتوقف فيه على أقل تقدير، فيقول: الله أعلم أبا التوقيف هو ولم أطلع عليه أم هو بالاجتهاد؟^(١)

والذي نرجحه هو ما ذهب إليه أستاذنا العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة رَحِمَهُ اللَّهُ، من الجزم بتوقيفية الأسماء التي ورد فيها دليل، وأن نتوقف فيما لم يتوفر له الدليل، هل هو بالتوقيف ولم نطلع عليه أم هو بالاجتهاد؟ ونضرب صفحاً عن الأقوال الأخرى.

وقد ذكرت ذلك في الجزء الثاني من (تذكرة وبيان من علوم القرآن)، ورأيت نقله؛ لنفاسته، ولتمام الفائدة.

(١) انظر ذلك مفصلاً في (التفسير التحليلي لسورة النساء) (ص: ٤-١٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمي بـ

* قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد:٤] قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ:

"﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ رفع من وجهين:

أحدهما: العطف على ما في ﴿سَيَصِلُ﴾ [المسد:٣]، المعنى: سيصلى هو وامرأته ويكون ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد:٤] نعتاً لها.

ومن نصب فعلى الدم، والمعنى: أعني: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

ويجوز رفع ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ على الابتداء، و﴿حَمَّالَةَ﴾ من نعتها، ويكون الخبر:

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:٥] خبر الابتداء" (١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الجمهور: على رفع ﴿حَمَّالَةَ﴾ على الصفة أو البدل، أو على أنه خبر ابتداء محذوف، وقرأه عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ بالنصب على الدم، ويجوز أن يكون حالاً (٢)، وسميت بذلك؛ لأنها كانت تُلقى الشوك في طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتؤذيه، قاله الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ. وقيل؛ لأنها كانت نقالة للحديث نمامة، فكانت تشعل نار العداوة، كما تشعل النار في الحطب (٣).

وعلى القول بأنها كانت تُلقى الشوك في طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتؤذيه على فإن الكلام يكون سبيل الحقيقة، والقول بأنها كانت تمشي بالنميمة وتشعل نار العداوة فإنه يكون على سبيل المجاز.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣٧٦/٥).

(٢) انظر: الدر المصون (١٤٥/١١).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٥/٧-٣٨٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يثبت بوري

المسألة الثانية: إجمال ما يستفاد من الروايات السابقة:

١ - إن رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأسوة الحسنة للأخلاق الفاضلة فهو الصادق الأمين بشهادة من آمن ومن لم يؤمن استكباراً أو خوفاً على الرِّعامة أو المكانة أو لاعتباراتٍ أخرى.

٢ - أمر الله عَزَّجَلَّ عباده أن يلازموا الصدق في جميع الأحوال، وأن يكونوا مع الصادقين؛ لأن الصدق سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، أي: اصدقوا، والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض الصحابة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، ومن صدق نجاً" (١).

وقولهم: «ما جربنا عليك كذباً»، دليل صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عرف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنه الصادق الأمين.

٣ - قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "استُدل به على جواز تسمية المشرك، وقد اختلف العلماء في ذلك، واختلفت الرواية عن مالك في تسمية الذمي بالجواز والكراهة، وقال بعضهم: إنما يجوز من ذلك ما جاء في ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان على وجه التأليف وإلا فلا؛ إذ في التسمية تعظيم وتكبير، وتسمية الله عَزَّجَلَّ لأبي لهب ليس

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤١٨/٦).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

من هذا، ولا حجة فيه؛ إذ كان اسمه: عبدُ العزى، وهذه تسمية باطلة؛ فلهذا كنى عنه، وقيل: بل كنيته الغالبة عليه فصار كالاسم له.

وقيل: بل أبو هبٍ لقبٌ له ليس بكنية، وكنيته: أبو عُتْبَةَ [كما تقدم]، فجرى مجرى اللقب والاسم، لا مجرى الكنية.

وقيل: بل جاء ذكر أبي هبٍ لمجانسته نارا ذات هبٍ في السورة من باب البلاغة وتحسين العبارة [كما تقدم] ^(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه جواز تكنية الكافر، وفيه خلاف بين العلماء - كذا قيل -. وفي إطلاقه نظر؛ لأن الذي منع من ذلك إنما منع منه حيث يكون السياق يشعر بتعظيمه، بخلاف ما إذا كان ذلك؛ لشهرته بها دون غيرها كما في هذا، أو للإشارة إلى ما يؤول أمره إليه من هبٍ وجهنم.. " ^(٢).

٤ - قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: "استدل بعض المالكية بقوله في هذا الحديث: «يا فاطمة بنت محمد سألني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»: أن النيابة لا تدخل في أعمال البر؛ إذ لو جاز ذلك لكان يتحمل عنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يخلصها، فإذا كان عمله لا يقع نيابة عن ابنته فغيره أولى بالمنع، وتعقب بأن هذا كان قبل أن يعلمه الله عَزَّجَلَّ بأنه يشفع فيمن أراد، وتقبل شفاعته حتى يدخل قوماً الجنة بغير حساب، ويرفع درجات قوم آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه.

(١) إكمال المعلم (١/٥٩٤ - ٥٩٥)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٨٣).

(٢) فتح الباري (٨/٥٠٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي نسب أبو حنيفة

أو كان المقام مقام التخويف والتحذير.

أو أنه أراد المبالغة في الحز على العمل، ويكون في قوله: «لا أغني شيئاً» إضمار
إلا إن أذن الله عز وجل لي بالشفاعة" (١).

وقال الحافظ رحمه الله في موضع آخر: "وقد نقل الطبري رحمه الله وغيره الإجماع على
أن النيابة لا تدخل في الصلاة، قالوا: لأن العبادات فرضت على جهة الابتلاء وهو لا
يوجد في العبادات البدنية إلا بإتعايب البدن، فبه يظهر الانقياد أو النفور، بخلاف الزكاة؛
فإن الابتلاء فيها بنقص المال، وهو حاصل بالنفس وبالغير. وأجيب بأن قياس الحج
على الصلاة لا يصح؛ لأن عبادة الحج مالية بدنية معاً فلا يترجح إلحاقها بالصلاة على
إلحاقها بالزكاة؛ ولهذا قال المازري رحمه الله: من غلب حكم البدن في الحج ألحقه بالصلاة،
ومن غلب حكم المال ألحقه بالصدقة. وقد أجاز المالكية الحج عن الغير إذا أوصى به
ولم يجزوا ذلك في الصلاة" (٢).

ولا يخفى أن العبادات الذاتية والشخصية إنما تنفع الشخص نفسه، ومن ذلك:
الصلاة، وأما الصوم فيرى كثير من أهل العلم أنه لا يصوم أحد عن أحد، وفيه تفصيل
ينظر في مظانه.

ومن عجز عن الصوم لمرض أو شيخوخة فإنه يفطر ويفدي، ولا يصوم عنه أحد،
وأما الزكاة فإنها عمل مالي وتجري فيه الوكالة.

(١) المصدر السابق (٥٠٢/٨).

(٢) فتح الباري (٦٩/٤)، وانظر: المُلَعم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله المازري المالكي (١٠٨/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي سبأوري

وأما الحج ففيه الشبهان؛ فإنه يشبه الزكاة؛ لأن فيه نفقات، ويشبه الصلاة من حيث ما فيه العبادة الذاتية، من نية وطواف ووقوف بعرفة ورمي للجمرات؛ ولذلك أشبه الأمرين، فقالوا: عند العجز الكامل يقبل الإنابة، وبدون عجز كامل لا يقبل الإنابة، وتفصيل ذلك في مظانه.

٥ - التنبيه على العاقبة والمصير:

أخبر الله عز وجل عن مصير أبي لهب، وأنه سينقلب إلى لهب يصلاه في نار جهنم. قال ابن بطال رحمه الله: "ذكر شرار الموتى من أهل الشرك خاصة جائز؛ لأنهم لا شك أنه مقطوع عليهم بالخلود في النار، فذكر شرارهم أيسر من حالهم التي صاروا إليها، مع أن في الإعلان بقبيح أفعالهم مقبحاً لأحوالهم وذمّاً لهم، لينتهي الأحياء عن مثل أفعالهم ويحذروها، جنبنا الله عز وجل أفعال الكفار، وأجارنا من النار" (١).

وأخبر جل وعلا عن مصير امرأته بقوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ [المسد: ٤-٥]، فأخبر عن حالها، وأنها نمامة مؤذية، وأن مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم، وأن تكون مغلولة اليد التي كانت تؤذي بها، فالكناية أوجزت ذلك المصير في أبلغ تصوير.

وفي قوله جل وعلا: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾ [المسد: ١] تعليم للمخاطبين بإنشاء الدُّعاء عليه، أي: قولوا ذلك، فهو مصروفٌ إلى الخلق؛ لإعلامهم بأن من كان هذا

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/٣٨٤-٣٨٥).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

حاله في الإيذاء والإفساد، والصد عن الهداية، فهو أهل لأن يدعى عليه، فهو وزوجته
أمودجان لكل مفسد ومؤذي.

أو هو من قبيل الإخبار بما يؤول إليه حاله.

والفائدة: عدم اقتفاء أثر من كان حاله كذلك، والتحذير من سلوك طريقه، وفي
ذكر المال والعاقبة عبرة للمعتبر.

والقرآن إنما يعنى بالمقاصد العامة، فليس الأمر مجرد إنشاء للدعاء على فلان من
الناس؛ فلذلك فإنَّ القرآن لا يعنى بذكر غالبًا بذكر أشخاص ولا أماكن ولا أزمنة ولا
مسافات؛ لأن ذلك لا علاقة له بالحدث، وإنما يعنى بموضع العبرة. فعندما يذكر فرعون
-مثلاً- وهو لقب لملوك مصر في تلك الحِقْبَةُ من الزمن لا يذكر من هو على وجه
التحديد. وإذا نصَّ القرآن الكريم في القليل النَّادر على ذلك فإنما يكون لقصد عظيم.
وقد ذكر القرآن الكريم حكام مصر القدامى بلقب: (فرعون)، إلا في سورة يوسف
فقد ذكر فيها حاكم مصر بلقب (ملك) في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي
بِهِ؟﴾ [يوسف: ٥٠]، وقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

وقد ذكر المؤرخون أن ملك مصر في عهد يوسف عَلَيْهِ السَّلَام كان من ملوك العرب
المعروفين بالرعاة (الهكسوس). قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "والتعريف
في ﴿الْمَلِكُ﴾ للعهد، أي: ملك مصر. وسماه القرآن هنا: ملكا ولم يسمه فرعون؛ لأن
هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

(الهكسوس)، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي: البدو. وقد ملكوا بمصر من عام [١٩٠٠] إلى عام [١٥٢٥] قبل ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). فالتعبير في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالملك من دقائق إعجاز القرآن.

والملاحظ هنا أنه جرى ذكر أبي لهب لفائدة، وهي أن الآية تتضمن الإعجاز والتَّحدي، فمن الذي يملك أن يطلق هذا التَّهديد على صفحات الدَّهر، والقطع بأنه لن يتوب في حياته، فلو أنَّ أبا لهب قال: آمنت ولو كذبًا؛ لثبت أنَّه قد محى أسباب شقائه، أو بقصد تشكيك النَّاس بصحَّة هذا الإخبار لكان نسخًا للخبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؛ لأنه يدل على كذب الخبر. ومن جانب آخر جرى ذكره كأنموذج للشر والصد عن سبيل الله عزَّوَجَلَّ، فكان مثالًا وعظة وعبرة، وبيانًا لحال كل من نهج نهجه.

(١) التحرير والتنوير (٢٨٠/١٢)، وانظر: تفسير المنار (٢٦١/١٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

ن ض

[ومن سورة الم السجدة]

قال الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ،
قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ -وَاللَّفْظُ
لَهُ- حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَزْرَةَ، عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَيْنِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ
الْجَزَّارِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ
مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، قال: «مَصَائِبُ الدُّنْيَا، وَالرُّومُ،
وَالْبَطْشَةُ، أَوْ الدُّخَانُ» شُعْبَةُ الشَّائِكُ فِي الْبَطْشَةِ أَوْ الدُّخَانِ (١).

(١) صحيح مسلم (٤٢) [٢٧٩٩].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم رحمه الله في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب: الدخان. باعتبار ما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

وذكره القرطبي رحمه الله في كتاب: (التفسير) باعتبار ترتيبه.

* قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْم ١﴾ [السجدة: ١] قد بيت المراد الحروف المقطعة في أوائل السور في الجزء الثاني من كتاب: (تذكرة وبيان من علوم القرآن) (١). وفي الحديث مسألتان:

المسألة الأولى: تسمية السورة ب: (الم السجدة):

وأشهر أسماء هذه السورة هو (سورة السجدة)، وتسمى أيضاً: ﴿الْم ١﴾ [السجدة: ١-٢].

وقد أخرج البخاري ومسلم: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: الم تنزيل السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]» (٢).

(١) انظر: تذكرة وبيان من علوم القرآن، الجزء الثاني، د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان (٣٨٩/٢-٣٩٨).

(٢) صحيح البخاري [٨٩١، ١٠٦٨]، مسلم [٨٨٠].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الحاجب بن مسعود القشيري الذي نسب لبوري

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: أَلَمْ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ: سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ» (١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدْرَ قِرَاءَةِ: أَلَمْ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرَتَيْنِ قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الْآخِرَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ، وَفِي الْآخِرَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ»، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو بَكْرٍ فِي رَوَايَتِهِ: أَلَمْ تَنْزِيلِ، وَقَالَ: قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً (٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ: أَلَمْ تَنْزِيلِ، وَ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]» (٣).

(١) صحيح مسلم [٨٧٩].

(٢) صحيح مسلم [٤٥٢]، وقوله: «نحزر» أي: نخمن مقدار طول قِيَامِهِ فِي الصَّلَاتَيْنِ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة [٢٩٨١٦]، وأحمد [١٤٦٥٩]، وابن حميد [١٠٤٠]، والبخاري في (الأدب المفرد) [١٢٠٧]، والترمذي [٢٨٩٢]، والنسائي في (الكبرى) [١٠٤٧٤]، والطبراني في (الأوسط) [١٤٨٣]، و(الصغير) [٩٥٣]، وابن السني في (عمل اليوم والليلة) [٦٧٥]، والحاكم [٣٥٤٥]، وقال: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، كما أخرجه تمام [٣٢٤]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٢٩/٨)، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٢٢٢٨]، قال عنه البغوي: غريب، وقال المناوي الكبير: فيه اضطراب.



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بَابُورِي

وقد ضبطوا اللام من كلمة تنزيل بضمة على الحكاية، وأما لفظ: (السجدة) في هذا الحديث، فقليل: هو بالنصب على أنه عطف بيان، -يعني: أنه بيان للفظ: ﴿آلَمْ تَنْزِيلٌ﴾-، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "وهذا بعيد؛ لأن لفظ السجدة ليس اسمًا لهذه السورة إلا بإضافة (سورة) إلى (السجدة)، فالوجه أن يكون لفظ: (السجدة) في كلام أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مجرورًا بإضافة مجموع: ﴿آلَمْ تَنْزِيلٌ﴾ إلى لفظ: (السجدة).

وعنوانها البخاري في (صحيحه): (سورة تنزيل السجدة) ويجب أن يكون تنزيل مضمومًا على حكاية لفظ القرآن، فتميزت هذه السورة بوقوع سجدة تلاوة فيها من بين السور المفتحة بـ: ﴿آلَمْ﴾؛ فلذلك فمن سماها سورة السجدة عنى تقدير مضاف أي: سورة: (الم السجدة). ومن سماها: تنزيل السجدة فهو على تقدير: (الم تنزيل السجدة) يجعل (الم تنزيل) اسمًا مركبًا، ثم إضافته إلى السجدة، أي: ذات السجدة؛ لزيادة التمييز والإيضاح، وإلا فإن ذكر كلمة: (تنزيل) كاف في تمييزها عما عداها من ذوات ﴿آلَمْ﴾ ثم اختصر بحذف ﴿آلَمْ﴾ وإبقاء تنزيل، وأضيف تنزيل إلى السجدة. ومن سماها: (الم السجدة) فهو على إضافة الم إلى السجدة إضافة على معنى: اللام، وجعل الم اسمًا للسورة^(١). ومن سموها: (الم تنزيل السجدة) لم يتعرضوا لضبطها

(١) إن من أنواع الإضافة التي تكون بمعنى: اللام، كقولك: قلم خالد. ومنها: الإضافة البيانية، وهي ما كان من قبيل إضافة العام إلى الخاص أو المطلق إلى المقيد، نحو: سورة البقرة، يوم الخميس، أو السورة البقرة، اليوم الخميس. وضابطها: أن يكون المضاف إليه محمولًا، والمضاف موضوعًا. ومنها: الإضافة التي للبيان، وهي أن تقع الإضافة بين مضاف ومضاف إليه بينهما عموم وخصوص من وجه، كقولك: باب=



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي حنيفة النعمان القشيري الذي نسب أبو ي

في (شروح صحيح البخاري)، ولا في النسخ الصحيحة من (الجامع الصحيح)، ويتعين أن يكون (الم) مضافاً إلى (تنزيل) على أن مجموع المضاف والمضاف إليه اسم لهذه السورة محكي لفظه، فتكون كلمة: تنزيل مضمومة على حكاية لفظها القرآني، وأن يعتبر هذا المركب الإضافي اعتبار العلم مثل: عبد الله، ويعتبر مجموع ذلك المركب الإضافي مضافاً إلى السجدة إضافة المفردات، وهو استعمال موجود في اللغة..^(١)

أما إعراب ﴿تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ٢] في الآية فقال أبو إسحاق رحمه الله: "ورفع ﴿تَنْزِيلٌ﴾ على خبر الابتداء على إضمار: الذي نتلو تنزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن ﴿آلَمْ﴾، أي: ﴿آلَمْ﴾ من تنزيل الكتاب. ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [السجدة: ٢]"^(٢).

المسألة الثانية: بيان المراد من الحديث:

قول الله عز وجل: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] فسر أبي بن كعب رضي الله عنه الآية بالأربعة التي ذكر.

=خشب، خاتم فضة؛ لأن الخاتم قد يكون من فضة وقد يكون من غير فضة كالذهب.. الخ، والفضة قد تكون خاتماً وقد لا تكون. وضابطها: أن يصلح وضع (من) بين المضاف والمضاف إليه.

(١) انظر ذلك في (التحرير والتنوير) (٢١/٢٠١-٢٠٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٠٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن علي بن أبي حمزة الثمالی

قال: لو صح حديث: حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكان فاصلاً، وإنما لم أشهد له بالصحة؛ لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل رواداً عن هذا الحديث: هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا، قال: فقلت له: فقرأ عليه وأنت حاضر فأقر به؟ فقال: لا، فقلت له: فمن أين جئت به؟ فقال: جاءني به قوم فعرضوه علي، وقالوا لي: اسمعه منا. فقرأوه عليّ ثم ذهبوا به، فحدثوا به عني، أو كما قال (١).

قال: وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جلَّ ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش، وأن قوله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] في سياق خطاب الله عزَّ وجلَّ كفار قريش، وتقريره إياهم بشركهم بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [بل هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ] [الدخان: ٨-٩]. ثم أتبع ذلك قوله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أمراً منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه، وتهديداً للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم" إلى آخر قوله (٢).

(١) قال ابن كثير: "وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا؛ فإنه موضوع بهذا السند" تفسير ابن كثير (٢٤٨/٧).

(٢) تفسير الطبري (١٨-١٧/٢٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسجد بن الحاج بن مسعود القشيري الذي سبأوري

ويحتمل أنهما دخانان؛ للجمع بين الآثار (١).

قال البدر العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: "قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ» هو من كلامه، ولم يسنده إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال ابن دحية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي يقتضيه النظر الصحيح حمل أمر الدخان على قضيتين:

إحدهما: وقعت وكانت.

والأخرى: ستقع.

فعلى هذا هما دخانان:

أحدهما: الذي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وهو كهيئة الدخان، وهيئة الدخان غير الدخان الحقيقي.

والآخر: هو الدخان الذي يكون عند ظهور الآيات والعلامات" (٢).

و«البطشة» هي التي ذكرت في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا

مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

وقد قيل: البطشة الكبرى تكون يوم القيامة، فهو كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ

الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، أي: ننتقم

منهم في ذلك اليوم.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧/١٨)، روح المعاني (١٣/ ١١٧).

(٢) عمدة القاري (٢٩/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد بن عيسى بن أبي حنيفة

وقيل: هي ما أوقع الله عزَّ وجلَّ بقريش يوم بدر من الأسر والقتل، ويدل عليه حديث: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ» وهو في (الصحيحين) وغيرها -وسياقي-.

وفي رواية: قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ»، والزام: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ﴾ [الفرقان: ٧٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ورواه الإمام أحمد في (مسنده)، وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيرهما، وعند ابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق متعددة، عن الأعمش، به. وقد وافق ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف كمجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ" (١).

وقال ابن بطل رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَدْ مَضَتْ الْبَطْشَةُ وَالْدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ" (٢).

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ نَبِطِشُ﴾ [الدخان: ١٦]: البطش هو الأخذ الشديد. وعن أبي عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ: "بطش يبطش ويبطش بكسر الطاء ورفعها" (٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢٤٧/٧).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطل (٦/٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١٠٠/٢)، غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي (١١٦٣/٣)، المحكم، مادة: (بطش) (٢٢/٨).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

قال أبو إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "بطش يبطش، مثل: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ، وَعَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ وهذا في اللغة كثير.

وقيل: إن البطشة الكبرى يوم بدر.

و﴿يَوْمَ﴾ [الدخان: ١٦] لا يجوز أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]؛ لأن ما بَعْدَ ﴿إِنَّا﴾ [الدخان: ١٦] لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، ولكنه مَنْصُوبٌ بقوله: واذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]" (١).

والحاصل أن ﴿الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾ [السجدة: ٢١] هو ما يصيبهم في الدنيا من الجذب والخوف، وما يصيبهم الأمراض والآلام، وذهاب الأموال والأهلين، ونحو ذلك - كما تقدم -. قال أبو إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويكون دليل هذا القول قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقيل: ﴿الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾ ههنا: السِّبَاءُ والقتل [وقد خص الحديث ذلك بما وقع يوم بدر على ما تقدم]، وجملته: أن كل ما يعذب به في الدنيا فهو ﴿الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾، و﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة" (٢).

وأما القول بأن المراد من ﴿الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾ عذاب القبر فهو بعيد؛ لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، أي: لكي يرجعوا عن غيهم، أو ليصلوا إلى حال يُرجى لهم ذلك. فجملة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ استئناف لبيان الحكمة من إذاقتهم ﴿الْعَذَابِ

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/٤٢٥).

(٢) المصدر السابق (٤/٢٠٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّيبِيَّابُورِيُّ

الْأَدْنَى ﴿ في الدنيا؛ بأنه لرجاء رجوعهم عن الكفر بالإيمان والطاعة. والمراد: رجوع من
يمكن رجوعه، وهم الأحياء منهم.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مسند ابن الحجاج بن مسعود القشيري الذي يسنن أبو ربي

ن

[ومن سورة الأحزاب]

روى الإمام مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، قالت: «كان ذلك يوم الخندق» ^(١).

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب: (التفسير)، باعتبار تبويب الشراح، وما اشتهر من المطبوع والمخطوط مما يوافق ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ. ولم يأت مرتباً على حسب ترتيب السور.

وذكره القرطبي مرتباً باعتبار ترتيبه.

الحديث أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: (المغازي)، باب: (غزوة الخندق وهي الأحزاب) ^(٢).

(١) صحيح مسلم (١٢) [٣٠١٩].

(٢) صحيح البخاري [٤١٠٣].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي يسمونه بـ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري

* بيان المراد من الحديث:

قال أهل العلم بالسير: "لما أجلي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني النضير ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشrafهم إلى مكة، فألبوا قريشًا ودعوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عندهم فدعوا غطفان، وسليم، ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وخرج يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب.

فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خروجهم أخبر الناس خبرهم وشاورهم، فأشار سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سفح سلع، وجعل سلعا خلف ظهره، والخندق بينه وبين القوم، ودس أبو سفيان حبي بن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجابوا، واشتد الخوف، وعظم البلاء، وجرت بينهم مناوشة وقتال، وحصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بضع عشرة ليلة حتى اشتد إليهم الكرب.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠]، أي: من فوق الوادي ومن أسفله.

﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَرُ﴾ أي: مالت وعدلت فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقبلا من كل جانب.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد الحنابلة بن مسعود القشيري الذي سبأوري

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ وهي جمع حنجرة، والحنجرة: جوف الحلقوم ^(١).
وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: "المعنى: كادت القلوب تبلغ الحلقوم من الخوف" ^(٢).
ونحوه قول أبي منصور الماتريدي رَحِمَهُ اللهُ في (تأويلات أهل السنة) ^(٣).
وقول الإمام أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "قاربت الخروج من الضيق والروع وشدة
البلاء والجهد، وكان وقت بلاء وتمحيص؛ ولذلك نجم في كثير من الناس النفاق، وظهر
منهم الشقاق" ^(٤).
وقولهم: كادت تبلغ؛ لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه. فعلى هذا
يكون الكلام تمثيلاً لاضطراب القلوب من شدة الخوف وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.
وقيل: هو حقيقة وإن الخوف والروع يوجب للخائف تنتفخ رئته حتى ترفع قلبه
إلى حنجرته من الفزع.
ولا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة. ذكره الفراء رَحِمَهُ اللهُ وغيره ^(٥). قال
الواحدي رَحِمَهُ اللهُ: "والمعنى ما ذهب إليه الفراء رَحِمَهُ اللهُ، وهو أنهم جنبوا وجزع أكثرهم.
وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته، فإذا انتفخت دفعت القلب إلى الحنجرة،

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٤/٣٢٤-٣٢٥).

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٣٤٨).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٨/٣٦٥).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٣٨٨).

(٥) معاني القرآن، للفراء (٢/٣٣٦)، وانظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣/٥٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّيْنِ ابْنَيْ

ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره ^(١)، وهذا الذي ذكره الفراء وهو قول الكلبي، قال: رفعت الرئة القلب وانتفخت حتى صارت عند الحنجرة فلم ترجع ولم تخرج ^(٢). أو أنها لما اتصل وجيبها ^(٣) واضطرابها بلغت الحناجر. وذكر أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ ما جاء: "عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان المراد من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أنه قال: بلغ فزعها. وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: شخصت عن مواضعها؛ فلولا أن الحلق ضاقت عنها لخرجت. وقيل: كادت تبلغ.

(١) العرب تُسَمِّي الرِّئَةَ: سَحْرًا، وَالْمُسَحَّرُ من قولهم للرجل إذا جُبُنَ: قد انْتَفَخَ سَحْرُهُ. يقال للجبان، يملأ الخوف جوفه فتنتفخ رئته. وقال الراغب في (المفردات) (ص: ٤٠٠): "السحر: طرف الحلقوم والرئة". وفي (العين)، مادة: (سحر) (١٣٦/٣): "السَّحَرُ والسُّحْرُ: الرئة في البطن بما اشتملت، وما تَعَلَّقَ بالحلقوم، وإذا نَزَتْ بالرجل البطنة يقال: انتفخ سَحْرُهُ: إذا عدا طَوْرُهُ، وجاوزَ قَدْرَهُ، وأكثر ما يقال للجبان: إذا جُبُنَ عن أمر. والسَّحْرُ: أعلى الصدر، ومنه: حديث عائشة: «تُوِّفِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينَ سَخْرِي ونَحْرِي» والحديث متفق عليه.

(٢) التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي (١٨٧/١٨-١٨٨).

(٣) الوجيب: خفقان القلب واضطرابه من شدة الفزع. يقال: وجف الشيء يجف بالكسر (وجيئًا): اضطرب. وقلب واجف، أي: مُضْطَرَب. و(الوجيف) ضرب من سير الإبل والخيل. انظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (وجف) (١٤٣٧/٤).



الشرح التحليلي للكتاب التفسير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيَّابُورِيِّ

قال أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: وأحسن هذه الأقوال القول الأول - يعني: قول عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ -، أي: بلغ وجيفها من شدة الفرع الحلق، فكأنها بلغت الحلق بالوجيب" (١).

وهو الذي أراه راجحاً فهو تمثيل لحالهم بسبب ما أصابهم من شدة الفرع بحال من اشتد خوفه إلى أن تنتفخ رئته، فإذا انتفخت دفعت القلب إلى الخنجرة، وليس بمعنى: كادت تبلغ. ولا نوافق الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ في أنهم جبنوا، وهو ما فسر به كلام الفراء رَحِمَهُ اللَّهُ، وليس كذلك، والقول ما بيناه.

وقول ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ ومن وافقه في قوله جَلَّوَعًا: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي: كادت تبلغ الحلق من الخوف ردّه ابنُ الانباري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: إن (كاد) لا يُضْمَرُ ولا يُعْرَفُ معناه إذا لم يُنْطَقْ به (٢)؛ فإنه ولو جاز هذا لجاز: قام عبد الله بمعنى: كاد عبد الله يقوم، فيكون تأويل قام عبد الله: لم يقم عبد الله (٣).

وقد قيل: إن سبب الخوف أن الأحزاب كانوا أضعافهم، وأنهم حملة رسالة يأملون نصرًا وظهورًا للدين تقرر به أعينهم. وقيل: إنهم خافوا على ذرائعهم في المدينة بسبب نقض بني قريظة العهد.

(١) معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٢٩/٥).

(٢) انظر: التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي (١٨٧/١٨-١٨٨)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤٥١/٣)، البرهان في علوم القرآن (٥٢/٣)، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص: ٤١٦).

(٣) التفسير البسيط (١٨٧/١٨).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ «النفير»

وقد قاسوا شدائد البرد والجوع، كما قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ زَادًا، وَرَبَطَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ»^(١).
وقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربط على بطنه حجرًا من شدة الجوع، كما جاء ذلك صريحًا في عدة أحاديث منها: ما رواه الإمام أحمد: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا حَفَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْخَنْدَقَ أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى رَبَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ»^(٢).

ومنها: ما رواه الإمام مسلم: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ يَحْدِثُهُمْ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنُهُ بِعَصَابَةٍ، قَالَ أَسَامَةُ: وَأَنَا أَشْكُ عَلَى حَجَرٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لِمَ عَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ..» الحديث^(٣).

وهو لا ينافي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبَيْتُ يَطْعَمَنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»^(٤)؛ فإنه قد يحصل الابتلاء في بعض الأحيان؛ تعظيمًا للثواب، ورفعًا للدرجات، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة للناس في الصبر والشكر.

(١) انظر: السيرة الحلبية (٢/٤٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٦٨١١]، وأحمد [١٤٢٢٠] بإسناد صحيح، انظر: المغني عن حمل الأسفار، للعراقي (ص: ٨٤٢).

(٣) صحيح مسلم (٦) [٢٠٤٠].

(٤) صحيح البخاري [١٩٦٣، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧، ٦٨٥١، ٧٢٤١، ٧٢٤٢، ٧٢٩٩]، مسلم [١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري النيسابوري

وفي الحديث: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ ابْتُلِيَ على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عليه فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ فوقَ اللَّحَافِ، فقلتُ: يا رسول الله ما أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قال: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ»، قلتُ: يا رسول الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: «الْأَنْبِيَاءُ»، قلتُ: يا رسول الله تُمُّ مَنْ؟ قال: «تُمُّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوجُّهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ»^(٢).

(١) أخرجه الطيالسي [٢١٢]، وأحمد [١٤٨١]، وعبد بن حميد [١٤٦]، والدارمي [٢٢٥]، وابن ماجه [٤٠٢٣]، والترمذي [٢٣٩٨]، وقال: "حسن صحيح". كما أخرجه: البزار [١١٥٤]، والنسائي في (الكبرى) [٧٤٣٩]، وأبو يعلى [٨٣٠]، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) [٢٢٠٢]، والشاشي [٦٧]، وابن حبان [٢٩٠٠]، والحاكم [١٢١]، وأبو نعيم في (الحلية) (٣٦٨/١)، والبيهقي في (الكبرى) [٦٥٣٤]، وفي (شعب الإيمان) [٩٣١٨]، والبغوي في (شرح السنة) [١٤٣٤]، والضياء [١٠٥٦]، وقال: "إسناده صحيح".

(٢) أخرجه ابن سعد (٢٠٨/٢)، ابن ماجه [٤٠٢٤]، واللفظ له، قال في (الزوائد) (١٨٨/٤): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وله شاهد من حديث: مصعب بن سعد عن أبيه، رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح". وأخرجه أيضًا: أبو يعلى [١٠٤٥]، والحاكم [١١٩]، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، قال الذهبي: "على شرط مسلم، وله شواهد كثيرة"، كما أخرجه: أبو نعيم في (الحلية) (٣٧٠/١).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن الجراح بن مسند القشيري الذي نسب أبو ري

وفي (الصحيحين): عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعُكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»^(١).

وعن أبي عبيدة بن حذيفة، عن عمته فاطمة أنها قالت: أتينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ، فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاءُوهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ: بَلَاءُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْهُمْ»^(٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل التراب بنفسه يوم الأحزاب، وهو يقول: «لولا أنت ما اهتدينا»، كما جاء في الحديث: عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: «لولا

(١) صحيح البخاري [٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦٧]، مسلم [٢٥٧١].

(٢) أخرجه أحمد [٢٧٠٧٩]، واللفظ له، والنسائي في (الكبرى) [٧٤٥٤]، والحاكم [٨٢٣١]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٣١٩]. قال الهيثمي (٢/٢٩٢): "رواه أحمد، والطبراني في (الكبير) بنحوه، وقال فيه: «إنا معاشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء»، وإسناد أحمد حسن".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يثبت بوري

أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينه علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا» (١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً
والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيبهم ويقول:

«اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة» (٢).

وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف، والخندق بينه وبين القوم، وجعل النساء والذراري في الآطام.

وتوجه حيي بن أخطب إلى بني قريظة فلم يزل بهم حتى غدروا، وبلغ المسلمين غدرهم فاشتد بهم البلاء، فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطي عينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فمنعه من ذلك: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقالوا: «كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون منا في شيء من ذلك، فكيف نفعله بعد أن أكرمنا الله عَزَّ وَجَلَّ بالإسلام، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا

(١) صحيح البخاري [٢٨٣٦، ٢٨٣٧، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦، ٦٦٢٠، ٧٢٣٦]، مسلم [١٨٠٣].

(٢) صحيح البخاري [٤٢٨، ٢٨٣٤، ٢٨٣٥، ٢٩٦١، ٣٩٣٢، ٣٧٩٦، ٤٠٩٩، ٤١٠٠، ٧٢٠١]، مسلم [١٨٠٥].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند ابن أبي عمير بن مسعود القشيري الذي سبأوري

من حاجة، ولا نعطيههم إلا السيف»^(١)، فاشتد بالمسلمين الحصار حتى تكلم، وتكلم المنافقون فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢) الآيات. قال وكان الذين جاءوهم من فوقهم: بنو قريظة، ومن أسفل منهم: قريش وغطفان. قال ابن إسحاق رحمه الله في روايته: ولم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل، لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، حتى صاروا بالسبخة، فبارزه علي رضي الله عنه فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، فبارزه الزبير رضي الله عنه فقتله، ويقال: قتله علي رضي الله عنه، ورجعت بقية الخيول منهزمة.. إلى آخر ما جاء في ذلك.

وكان عدد الأحزاب التي تجمعت لقتال المسلمين نحوًا من عشرة آلاف، وتحالفوا مع اليهود في شرق المدينة، فاشتد الحال على المسلمين الذين حفرُوا خندقًا بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريبًا من شهر وهم يحاصرونهم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»^(٣)، فاستجاب الله عز وجل دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله عز وجل عليهم ريحًا شديدة فأكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم، وملائكة تقلع أوتادهم، وتطفئ

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٠٠/٧)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٣٠/٣)، الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ص: ١٧٤)، السيرة النبوية، لابن هشام (٢٢٣/٢)، عيون الأثر، لابن سيد الناس (٩٠/٢)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء (٤٢٤/١)، السيرة الحلبية (٤٢٦/٢)، سبل الهدى والرشاد (٣٧٦-٣٧٧).

(٢) صحيح البخاري [٢٩٣٣، ٤١١٥، ٦٣٩٢، ٧٤٨٩]، مسلم [١٧٤٢].



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد بن أبي القاسم القشيري الذي سبأوري

نيرانهم، وسفت التراب في عيونهم، وماجت الخيل بعضها في بعض، واضطرب أمرهم، وتفرق جمعهم، وألقى الله عز وجل في قلوبهم الخوف، فهربوا.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٩].

وحدث تحاذل بينهم وبين قريظة، وظنت قريش أن قريظة صالحت المسلمين، وأنهم ينضمون إلى المسلمين على قتال الأحزاب، فرأى أهل الأحزاب الرأي في أن يرتحلوا فارتحلوا عن المدينة وانصرف جيش المسلمين راجعًا إلى المدينة، فانهزموا من غير قتال.

فقوله جل وعلا: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ ذكر توطئة لقوله جل وعلا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾؛ لأن ذلك هو محل المنة. والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى مجاهد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»^(١). والصبا: بالصبا هي بفتح الصاد، ومقصورة، وهي الرياح اللينة، وتسمى: القبول^(٢).

(١) صحيح البخاري [١٠٣٥]، مسلم [٩٠٠].

(٢) قال ابن الأثير: "قليل سميت به؛ لأنها تأتي من دبر الكعبة، وليس بشيء، وقد كثر اختلاف العلماء في جهات الرياح ومهابها اختلافًا كثيرًا فلم نطل بذكر أقوالهم" النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (دبر) (٩٨/٢).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يروي

وأما «الدُّبُور» فهي بفتح الدال هي الريح العقيم التي تقابل الصبا والقبول؛ لأنها لا تلقح الشجر، وتهدم البنيان، وتقلع الأشجار، وهي مذمومة في القرآن العظيم، وهي التي تقابل الصبا، ويسمونها أهل مصر: الغريبة؛ لأن مهبها من المغرب.

وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ قال: الأحزاب: عيينة بن بدر، وأبو سفيان، وقريظة.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ قال: ريح الصبا، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعتهم.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة، قال: ولم تقا تل الملائكة يومئذ (١).

ونقل عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أنه قال: يعني الملائكة.

قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب (٢).

وفيما كان من الملائكة أقاويل:

أحدها: تفريق كلمة المشركين وإقعاد بعضهم عن بعض.

الثاني: إيقاع الرعب في قلوبهم.

(١) قال في السيوطي في (الدر المنثور) (٥٧٣/٦): "أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في (العظمة)، والبيهقي: عن مجاهد". وانظر: تفسير الطبري (٢١٦/٢٠)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٣١١٧/٩). واللفظ عند أبي الشيخ في العظمة (١٣٤٢/٤): «الصبا تكب القدور على وجوهها، وتقطع الفساطيط عن أظعتهم».

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٤/٣)، تفسير الطبري (٢١٦/٢٠).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي يسمونه بوري

الثالث: تقوية نفوس المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم

الرابع: بتفريق كلمتهم، وإقعاد بعضهم عن بعض^(١).

وعن أبي سعيد، يعني: الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقول قد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: «نعم، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا». قال: فضرب الله عَزَّجَلَّ وجوه أعدائنا بالريح، هزمهم الله عَزَّجَلَّ بالريح^(٢).
وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُنَالِكَ آتَتْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١] فيه أوجه:

أحدها: بالحصار.

الثاني: بالجوع فقد أصابهم بالخندق جوع شديد.

الثالث: أنهم امتحنوا في الصبر على إيمانهم، وتميز المؤمنون عن المنافقين.

و﴿هُنَالِكَ﴾ [الأحزاب: ١١] للبعد من المكان، و(هناك) للوسط، و(هنا) للقريب.

(١) انظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣٧٩/٤)، تفسير القرآن، لعز الدين بن عبد السلام (٥٦٢/٢).

(٢) أخرجه أحمد [١٠٩٩٦]، والبخاري كما في (كشف الأستار) [٣١١٩]. قال الهيثمي (١٣٦/١٠): "رواه أحمد، والبخاري، وإسناد البخاري متصل، ورجاله ثقات، وكذلك رجال أحمد، إلا أن في نسختي من المسند: عن ربيع بن أبي سعيد، عن أبيه، وهو في البخاري: عن أبيه، عن جده".



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي محمد الحجاج بن محمد القشيري الذي يسمونه بـ

﴿أَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]، أي: ابتلوا وفتنوا، وحركوا بالخوف، وأزعجوا إزعاجًا شديدًا؛ وذلك أن الخائف يكون قلقًا مضطربًا لا يستقر على مكانه. يقال: زل فلان عن مكانه، وزلله غيره (١).

وقال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "قوله جَلَّوَعًا: ﴿وَنُظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]، أي: تشكون في الوعد بالنصر، يخبر عن المنافقين.

أو يكون معناه: أنهم خافوا من أن يخذلوا في ذلك الوقت؛ فإن وقت وقوع النصر الموعود غير معين. وهذا أحسن من الأول، ويؤيده: قوله جَلَّوَعًا: ﴿هُنَالِكَ أَتَبِلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١] امتحنوا بالصبر على الحصار، وشدة الجوع، وزلزلوا بالخوف من أن يخذلهم الله عَزَّجَلَّ في ذلك الوقت، ويدل عدوهم عليهم، كما فعل يوم أحد" (٢).

* مسألة: ذكر نعمة الله عَزَّجَلَّ في قوله جَلَّوَعًا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ الآية [الأحزاب: ٩].

ذكر نعمة الله عَزَّجَلَّ تقتضي الشكر والصبر على البلاء. قال الإمام القشيري رحمه الله: "ذكر نعمة الله عَزَّجَلَّ مقابلتها بالشكر، ولو تذكرت ما دفع عنك فيما سلف

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢١٩/٤)، تفسير الطبري (٢٢٢/٢٠)، الوسيط في تفسير القرآن

المجيد (٤٦٢/٣)، التفسير البسيط (١٩٢/١٨).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٩/٧).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مسند الإمام أبي حنيفة بن محمد القشيري الذي سبأوري

لهانت عليك مقاساة البلاء في الحال، ولو تذكرت ما أولاك في الماضي لقربت من قلبك الثقة في إيصال ما تؤمله في المستقبل.

ومن جملة ما ذكرهم به: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] كم بلاء صرفه عن العبد وهو لم يشعر! وكم شغل كان يقصده فصده عنه ولم يعلم! وكم أمر عوّقه والعبد يضجّ وهو جَلَّوَعًا يعلم أن في تيسيره له هلاك العبد، فمنعه منه رحمة به، والعبد يتهم ويضيق صدره بذلك!

وقال: "أحاط بهم سرادق البلاء، وأحرق بهم عسكر العدو، واستسلموا للاجتياح، وبلغت القلوب الحناجر، وتقشمت الظنون، وداخلتهم كوامن الارتياب، وبدا في سويدائهم جولان الشكّ."

ثم أزال عنهم جملتها، وقشع عنهم شدتها، فانجاب عنهم سحابها، وتفرقت عن قلوبهم همومها، وتفجرت ينابيع سكنتهم" (١).

مسألة: إجمال ما يستفاد من الحديث:

١ - إِنَّ نِعْمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي، كما قال جَلَّوَعًا: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وينبغي على العبد أن يذكر هذه النعم، ويقابلها بالشكر، كما قال جَلَّوَعًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩]،

(١) لطائف الإشارات (١٥٤/٣).



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيِّ الدِّينِيِّ بُورِي

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَظِيمًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

- ٢ - إن الله عَزَّجَلَّ يتعاهد عباده الصالحين بالعناية والرعاية.
- ٣ - الصَّبْر على البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وتذكر سوائف النعم، والنَّظَر إلى ما أعدَّه الله عَزَّجَلَّ لعباده الصَّالحين الصَّابرين.
- ٤ - إن من سنن الله عَزَّجَلَّ التي لا تتبدل: نصر المؤمنين الصادقين ولو بعد حين، وإن الله عَزَّجَلَّ منجز وعده في إعلاء دينه، فلا بدَّ للحقِّ أن يعلوَّ ويتنصر، وللباطل من أن يضمحلَّ ويندثر.
- ٥ - إن المؤمن ممتحن في هذه الحياة الدنيا، وأن الحكمة من البلاء: تمييز المؤمنين الصادقين من المنافقين المدعين.
- ٦ - بيان فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في نصرة هذا الدين، وصبرهم على الشدائد، وثباتهم على الحق.



الشرح التحليلي للكتاب النفير من صحيح الإمام الحافظ
مُسَيَّبُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسَيَّبٍ الْقَشِيرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ أَبُو بَرٍّ

نهاية الجزء الثاني

وبليه الجزء الثالث

الجزء الثاني

دراسة تحليلية فريدة لكتاب التفسير من صحيح مسلم بن الحجاج، وهي تتناول أحاديث التفسير الذي ذكرها مسلم في صحيحه، مع إعادة ترتيب الأحاديث بما يتوافق مع المصحف، ونقل الأحاديث ذات الصلة من الكتب الأخرى في صحيح مسلم وإضافتها إلى كتاب التفسير، ولا سيما الأحاديث التي ذكرها الإمام البخاري في كتاب التفسير، والأحاديث التي اعتمدها الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله تعالى في (تلخيص كتاب مسلم وشرحه)، وبيان منهجه، حيث قدم وأخر، وضم الحديث إلى مشاكلة؛ حتى تتم بذلك الفائدة، مستدرّكاً ما لم يذكر، ومشيراً إلى الأحاديث لم ينقلها الإمام القرطبي إلى كتاب التفسير، والله الموفق والهادي

الشرح التحليلي لكتاب التفسير

من صحيح الإمام الحافظ

مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقَشِيرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ وَأَجْرَلَ مَثْوِيَهُ

الدكتور جواد محمد العنصر وهمان



دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر

01007868983 - 0502357979